

سقارة
أسطورة الصقر الحارس



الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

اسم الكتاب	: سقارة .. أسطورة الصقر الحارس
اسم المؤلف	: إيهاب بدوي
الغلاف	: محمد ضوه
التصحيح اللغوي	: خالد رجب عواد
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	: ٢٠١٧ / ١٤٠٩٢
الترقيم الدولي	: ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-١٠٧-٦

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠ - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

ghorabpublishing@hotmail.com

سقارة
أسطورة الصقر الحارس

Saqqara:
Legend Falcon Sentinel

إيهاب بديوي

دار النشر والتوزيع

مقدمة

هل تعرّضتَ للظلم مرة في حياتك؟ هل ملأك الإحساس بالقهر وكرهية العالم بما فيه ومن فيه؟ هل تعرّض أحد أحبابك للظلم وأنت عاجز؟ ماذا فعلتَ؟ كيف دفعتَ الظلم عنك وعن أحبابك؟ هل اكتفيتَ بالصمت والدعاء؟ هل تمنيتَ أن تكون قويًا لتتمكن من دفع الظلم عنك؟ هل قرأتَ قصص الأبطال الخرافية أو الحقيقية عبر التاريخ؟ في كل حضارة هناك نموذج للبطل الذي يرفض الظلم وتتوارث الأجيال حكايات قوته وعظمته، هيركليس، السندباد، روبن هود، علي بابا، سوبرمان.

تُرى؟ هل من الممكن أن تصبح أنت هو ذلك البطل الخرافي لهذا الزمن؟

إيهاب بديوي



إهداء

الدكتور العالم وسيم السيسي: ألهمني حُبُّكَ للعلم والحضارة
المصرية العظيمة أن أكتب فيهما وعنهما، تقبَّلْ تحيتي واحترامي.
والدي: للدنيا وجوه كثيرة أدعي أنك واجهتها كلها، كن كما تحبُّ
أن تكون، لن يضيع أبدًا خيرٌ فعلته، وستبقى فوق الرؤوس.
زوجتي سمس ملهمتي في هذه الرواية، تقطر الحروف بتأملاتك
وأفكارك التي مازت وتألقت حتى منابع الإبداع.
إلى صديقي الذي عاش معي أحلام الطفولة والصبا في أن نكون
شيئًا مختلفًا في هذا العالم ثم فرقت بيننا الأيام.



الفصل الأول

أخذ رائف في القفز على كتف والده يرجوه أن يسمح له بالذهاب مع والدته التي كانت مُصرّةً على تجاهله، ابتسم سامح وطلب من رانيا السماح له بالذهاب معها.. صرخت في وجهه:

- "يا سامح ارحمني، ليلاً ونهاراً؟ لقد اختنقت، دعني أنفَس قليلاً".

غضب سامح من رد فعلها العنيف فحدثها منفعلاً:

- "ماذا بك يا رانيا؟ هل تريدان العيش وحدك؟ ألا يكفي أن وحيد وسحر شقيقه موجودان عند جدتهما؟ هل نترك لك الدنيا ونرحل؟

هدأت رانيا قليلاً ورقّ صوتها وهي تداعب زوجها:

- يا حبيبي حياتي هي أنتم ولكم وبكم، ولكني لا أتركهم لحظة واحدة، أنا سوف أذهب حتى المول القريب لشراء بعض مستلزمات المنزل ولقاء شقيقتي هند، لا أريد أن يؤخرنني أو يشتت انتباهي أحد.

ردَّ عليها سامح على غضبه:

- افعلي ما تريدين، ولكن لا تتركيه لي باكيًا.

حاولت بكل الطرق أن تُثني الصغير عن تعلقه بها فلم تستطع، أذعنت في النهاية للأمر الواقع وأخذته معها مُشترطاً عليه عدم إصدار أي صوت حتى العودة.. وصلت إلى المول قُرب نهاية النهار. تركت السيارة في الموقف المخصص خارج المول ثم التقت شقيقتها.. بعد انتهاء جولتهم التي استمرت قرابة الساعة عادت رانيا مع ابنها إلى السيارة بعد أن ودعت شقيقتها. تذكرت أنها لم تحضر الهدية الصغيرة لابنها كما وعدته، طلبت منه البقاء في السيارة وعدم التحرك حتى تعود سريعاً.. بعد خمس دقائق عادت ففوجئت بعدم وجود السيارة في مكانها، جُنَّ جُنُونُهَا، جرت في كل الاتجاهات وأطلقت أصواتاً متعددة، تجمّع الناس حولها، أسرع مسئول المول بطلب الشرطة، اتصلت بزوجها تخبره بالكارثة، في أقل وقت ممكن كان موجوداً، وجد الشرطة تستكمل تحقيقاتها. أمسك زوجته في غضب عارم يسألها عمّا حدث.. لم يتمالك نفسه فضر بها على وجهها بعنف حين أخبرته أنها تركت رائف في السيارة وحده، جمعت طاقتها وهي تصرخ في جنون أنه السبب لأنه صمّم على مرافقته لها.. بعد أن أفرغا شحنة الغضب احتضنها، طلب منه أمين الشرطة التوجّه إلى قسم الشرطة لاستكمال الإجراءات ريثما يتم تفريغ الكاميرات..

بعد أخذ أقوالها طلبوا منها العودة للمنزل ولو حدث جديد
سيجري الاتصال بهم.. قبل خروجها من القسم همس لهما أحد الأمناء
بألا يتركوا المنزل لأن مكالمة هاتفية ستصلهم اليوم، نظر له سامح هو
يبتعد عنهم بينما نظره معلق بهم.. أسرعوا إلى المنزل وظلوا في انتظار
المكالمة الهاتفية التي جاءتهم أخيراً قرب منتصف الليل. كان المتصل حاداً
النبرة محدد الكلمات:

- أما مكم ٢٤ ساعة لتجهيز ٢٥٠ ألفاً، سنتصل بكم غدٍ لتحديد
موعد التسليم ومكانه، لو أبلغتم الشرطة سنعرف.

لم يمهله للاستفسار عن ابنه، اتصل بكل المعارف لتجميع المبلغ..
في اليوم التالي اتصل به شخص آخر وسأله إن كان المال جاهزاً.. أخبره
بالإيجاب فأكمل حديثه:

- في الثالثة من عصر الغد تحضر وحدك عند نهاية الطريق
الدائري، هناك مقهى من البوص ستنتظر عنده.

عدّ الدقائق والثواني حتى الموعد، وصل إلى هناك قبل الثالثة
وبحث عن المقهى فوجده غرزة صغيرة قرب الطريق، نزل إليها وانتظر
أكثر من ساعتين، أسعفته مهارته الفطرية في شرب الشيشة وخبرته
السابقة في حرق السجائر في الاندماج نسبياً مع الجو المريب، شعر أنه
مُراقب من الجميع، رنَّ جرس هاتفه، طلب منه شخص بلا معالم ألا
يرد، أذعن للأمر وأغلق هاتفه.. بعد ساعة أخرى احترقت فيها أعصابه
تماماً جلست بجانبه سيدة أربعينية قائلة:

- لقد صدقت معنا، هاتِ المال.

أعطاهما المال، طلبت منه الخروج الفوري، سيجد الأمانة عند منزله، ولو حاول الاتصال بالشرطة فسيفقد عائلته جميعها.. عاد يكاد يخترق الأرض من فرط القلق والتوتر، وجد سيارته مُغطاةً أمام المنزل، رفع الغطاء في جنون، أخذ يصرخ من الغضب، نزلت زوجته وعائلته على صوته.

كانت الكارثة الجديدة، رائف غير موجود.. توجه ناحية قسم الشرطة وانقضَّ على أمين الشرطة يريد ابنه.. تجمَّع زملاء الأمين حول سامح وضربوه بعنف حتى غاب عن الوعي.. أفاق فوجد نفسه في غرفة مغلقة، دخل عليه الأمين أولاً وسأله عن سبب جنونه، أخبره أن ابنه لم يحضر مع السيارة.. تعجَّب الأمين وسأله عن هذا الابن، حكى له الحكاية من أولها وأن السيارة كان بها ابنه الصغير، طلب منه الخروج من القسم وسيبلغ هو المأمور أنها كانت لحظة انفعال لفقدانه ابنه والسيارة، ثم سيلحق به.

بالفعل سمح له مأمور القسم بالخروج مُراعياً حالته العصبية، مُحذراً إياه تكرار الأمر.. خرج سامح والدماء ما زالت تقطر من فمه، وقدماه تحملا لانه بصعوبة، جلس على أقرب مقهى يُلملم أجزائه المتناثرة في كل مكان، سار أمامه الأمين بعد قليل وأشار إليه لكي يلحقه.. لحقه وقد أعياه القلق والخوف وأخذ مداه، ما إن وصلا إلى منطقة هادئة حتى انكبَّ على يد الأمين يُقبِّلها قائلاً:

- أرجوك، ابني هو قرّة عيني، أرجوك أعدّه لي.
أوقفه الأمين قائلاً:

- اسمع يا سيد سامح، لا دخل لنا من قريب أو بعيد بختطف
ابنك، ولم أكن أعرف به أساساً، أنا مجرد وسيط خير فقط،
السيارة وصلت إلى مَنْ اتصل بك بدون أطفال.

- ماذا تقصد؟ هل ضاع ابني؟

- لقد أجريتُ اتصالات مع بعض الوسطاء وضغطت وهددت
من أجلك، فلن أقبل أبداً أن أساهم في اختطاف طفل بريء،
غداً تقابلني على أول طريق الواحات خارج المدينة قُرب
المغرب، وسيكون معي ابنك.

ظَلَّ مع زوجته وأسرته ليلته ساهراً، جهز خمسة آلاف أخرى كي
يكون جاهزاً لو طلب منه الأمين أو غيره مائلاً، مرَّ عليهم اليوم صعباً
حتى موعد اللقاء، أصرت زوجته على الذهاب معه، طلب منها أن تظل
بعيداً مع بقية شباب الأسرة حتى يتسلم ابنه... وصل إلى المكان
الموصوف بدقة، سمع أنات قادمة من خلف بعض الحجارة الكبيرة
قرب الطريق، أسرع ناحيتها، فوجئ بالأمين يُصارع الموت والدماء
تنزف من فمه، أسرع نحوه فوجده يبكي ويريد أن يتحدث، ترجاه أن
يخبره عن مكان ابنه قبل أن يموت، كانت آخر كلماته المتحشجة:

- لقد خانوني، ابتعد عن القريب، واقترب من البعيد، وابحث حولي وحولك.

سقط بين يديه ميتًا، سمع أصوات الشرطة تقترب، أسرع بالهرب في اتجاه الجبل القريب ثم دار حول المكان الذي أصبح يعجُّ بالشرطة، وتسلسل إلى المدينة، ركب القطار المسافر إلى الجنوب من محطة الجيزة، استغل الرحلة الطويلة في النوم الذي حُرِمه منذ ثلاثة أيام، تسلسل الضوء إلى عينيه فأعادته إلى واقعه المرير..

فاجأته صحيفة الصباح التي يقرأها جاره بصورته ومعها اتهام بقتل أمين الشرطة، أسرع بشراء نظارة شمس ضخمة من بائع متجول ليخفي ملامحه.. نزل في الأقصر فتجوّل قليلاً حتى تعبت قدماه، ركب قطار المساء العائد إلى العاصمة فقد خشي النزول في فندق كيلا يُبلغ عنه أحدٌ، كان حائراً مشتتاً غاضباً مرعوباً.. وصل القاهرة فتسلّل هارباً من أي مكان يوجد فيه شرطي، ثم قرّر التوجه إلى مطروح قُرب الحدود الليبية حيث عمل قليلاً في إنشاء مشروع كبير وله بعض المعارف.. بعد يوم آخر من السفر المرهق وصل إلى مطروح، المدينة الساحلية المصيفية الهادئة في الشتاء والربيع، توجّه مباشرة إلى منزل صاحبه على أطراف المدينة في أرض إحدى العائلات الممتدة إلى داخل الشمال الإفريقي، بعد مفاجأة الزيارة والترحيب الذي يناسب العادات العربية، استمع منه إلى القصة كلها.. كانت إجابة صديقه منصور السريعة:

- هناك حلقة غير مفهومة أو مفقودة، من الواضح أنها أكثر من عصابة، الأولى مهمتها سرقة السيارات، ثم تبيعها للعصابة الثانية التي تتصل بالضحية وتُساوِمُه.. بالتأكيد هناك نوعيات أخرى وسيطة، الأمين وسيط للوصول إلى صاحب السيارة لمساومته، وبالتأكيد نظير عمولة محددة، أظنُّ أن سبب قتله هو تجاوزه الخطوط الحمراء المحددة له.
- لقد أعياني التفكير في كل شيء، لا أعرف ماذا أفعل لاسترداد ابني، أريد أن أتصل بزوجتي لأعرف التطورات.
- لا بد أنها مُراقَبة إن لم تكن مسجونة الآن، اشتباكك معه في القسم سيجعل الاتهامات كلها تحيط بك.
- وماذا أفعل الآن؟
- سأوفر لك وسيلة آمنة للاتصال، لكنك يجب أن تغادر البلاد، تعلم حساسية الشرطة لقتل أحد أفرادها.
- وضع يده على رأسه، ثم بكى.. أسرع منصور بإحضار منديل ليمسح دموعه، ثم هزّه بشدة قائلاً:
- ما بك يا رجل؟! تجلّد، كلنا مررنا بأزمات كبرى في حياتنا، سأرتب لك اليوم الخروج إلى ليبيا ومنها إلى إيطاليا، ابتعد قليلاً حتى تهدأ الأمور.
- ولكن ابني، وأسرتي.

- لن تستطيع فعل شيء لهم، على العكس، وجودك سيصعب الأمور على الجميع.

- ولكن المال الذي معي لا يكفي لمثل هذه الرحلة.

- لا عليك، سوف أضمنك، ولكن يجب أن ترسل المال خلال ستة أشهر من وصولك إيطاليا.

قضى ليلته يفكر فيما يحدث.. عند الصباح الباكر أخذه منصور في سيارته حتى توغلا قليلاً في طريق صحراوي جبلي.

توقف فجأة ثم أعطاه هاتفًا كبير الحجم وأخبره أنه متصل بالقمر الصناعي ولا يمكن تبُّعُه، اتصل بزوجته، ما إن سمعت صوته حتى صرخت فيه غير مصدقة، بعد بكاء وعويل هدأت قليلاً وسألته عن أحواله، أخبرها باختصار أنه بخير ولكنه لا يستطيع الحديث.. حذرتَه من أن البلد كلها تبحث عنه، خاصة أن الفضائيات قد التقطت الموضوع وشوّهته تمامًا خلال اليومين، حتى أن أحدهم أكد أن لديه معلومات من جهات عليا أنه ينتمي لداعش، وأنه قام بعمليات التفجير الأخيرة، وآخر قال إنه أمير جماعة إرهابية ومعروف في أوساط أمن الدولة بخطورته الشديدة.. أسقط في يده، لم يعد هناك بُدٌّ من الهرب، طلب منها أن تهتم بنفسها وبالأولاد حتى تنقش الغُمة.. أكمل رحلته عبر مدقات جبلية وعرة.. بعد أن سلّمه منصور إلى أحد أقاربه العاملين مع عصابات التهريب.. وصل أخيرًا إلى معسكر في وسط الصحراء، لم يعد يعرف أين هو ولا ما الوقت، فقد الإحساس بالزمان والمكان،

دخل إلى المعسكر مصحوباً بتوصية خاصة، هاله ما رأى، خلية نحل لا تهدأ، أسلحة لم يرَ مثلها من قبل، وأكثر ما تعجّب له تعدد الجنسيات التي تنتظر دورها في السفر.. دخل للقاء قائد المعسكر، رجل متوسط العمر، حادّ الملامح، لكنه مبتسم دائماً.. سأله عن أحواله أولاً ثم بدأ حديثه مباشرة:

- لقد أخبرنا الأخ منصور بملخص قصتك، ورأينا في بعض البرامج الفضائية الهجوم المباشر عليك، لقد تصورنا أنك السبب في تخلف العالم الثالث.

تحولت نبرته إلى الجدية قائلاً:

- اسمع يا سامح، أنت مهندس كما علمت، وما زلت شاباً، الرحلات البحرية شديدة الخطورة وربما غرقت ولم تستطع الوصول إلى ابنك وإثبات براءتك، نحن في حاجة إليك هنا.

- مَنْ أنتم؟ وماذا سأفعلُ معكم؟

- كما ترى، نحن مجموعة من الراغبين في تحقيق العدالة في مجتمعاتنا، فرنا من الظلم والفقر والقهر الذي نواجهه، جنسيات كثيرة عربية وأفريقية تسعى لمستقبل أفضل، نختار منهم مَنْ نرى فيه القدرة على تحقيق مشروعنا الكبير، الحرية.. ونحن نرى فيك هذا النوع الذي سيساعدنا على هدم الأنظمة الفاسدة.

- اسمعني يا سيدي، أنا لا أحب السياسة ولا يهمني من يصل للحكم ولا كيف، ولا أستطيع أن أقتل أحداً لأي سبب، أنا إنسان مُسلم.

- ومن قال إنك ستحمل السلاح للهجوم على أحد؟ سيكون لك دور مهم في الإنشاءات الكبرى التي سنقوم بها في بلادنا، نحن نسعى لبناء دولة كبرى حديثة وقادرة على الوقوف في مواجهة الغرب الاستعماري الذي يسعى لنهب ثرواتنا.

- أنا لم أعد أعرف أي شيء، عقلي مُتوقّف عند ابني وضرورة استرجاعه.

- اسمع، بعد أن تُسقط النُظم الفاسدة سنعيد الحقوق للجميع، ارتح الآن وسنرسلك لبعض الوقت إلى إخواننا في الصفوف الأمامية.

قضى الأيام التالية في الاندماج التدريجي في مجتمع المقاتلين، حياة جديدة تماماً، تخلص سريعاً من الترهّل والضعف المصاحب لطبيعة الحياة المدنية.. لم يكن يرى سوى ابنه رائف ومن اختطفه وكيفية الانتقام منه..

بعد شهر من الانعزال الكامل عن العالم طلبوا منه الاستعداد للسفر إلى سوريا.. تعجّب في بداية الأمر ورفض، لكن القائد أخبره أنها عملية سريعة لاحتياجهم الألباس لمهندسين لإنشاءات.. ركب مركب

صيد صغيرة مع بعض زملائه نقلتهم إلى مركب أكبر تعجّب عندما شاهد علّم الدولة العظمى عليها.. بعد أقل من يومين طلب منهم ركوب مركب صيد أخرى.. وصلوا إلى شاطئ مهجور فوجدوا في انتظارهم بعض الشباب الذين رحّب بهم.

ذهب وحده في سيارة دفع رباعي حديثة إلى مدينة قريبة عبر طريق على جانبيه آثار لجمال الشام الذي دمرته الحرب، وصل إلى مدينة صغيرة فهاله ما رأى، أُصيب بالذهول من حالة الدمار الشامل الذي تعانيه المدينة، لا يوجد بيت سليم تقريباً، من الواضح أنه تم القصف من الجو بشراسة.. وصل إلى بيت مُهدّم في وسط المدينة، دخله متسائلاً عمن يعيش في مثل هذا المكان.. فوجئ بوجود مدخل سري تحت أرض الغرفة السفلية، دخل من خلال السُّلم الصغير فوجد عالمًا مختلفًا، منطقة شديدة التحصين تحت الأرض بأكثر من عشرة أمتار.. سار عبر دهاليز صغيرة حتى وصل إلى الغرفة الرئيسية، سمع مرافقه يقول لشيخ خمسيني:

- لقد وصل يا أبا مصعب..

رفع الرجل المنهمك في متابعة إحدى القنوات الفضائية رأسه، تفحصه قليلاً ثم قال:

- اسمع، نحن في حالة حرب، ونحتاج لبناء مراكز محصنة مثل هذه في بلاد مختلفة، ولهذا نحتاجك، ولا تخف، نحن لا نأكل حق أحد، ستحصل على مقابل مُجزّ نظير عملك معنا..

أجابه:

- أنا لا أعرف من أنتم، ولكن عندي ظروف شخصية تُحتم عليّ العودة سريعاً إلى بلدي.
- نحن نعرف كل شيء عنك، العمل معنا لن يستغرق عامًا، يكون مطار دوك قد هددوا، وتم نسيانك.

اندماج في عمليات إنشاء المراكز المحصنة بعد أن انعزل تمامًا عن العالم، استفاد من عمليات التدريب على السلاح بأنواعه المختلفة والتدريبات القتالية الشخصية اليومية دون أن يُشارك في عمليات قتال فعلية، التقى جنسيات متعددة حتى لم يعد يتعجب منها، شرقية وغربية، غنية وفقيرة، الأهداف مختلفة، من مخلص للفكرة إلى باحث عن مكسب مادي إلى معادٍ للنظام..

لم يتغير مبدؤه، ولم يشارك في القتال حتى وصل إلى يوم فاصل حين حدث هجوم بري كاسح على الموقع الذي يعمل به، اضطر لاستخدام السلاح الذي كان يتدرب عليه يوميًا للمرة الأولى، ثم دخل في صدام بدني مباشر مع من تمكّن من النزول خلف الخطوط الأمامية، رأى ابنه أمامه وهو يدافع عن حياته باستماتة، بعد صراع مرير اضطر إلى قتل مُهاجمه.. كان شعوره الجارف بالغضب يتزايد مع كل نقطة دم تنزل من جسد مهاجمه الذي لا يعرف ديانتَه ولا انتماؤه ولا جنسيته.

اتخذ قرارًا بالعودة الفورية. لم تُثنِه الوعود والتهديدات، أخبرهم بوضوح أنه لا ينتمي لأي فصيل سياسي أو ديني ولا يريد أن يموت

الآن، سمح له أبو مصعب بالسفر وأعطاه ورقة بها عنوان مكتب صرافة في القاهرة سيحصل منه على خمسين ألف دولار أو ما يعادلها بأي عملة يختارها، وفي نفس الورقة تعهد بالمبلغ، رغم تعجبه فإنه لم يعارض لرغبته في الرحيل، حدثه أبو مصعب:

- اسمع يا أبا رائف، نحن نُقدّر لك ما فعلته معنا، ونُقدّر أنك لم تسأل إلى أي فصيل ننتمي، أنت لا تعلم إن كنا تابعين لتنظيم الدولة الإسلامية، أو جبهة النصرة، أو حتى القوات النظامية، ونُقدّر لهُفتك على ابنك الضائع، ولو احتجت مساعدة في مصر فستجدنا بجانبك، لكن يجب أن تعلم أننا نعرف كل شيء عنك وعن أسرتك ونراقبك، ولو علمنا أنك أبلغت السلطات هناك عن منصور أو مكتب الصرافة أو أي شيء يمتُّ لنا بصلة فلن نكتفي بقتلك، بل ستشهد موت كل فرد في عائلتك قبل ذلك.

- اسمع يا أبا مصعب، أنا لا يهمني من أنتم، ولا مع من ضدَّ من، كلكم خاسرون، الشعب السوري هو الخاسر الأكبر رغم أنه لا ناقة له ولا جمل في حربكم، ولا مستقبل للصراع الذي تعيشون فيه، لهذا أنا لا أهتمُّ بكم.

- لي عندك طلب آخر، إذا ضاقت الدنيا عليك اذهب إلى منصور فوراً، ولو رأيت شاباً يريد الخروج أو التطوع لدينا وتثق به فلا تترد في إرساله، وسنعطيك عشرة آلاف دولار عن كل مُتطوِّع.

نظرَ إليه سامح ولم يُعقِّب، كل تركيزه كان مُنصبًا على العودة.. بعد أن هداً الهجوم قليلاً وفتحت الطرق في المنطقة التي يسيطر عليها أبو مصعب ورفاقه، ذهب مع قافلة متسللة نحو البحر حيث عاد على مركب صيد التقت بأخرى في عرض البحر عائدة من رحلة تهريب إلى اليونان متوجهة إلى دمياط.. سأله صاحب المركب عن الأحوال في سوريا، تعجَّب سامح من طبيعة السؤال فلم يجب، لكن قائد المركب الرئيس مجدي ضحك قائلاً:

- ما بك يا أستاذ؟ لا تتعجب، فأنا متخصص توريد مقاتلين ومهاجرين لكل مكان، وأعرف الكثير من الوسطاء، أنت وسيط جديد؟
- أرجوك لا تسألني عن شيء، فأنا فعلاً لا أعرف شيئاً.
- هل معك أوراق شخصية؟

تنبَّه سامح للمرة الأولى إلى أوراقه الشخصية فأسرع يبحث عنها في ملابسه فلم يجدها، جُنَّ جُنونه وتمتم سائباً من أوصله لهذه الحالة، في أثناء غضبه احتكَّ به أحد البحارة فنشبت بينهما مُشادة تطورت إلى تشابك بالأيدي انتصر فيه فوراً سامح بالضربة القاضية.. همَّ بقية البحارة بالهجوم على سامح لكن الرئيس مجدي منعهم، ثم حدثه مُعجباً:

- كما توقَّعت منذ البداية لست بشخص عادي، هامتك وقامتك وقوتك ولياقتك تذكرني بكبار المصارعين في العالم.. ثم ابتسم رابتاً على كتفه:

- هل تحبُّ العمل معي؟

اعتذر سامح بلطف وأخبره أنه لا بد أن يعود.. عرض عليه الرئيس مجدي استخراج بطاقة شخصية بالبيانات التي يريد لها فور عودتهم.. تردد سامح قليلاً ثم وافق على ذلك بعد أن أخبره الرئيس مجدي أن ذلك سيكلفه مئتي دولار، وبذلك تتبقى معه ثمانمائة دولار من الألف التي أعطاه إياه أبو مصعب ليسيّر أموره حتى يأخذ المال من محل الصرافة.. وصلوا أخيراً إلى قرية الصيادين فاستضافه الرئيس مجدي مدة يومين حتى استخرج البطاقة الشخصية باسم " ناجي السيد مجاهد" .. سأله سامح عن سر هذا الاسم فأجابه:

- هذا شابٌّ من هنا غرق في أثناء مُحاولته الهجرة وهو صغير ولا أحد يعرف ذلك، وعمره تقريباً يُماثل عمرك الآن لو استمر في الحياة.

- ألم تستخرجوا له شهادة وفاة؟

ابتسم قائلاً:

- يا صديقي، من يبتلعه البحر لا أحد يعرف عنه شيئاً، ثم لو أبلغنا عنه فلن ننتهي، نيابة وتحقيقات ووقف حال.

أخذ سامح البطاقة الجديدة التي استخرجت بطريقة شرعية بعد وضع صورة بطريقة فنية معينة تُظهر أنه قد التقط الصورة في السَّجِّل المدني.. كان مظهره قد اختلف كثيراً عن يوم اختطاف ابنه، حلق شعره

تمامًا، اختفت ترهلات جسده وتحوّل إلى القوة والمتانة، وقف على قدميه مشدودًا كوتر العود المتألق، تحوّل إلى اللون البرنزي الأدكن بفعل الشمس الساخنة التي قضى الصيف كله تحتها، أما نظرة عينيه فقد ازدادت عنفًا وحدة حتى لم يعد يستطيع أن يرفع تقطية حاجبيه، يده الناعمة الرقيقة تحوّلّت إلى مطرقة حديدية ثقيلة مشققة جافة، والأكثر خطورة أمام ذاته هو جفاء قلبه الذي تحول إلى صحراء جرداء بلا مشاعر، تسيطر عليه فكرة واحدة فقط وهي الانتقام..

ودّع الرئيس مجدي وشكره على حسن الضيافة ثم ركب الحافلة إلى القاهرة، تأمّل البحر الذي يسير بجواره، من كان يصدق أن يحدث كل ما حدث منذ بداية الربيع، بعد أن كان مسالمًا هادئًا يخشى كل شيء، ها هو متهم بجريمة قتل شرطي ومحاط بالخطر هو وأسرته من كل جانب، ابتسم حين تذكر تدريباته على السلاح الخفيف والمتوسط، ثم بكى حين تذكر نظرات ذلك الشاب الذي ذبحه، كان من الممكن أن يكون رأسه هو الذي يلعبون به الكرة الآن.

الفصل الثاني

وصل القاهرة، كان يُحفظ نفسه الاسم الجديد طوال الطريق حتى لا يخطئ فيه أمام أحد، توجه إلى منزله مُتخفياً في نظارة الشمس الكبيرة وغطاء الرأس الذي يخفي رأسه الحليق، جلس على المقهى القريب، واطمأن إلى أن أحداً لم يتعرف إليه، فهو أحد زبائنه الدائمين، لاحظ حركة غير عادية مع قدوم زوجته وأبنائه معاً من العمل والمدرسة، وضحت له نقاط المراقبة المتمثلة في فرد شرطة يتصنع تنظيم المرور وكشك جديد لبيع الصحف والمنتجات الغذائية الخفيفة زُرِعَ في مواجهة المنزل.. ترك المكان ليعدّ خطة لمحاولة لقاء زوجته منفرداً، توجه بعد ذلك إلى قسم الشرطة، أراد أن يقف مباشرة في وجه الشكّ الأخير في قدرة أحد على التعرف إليه.. دخل متردداً لكن ثابت الخطوة، سأل عن أمين الشرطة القتل، تبرّع زميل له بإخباره أنه توفي في حادث في أثناء الخدمة، تصنّع الغضب والألم وتمتم بصوت شبه مسموع:

- ماذا سأفعل الآن.

همس له أحد الأمناء:

- "هل سُرقت سيارتك؟"
ابتسم له قائلاً:
- "نعم، لكن البعض نصحني بالسؤال عن الأمين دون عمل
محضر وسوف يعيدها لي، ولكن يبدو أنه لا حظَّ لي."
ابتسم له الأمين الآخر قائلاً:
- "لا تقلق، انتظري عند المقهى الصغير في نهاية الطريق وسوف
أحضر خلفك."
في أثناء خروجه من باب القسم فوجئ بصوت غاضب يناديه:
- "توقف عندك."
توقَّف قلبه عن النبض لحظاتٍ، التفت للخلف ففاجأه الضابط
المناوب بسؤال غاضب آخر:
- "مَن أنت وماذا تريد؟"
قبل أن يجيب أنجده الأمين بالرد عنه:
- كان يسأل عن السَّجل المدني، فقد كان يظنه داخل القسم..
سوف أوصله إليه.

هَمَّ الأمين بالتحرك ناحيته، لكن الضابط طلب منه الانتظار قليلاً
وسمح له بالانصراف.. لم ينتظر الأمين، لقد كان كميناً ضرب به عدة
عصافير، تأكد أن لا أحد يعرفه بهيئته الجديدة، عرف الوسيط الجديد،

ازداد ثقة في قدراته.. أَجَرَ فيلا صغيرة اختارها بدقة في منطقة هادئة على طريق سقارة.. عشرة آلاف جنيه شهرياً مدة ستة أشهر لن تُسبَّب له مشكلة.. توجَّه إلى مكتب سيارات فأَجَرَ سيارة متوسطة قوية بأربعة آلاف جنيه شهرياً واتفق على استلامها في اليوم التالي، ذهب بعد ذلك إلى مكتب الصرافة، سلَّم صاحب المكتب خطاب أبي مصعب بعد أن قال كلمة سرِّ مُتعارَف عليها "الشمس ستشرق بعد المغرب"، رَحَّب به الشيخ المهيب الوقور، طلب منه سامح أن يحصل على نصف المبلغ بالدولار والباقي بالجنيه، بعد انتظار قليل تم تجهيز المبلغ في حقيبة لا تلفت الانتباه، طلب منه الشيخ أن يلجأ إليه إذا احتاج أي شيء حسب توصية أبي مصعب.. عاد إلى المكتب الذي أَجَرَ منه الفيلا فسلمه الإيجار مُقدِّماً وتسَلَّم المفاتيح بعد أن قاموا بتنظيف الفيلا، رفض بقاء أي خدم بها، ولكنه وافق على حضور سيدة أسبوعياً للتنظيف يحدد هو موعدها..

ذهب إلى فيلته فقام برفع بعض الأبعاد من أماكن محددة بها بدءاً من البوابة الحديدية الخارجية ثم الباب الرئيسي ومدخل الدور السفلي وبقية الأجزاء، حدَّد مجموعة من الطلبات حرص على إحضارها على عدة مرات حتى لا يثير انتباه أحد، بنى غرفة سرية في الطابق السفلي، وعملَ فتحة هروب خلفية خفية، نَشَرَ تحصينات حول كامل سور الفيلا من أشواك مدببة إلى كمائن دببة ووضع دائرة كهربية حول السور والباب الحديدي، ثم رَكَّب مجموعة كاميرات حول الفيلا وفي أماكن محددة داخله ووضع أجهزة التحكم في جدار سحري بغرفة نومه.. بعد

أسبوع من العمل الشاق تأمل سلاحه الآلي الصغير الذي أحضره معه من سوريا وهو يأخذ قسطاً من الراحة استعداداً لتنفيذ مراحل خطته التي دأب على إعدادها طوال الأشهر الستة الأخيرة.. أعدّ قائمة مبدئية بخطوات العمل، نفذ أولها بمعرفة الأمين الذي يعمل في القسم وسيطاً للعصابة، بدأ بمراقبة دقيقة لتحركات الأمين على مدى اليومين التاليين، كان خلالها يختلس بعض الوقت لمشاهدة زوجته وأولاده.. أعدّ خطة لاختطاف أمين الشرطة حيث تعود ركوب أي سيارة عابرة للتوجّه إلى منزله على أطراف القاهرة.. انتظر اللحظة المناسبة ثم تصنّع أنه يمرّ من أمامه بالسيارة.. كان الأمين يشير إلى جميع السيارات العابرة، وقف أمامه وتصنّع سؤاله على منطقة قريبة من القسم، ابتسم الأمين وأخبره أنه نفس خط سيره، بعد أن ركب معه حدّثه قائلاً:

- أشعر أنني رأيتك من قبل، ألم تأتِ لدينا في القسم لتبلغ عن سيارة مسروقة؟

- ربما كان ابن عمي، فهو يشبهني كثيراً وبالفعل سُرقت سيارته منذ شهر.

ابتسم الأمين قائلاً:

- سأخدمه من أجلك، فقط اجعله يحضر لي في القسم وسأعمل على إحضارها له.

استأذن منه سامح ليقف قليلاً قرب أحد المحلات، عاد وفي يده علبتا عصير وبعض أنواع البسكويت، ثم تصنّع إحضاره لمناديل من

حقيبة السيارة، لم يتمنّع الأمين كثيرًا بل شكره على الفور وبدأ في شرب العصير.. بعد دقائق قليلة ذهب الأمين في نوم عميق... أفأق ليجد نفسه مُكبَّلاً بأغلال حديدية من قدميه ويديه ومعلقاً بين سقف الغرفة خافتة النور وأرضها رأساً على عقب، لم يستوعب ما يحدث لحظاتٍ، ثم أراد الصُّراخ فوجد فمه مغلقاً بقطعة قماش مبلول.. أخذ يهزُّ جسده في جنون حتى كادت أنفاسه تحتنق، بعد أن هداً قليلاً سمع صرير فتح باب حديدي، عاد للاهتزاز وقد تعلق ناظره بالقادم الغامض الذي لا تبدو ملامحه من خلال النور الخافت.. دار سامح حوله دورة كاملة ثم صفعه على وجهه بعنف، سحب قطعة القماش من فمه فإذا به يبكي طالباً الرحمة.. جلس سامح بزاوية لا تُمكن الأمين من التعرف إليه ثم حدثه قائلاً:

- كيف حالك الآن؟
- مَنْ أنت؟ هل فعلتَ شيئاً أغضب قيادات الداخلية؟
- ضحك سامح بسخرية ثم قال:
- إذا كنت تخاف من المحاسبة فلماذا تُخالف القانون؟
- أنا لم أفعل شيئاً يضرُّ أي أحد، أنا أنفذُ أوامر رؤسائي فقط.
- وهل قال لك رؤساؤك أن تعمل وسيطاً لسارقي السيارات؟
- صدقني يا سيدي، أنا بريء، لم أفعل شيئاً.

أظهرَ سامح السوط السوداني للأمين الذي صرخ يسترحمه، ثم قطعَ ملابسه العلوية وهو يصرخ في رعب، بدأ سامح بضربه مرة واحدة، ومن بعدها ضربات متتالية، والأمين يصرخ من الدُّل والألم.. جلس سامح مرة أخرى يلتقط أنفاسه بعد أن صرخ الأمين بأنه سيقول كل شيء..

- اسمع يا لص، وهذا هو اسمك الذي سأناديك به، لا يوجد أحد في العالم يعرف أنك هنا، لذلك سأسألك أسئلة محددة، وفي كل مرة لا تجاوبني فيها سينقص عمرك عشرة أعوم، أنا أتوقع أنك في الخامسة والثلاثين، وربما ستعيش حتى الثمانين، أي هي أربعة أسئلة ونصف؟

الأمين باكيًا:

- "سأقول كل ما تريد".

- اسم زعيم العصابة التي تمولك وعنوانها.

- لا أعرف.

أنزلَ سامح مباشرة الرافعة التي ترفع الأمين حتى غطس رأسه في دلو ماء كبير وتركه عدة ثوانٍ ثم أخرجه ونفسه يكاد ينقطع، وجسده كله يرتجف.. بعد أن استردَّ أنفاسه المتقطعة صرخ:

- ارحمني، أنا لا أعرف اسمه ولا شكله، أحد زملائي هو الذي عرض عليَّ العمل معهم عندما انتقلت إلى قسم تحقیقات

السيارات، وأعطاني رقم هاتف أتصل به عند كل بلاغ، وبعد تمام العملية يسلمني ألف جنيه.

- المرة السابقة كان ماءً باردًا، المرة القادمة سيكون ماءً ساخنًا.
صرخ الأمين:

- "ماذا تريد مني؟ لقد قلت ما أعرفه."

صرخ فيه سامح وهو يحكم قبضته على رقبته:

- كاذب، أنت تعرف أكثر من ذلك.

ثم ضغط بعنف على عينيه حتى كادت تخرجان في يده.

حينها صرخ الأمين قائلاً:

- نعم نعم، سأقول كل شيء، هناك ضابط في القسم مسئول عن عمليات أكبر لا أعرفها، ولكن زميلي الأمين سيد يعرفها، دوره أهم مني بكثير، أنا لا أعرف شيئاً أكثر من ذلك، ارحمني أرجوك.

لم يجد جواباً فنظر يميناً ويساراً، لكنه لم يجد سامح، بل سمع صوت إغلاق الباب بعد إطفاء النور، فأخذ يصرخ في جنون.

خرج سامح من الغرفة المحصنة التي صنعها في الدور السفلي متجهاً مباشرة ناحية القسم، جلس على القهوة القريبة من القسم يترقب

ويترصّد الموقف، تفرّس في بعض الموجدّين من حوله حتّى نادى على صبي القهوة وسأله:

- أريد أحدًا داخل القسم يستطيع مساعدتي في أمر شخصي.
- ثم أعطاه خمسين جنيهاً ووعدّه بمثلها إذا حصل على ما يريد.
- الصبي بعد أن تفرّس فيه جيّدًا:

- ما نوع هذه المصلحة؟
- مشكلة في محضر.
- تريد اللعب في محضر.
- بل أريد كتابة محضر قوي في شخص أكرهه.
- ابتسم الصبي قائلاً:

- لن تجد أفضل من الأمين سيد، يستطيع إدخال الشيطان نفسه إلى السجن بمحاضرته القويّة.. ولكنه يأخذ مبلغاً كبيراً.
- كيف أصل إليه؟

- اترك هاتفك معي وسيصل بك اليوم مساءً.

خرج سامح متجهاً ناحية منزله القديم، تصنّع شراء أشياء لا قيمة لها من كشك المراقبة وحاول مصاحبة البائع المزيف فيه بحذر شديد لأنه لا يعرف مدى خطورته.. رفرف قلبه وحلقت روحه حين رأى ابنه (وحيد) عائداً إلى المنزل معه كتبه، فيما يبدو أنه كان عند المدرس

الخاص، لم يستطع تمالك دموعه وهو عائد من حياته الطبيعية إلى حياته الافتراضية.. أكمل بعض الإنشاءات المبتكرة في الفيلا حتى المساء، جاءه اتصال قُرب منتصف الليل، كان صوت محدثه هادئًا خافتًا:

- ألو، الأستاذ ناجي معي؟

كاد يغلق السماعة مباشرة لولا أن تذكر أن هذا هو اسمه الآن فأجاب بعد قليل.

- نعم نعم معك.

- لقد تركت لي هذا الرقم مع صبي القهوة.

- أهلاً وسهلاً، أخيراً، لقد ظننتُ أنه نصب عليّ.

سيد ضاحكًا:

- يمكن أن يفعلها فلا شيء غريب عليه، المهم، أخبرني أن لك مصلحة عندنا.

- نعم يا سيدي، أنا واقع في مشكلة وأريد عمل محضر قوي ضدّ مَنْ تسبب بها.

- أعطني فكرة عن الموضوع.

- أريد شراء فيلا في منطقة سقارة وترفض صاحببتها تركها بالأدب.

- ولماذا لم تذهب إلى القسم القريب منك؟

- أنت تفهم طبعًا أن هذا الأمر لا يمكن أن ينتهي بطريقة طبيعية، وقد سألت كثيرًا عمن يمكن أن يساعدني لأتخلص من تلك العجوز العنيدة، فأوصلني أولاد الحلال إليك.
- أولاد الحلال أم أولاد الحرام؟
وأطلق ضحكة خيشنة.
- كما ترى يا كبير.
- وكم يبلغ ثمن هذه الفيلا؟
- أقل من مليون.
- ولماذا تصرّ عليها؟ هل هناك شيء تحتها؟
- تقصد آثار مثلاً؟
- مثلاً!
- وهل تمكّنت من الحفر تحتها حتى أعرف؟
- اسمع، هذا موضوع كبير ولن أكون فيه وحدي، نلتقي غدًا قبل الساعة صباحًا في ميدان رمسيس، هل يُناسبك؟
- ولو قلت لي الآن فساكون في أي مكان تختاره.
- أحب الجدية في العمل، إلى اللقاء.
- أغلق ناجي الاتصال وهو سعيد بأكل سيد للطعم.. نزل بعدها إلى الغرفة السرية، ما إن دخل حتى صرخ فيه الأمين:

- أرجوك ارحمني، لقد قلت لك كل ما أعرفه، وقد تبثُ على يديك، صدقني.

كان سامح قد قرر نهائياً أن يركز حتى في تفكيره على اسم ناجي، ولهذا بدأت الشخصية الجديدة تتمكن منه شيئاً فشيئاً، وارتاح نفسياً من صراع الخير والشر الذي كان يسيطر عليه منذ البداية، سيطلق لناجي العنان ليفعل ما يراه مناسباً حتى يسترجع رائف.. بعد أن أحكم وثاق الأمين أنزله ثم وضعه في قفص حديدي صغير من عشرين قفصاً متجاوراً ركبها في أثناء إعداده للغرفة السرية الكبيرة متمنياً ألا يحتاج لترتيب أقفاص جديدة.. بعد أن أحكم توثيق قدميه وجسده بسلسلة حديدية جالساً فكّ يداً واحدة واستمر في توثيق الأخرى، وضع له بعد ذلك ماءً وطعاماً قليلاً انكبَّ عليه الأمين الذي لم يأكل منذ يومين.. تركه مسلسلاً وخرج لينال قسطاً من الراحة بعد أن أجرى تدريباته العنيفة اليومية ليحافظ على لياقته..

وصل إلى ميدان رمسيس قبل الساعة السابعة، ترك سيارته في شارع جانبي خلف مسجد الفتح، ثم جلس في إحدى الكافيتريات الفاخرة داخل محطة القطار.. اتصل به الأمين سيد وطلب منه اللقاء في شارع عماد الدين في مقهى محدد.. نزل سريعاً وسار الدقائق العشر الفاصلة حتى وصل إليه، وجده جالساً بزيه الرسمي، ما إن حيّاه وجلس حتى انضمَّ له شخص مريب بزي مدني.. نظر ناجي بغضب إلى الأمين الذي حدثه قائلاً:

- قلت لك إن العملية كبيرة ولن أكون بها وحدي، سننهي مرحلةً مرحلةً، وهذا هو الأستاذ أيمن مدير مكتب الشهر العقاري بالمهرم سيعرفك بالمطلوب تمامًا..

حيّاه ناجي ثم قال لسيد:

- أنت سريع الحركة جدًا، ألا يجب أن تطمئن لي أولاً؟

وضع سيد سلاحه على المنضدة:

- المصالح كثيرة، ونحن نتعامل معها كلها بمبدأ واحد: من يصدق معنا يستفيد ونستفيد، أما من يكذب فلن يكلفنا سوى طلاقة وعلى حسابه.

- أحب الاحتراف في العمل، هكذا نحن متفقون.

ثم التفت للسيد أيمن الذي يبدو من شعره الأبيض وبطنه المتهدل أنه في بداية الخمسينات فحدثه:

- اسمع يا سيد ناجي، ستحضر لي الأوراق الأصلية للفيلا.

- ولكنني لا أملكها؟ أنا أعرف فقط اسم مالكها.

نظر أيمن لسيد ثم قال:

- لا مشكلة، سنستخرج نسخة منها من مكتبنا ولكن ذلك سيكلف أكثر قليلاً.

- لا عليك من التكاليف، سأغطي جميع المصاريف وبعد انتهاء العملية سيكون لكل من اشترك فيها ما يطلبه.

- اسمع يا سيد ناجي، بعد انتهاء العملية سنخصم المصاريف ونقتسم المبلغ المتبقي بيننا وبينك.
- لا مشكلة نهائياً، أنا موافق طبعاً.
- استكمل أيمن شرحه:
- بعد استخراج الأوراق ستكتب عقد بيع ابتدائي وسأوثقه لك، ثم ترفع قضية إثبات صحة توقيع وسأعمل على أن تكون أمام قاضي من معارفنا، ثم ستحضر سيدة معها بطاقة شخصية باسم السيدة صاحبة الفيلا وشاهدين يوم الجلسة لينتهي الأمر.
- دع هذا الأمر لي.
- تأخذ القرار للسيد الأمين فيسوي الأمور مع أحد الضباط وتخرج قوة لتسليمك الفيلا.
- أنتم منظومة فساد كاملة ومغلقة.
- الكل يسرق البلد، والحياة أصبحت صعبة جداً، وصدقني الأمر يزداد صعوبة كل يوم، فالأغبياء يضيقون علينا الخناق جداً.
- تقصد الشرفاء.
- بل الأغبياء، تجد الموظف أو الضابط أو القاضي يعاني لكي يكمل الشهر براتبه ثم يرفض بإصرار أي محاوله لتنمية موارده ويطلق الشعارات التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

ابتسم ناجي:

- هؤلاء الأغبياء هم مَنْ ينقذون هذا البلد من عذاب السَّاء الذي قد ينزل بسببنا.

أطلق ضحكة مجنونة تجاوب معه فيها أيمن وسيد.. خرج ناجي مع أيمن إلى مقر عمله، دخل مكتبه عبر حشود ممن يقفون في انتظار دورهم والجميع يتعامل معهم بجفاء، سمع كلمات نارية من نوع:

- واسطة، فساد، لن ينصلح حال البلد ما دام أمثالكم يتحكم في مصالح الناس.

ابتسم ناجي مُعلِّقاً:

- الحلقة مغلقة أيها الأذكياء".

دخل مكتب المدير الذي كانت تنتظره جموع كثيرة للحصول على إمضائه، طلب منهم الانتظار قليلاً لإنهاء أعمال مهمة.

سمع مَنْ يُحسِن عليه فابتسم بعد أن أغلق الباب قائلاً:

- وكأن كلماتهم سيكون لها صدى في الأرض أو في السماء..

أحرق الكلمة سامح فظهر فوق ناجي قائلاً:

- أرجوك لا تتطرق إلى أمور دينية ليس لك علاقة بها، دعنا في الأرض.

- أنت متدين؟

- وهل لما نفعله علاقة بأي دين؟
 - وهل تعتقد أننا نفعل شيئاً؟ يا حبيبي هناك كبار في هذا البلد يتاجرون بكل شيء من دماء الناس إلى أعراضهم وحتى آثارتنا، يبيعون ويشترون في البلد كأنها إرث أهاليهم، نحن صغار جداً وما نأخذه فتات.
 - على رأيك، لا نشغل بالننا بالحلال والحرام، بعد أن نصبح أغنياء نتوب عن كل ذنوبنا.
- ضحكنا معاً ضحكة شيطانية معتقة بصبر الناس الذين كلت أقدامهم في انتظار أن يتعطف عليهم السيد المسئول بقضاء مصالحهم.. عاد إلى الفيلا بعد أن أكمل جولته اليومية بالاطمئنان على زوجته وأولاده من بعيد.. ما إن أدخل السيارة وقبل أن يغلق الباب فوجئ بشخصين يهجمان عليه، سقط أرضاً فأخرج أحدهما سلاحاً أبيض يريد أن يضربه به.. تدارك الموقف سريعاً وهجم على البعيد أولاً فأسقطه بضربة واحدة مغشياً عليه، ثم التفت لصاحب المطواة الذي هجم عليه ففتداه ثم وجه له ضربة قاصمة كسرت ذراعه فصرخ من الألم، تبعها بضربة مباشرة أفقدته وعيه.. سحبهما سريعاً إلى داخل الغرفة السرية ووضع كل واحد منهما في قفص وأغلق عليهما.
- خرج على وقع دقّ على الباب الخارجي، وجد حارس الفيلا المجاورة يطمئن عليه بعد أن سمع صوت صراخ.. طمأنه ناجي أنه بخير فحدثه الحارس:

- اسمع يا ولدي، أنت هنا وحدك ولا أعرف لماذا، والمنطقة مليئة بالخارجين عن القانون ولصوص الآثار، يقتلون أي أحد مقابل المال.

دعاه للدخول فحاول الاعتذار إلا أن ناجي أصرَّ على دخوله، جلسا في بهو الفيلا الصغيرة ثم أحضر ناجي مشروبًا باردًا للحارس الذي شكره عليه وهو يُعرِّف نفسه:

- أنا عمك صبري، لي هنا أكثر من عشرين عامًا أحرس قصر حسين بك، حقيقة لم أجد أخطر ولا أصعب من العامين الماضيين.

- وهل حسين بك هنا؟

- مهاجر هو وأسرته منذ عشرة أعوام، لكنه يرفض بيع قصر الأسرة رغم كثرة العروض، يقولون إن تحته مقبرة ملك فرعوني.

- وهل تصدق هذه الأمور؟

- يُقال إن ساحرًا مغربيًا قد أشار منذ أكثر من خمسين عامًا إلى وجود المقبرة، لكن مرصود لها جني قوي لن يسلمها إلا لمن يعطيه ما يريد.

ناجي ساخرًا:

- وما الذي يريده هذا الجني الجميل؟

- هل تسخر من العالم السفلي؟!
 - يا عم صبري لا حقيقة إلا ما نراه، والحقيقة أغرب من الخيال في كثير من الأحيان.
 - يبدو أنك تحمل همومًا كثيرة.
 - ومن في هذه الدنيا لا يحمل همومًا، على العموم أنا سأطلب منك طلبًا أرجو ألا ترفضه.
 - لو كان في استطاعتي لن أتأخريا ولدي.
 - في فترات غيابي هل يمكن أن تكون الفيلا في حمايتك
 - كما تريد، ولكن.. هل ستترك لي مفاتيحها؟
 - تحميها من الخارج فقط، لن يجرؤ أحد على دخولها، وأنصحك ألا تحاول تسلق السور لأنه مُكهرَب.
 - لهذا وجدت بعض الحيوانات نافقة بجوار السور.
 - هل معك سلاح؟
 - نعم.. معي سلاح مرخص، لماذا تسأل؟
 - أردت الاطمئنان عليك في هذه المنطقة الخطيرة.
- صبري ضاحكًا:

- يا ولدي كل حراس الفلل هنا أبناء عمي، والجميع يعرفنا، لو جرى التعدي على أحد منا سنُدمّر المنطقة بمن فيها.. المشكلة

في الفيلا التي تسكن فيها، كل من يؤجرها يختفي أو يرحل
فجأة بعد وقت قليل، أرجو أن تعمرها، فيبدو أنك إنسان
محترم.

ضحك ناجي:

- لا تخش عليّ، أحبُّ السيطرة والثقة والقوة، سأعطيك خمسمائة
جنيه شهرياً، اتفقنا.
- بدون أية أموال، نحن في خدمتك يا أستاذ...
- ناجي، اسمي المهندس ناجي.
- لنا الشرف يا مهندس.

قام بعدها صبري إلى القصر بينما دخل ناجي بعد أن أغلق الباب
جيداً وشغل جميع أجهزة الحراسة.. توجّه أولاً إلى غرفة التحكم
لمشاهدة ما سجلته الكاميرات، لاحظ أن أربعة أشخاص حاولوا
اقتحام الفيلا في وقت سابق لكن الصدمة الكهربائية أرجعتهم.. تتم:

- "إذن هناك آخرون، ربما كانوا في الخارج أو ينتظرون إشارة من
زملائهم".

نزل إلى الغرفة السرية، ما إن فتح الباب حتى صرخ الشاب الذي
كُسرت ذراعاه:

- "أرجوك ارحمني، سأموت من الألم".

- اخرس يا كلب، لا تتحدث حتى آمرك.

وجّه الأمين حديثه للشابين قائلاً:

- قلتُ لكما ألا تتحدثا حتى يُطلب منكما.

لم يُعقّب عليه ناجي بل كان الغضب والشر يقطر من عينيه حين أعدّ الطاولة في منتصف الغرفة تحت الإضاءة الباهتة ثم دخل على الشاب مكسور الذراع وجره من شعره وهو يصرخ يسترحمه حتى وضعه على الطاولة ممدداً وأحكم وثاقه ولم يهتم للذراع المكسورة التي كانت تشعل الفتى ناراً.

وجّه بعد ذلك برميل ماء معلقاً فوق الطاولة بحيث ينزل قطرة واحدة كل ساعة تقريباً على منتصف رأس الفتى، كان الأمين والشاب الآخر يُشاهدان المنظر والرعب يملكهما.

بعد أن أنهى كل ما يريد جلس تحت الضوء الخافت وسأله بهدوء:

- أريد أن أعرف حكايتكما.

صرخ الشاب الموجود في الزنزانة قائلاً:

- أرجوك ارحمنا، نحن مجرد لصوص حظهم سيئ.

قام ناجي وفتح قفصه الحديدي ثم ضرب رأسه بعنف في الحديد حتى سالت دماؤه.. عاد بعدها إلى مكانه قائلاً:

- لا أحد يتحدث إلا بعد أن أمره.

هنا صرخ الشاب المقيد قائلاً:

- يا سيدي نحن مجرد لصووص نتهجم على البيوت.
- ومَن كان معكم؟
- لا أحد معنا، نحن نعملُ وحدنا.
- أمسك ناجي بقطارة صغيرة ثم أنزل منها قطرة واحدة على رأس الفتى في نفس مكان نزول قطرة الماء، فصرخ من الألم وهو يبكي.
- هذه نقطة واحدة من ماء النار، كل كذبة ستساوي مضاعفة الكمية إلى أن تذوب تمامًا.

صرخ الشاب:

- سأقول لك كل شيء، نحن نعمل مع المعلم ليب صاحب المكتب الذي أجرة لك الفيلا.
- أكمل.
- وقد تعودنا منذ سنوات أن نسرق ونُرهب كل من يُؤجّرهما ليهرب ويترك الإيجار الذي دفعه للمعلم.
- وأين صاحبة الفيلا؟
- مهاجرة مع أولادها.
- مثل صاحب القصر.
- نعم... فقد هاجروا جميعاً معاً.

- ولماذا لا تُؤجِّرون القصر أيضًا؟
- لا أعلم... نحن ننفذ الأوامر فقط، أرجوك، ارحمنا.
- وأين هم الآن؟ لقد كنتم أربعة تراقبون المكان.
- نعم، لقد جننا معًا، ثم أصبحنا نراقب من بعيد، وقالوا إنها مهمة سهلة نستطيع أن نُؤديها وحدنا.. لا بد أنهم معًا الآن في المكتب ينتظروننا.
- اتصل بالمعلم ليبب وقل له أن يحضر ومعه بقية الرجال وأن كل شيء تحت السيطرة.
- صاح زميله الذي في القفص الحديدي قائلاً:
- لا تفعل يا مجنون، سوف يقتلك المعلم ليبب.
- توجَّه ناجي نحوه مباشرة، كانت آثار الضربة الأخيرة لا تزال على وجهه، تمكَّن منه الرعب تمامًا وصاح يرجوه ألا يضربه، بينما أمين الشرطة يضحك في جنون:
- أخبرتك ألا تتحدث يا غبي.
- وضع في فمه قطعة قماش مُبلَّلة بالكلوروفورم بعد أن أحكم وثاقه:
- لو كُتبت لك الحياة فسرتاح من لسانك حتى الصباح.
- عاد إلى الشاب الممدَّد على الطاولة ومعه هاتفه الذي كان قد أخذه منه بعد ضربه، فتحه له وطلب منه الاتصال برئيسه ليطلب منه القدوم

لأن الأمور تحت السيطرة.. اتصل الفتى بالمعلم لييب وفتح الصوت ليُسمع ناجي، طلب منه القدوم سريعاً لإنهاء الأمر في هدوء الليل.. أغلق ناجي الهاتف فوراً ثم خرج ليستعد للقادمين.. ترك الباب الخارجي للفيلا مفتوحاً، ثم وضع خلف الباب الداخلي بقليل سائلاً لزجاً بحيث يسقطون ويضربهم بعدها بسلاح صيد بحقن مهدئة تُمكنه من السيطرة عليهم.. وصلوا بسيارتهم ووقفوا أمام الفيلا، دخلوا بهدوء كيلا يلفتوا انتباه أحد.

بعد أن تعدوا الباب الداخلي يتحسسون طريقهم بسبب الضوء الخافت، فوجئوا بالأرض اللزجة فوقعوا معاً، في نفس اللحظة كان ناجي يسيطر على الموقف بإطلاق السلاح البيطري عليهم، قبل أن يفهموا ما يحدث كانوا يغيبون عن الوعي.. أدخلهم إلى الغرفة السرية ووضع الشابين كُلاً في زنزانة وأحكم وثاقهما، ثم أجلس زعيمهما على كرسي كبير بجانب الطاولة وأحكم وثاقه.. خرج سريعاً ليتخلص من سيارتهم، قام بالسير بها قليلاً حتى منطقة هادئة تماماً ثم تركها تغرق في ترعة المريوطية.. أفاق لييب بعد قليل ليجد نفسه في هذه الوضعية، حاول الالتفات فوجد رأسه مثبتاً بإحكام إلى المقعد، ويده مثبتتين بمسامير ضخمة للكرسي، وقدميه مربوطتين بإحكام شديد.. صرخ في الذي اتصل به قائلاً:

- سأقتلك، سأقطعك وأرميك للكلاب أيها الخائن.

قطعت حديثه ابتسامة ساخرة من ناجي:

- مرحباً بك أيها النجم، تخدعني أنا وتريد أن تقتلني.
- لم أكن مطمئناً لك منذ البداية، من أين يملك صياد مبلغ ستين ألف جنيه يدفعها مرة واحدة؟
- ولماذا قبلتَ إذا؟
- كنتُ متأكداً أنك تُخفي سرّاً ما، تاجر مخدرات، تاجر آثار.
- كم أعشق الطّمع والطّماعين! تحضرهم شهواتهم إلّي دون عناء، اسمعُ أيها الكبير، ليس عندي وقتٌ لك ولا لكلابك هذه، أنتم مرض لا بد من التخلص منه، لكن يمكنك تخلص نفسك لو أخبرتني عن شركائك وطريقة عملك.
- انتبهوا على صراخ الشاب الممدّد على الطاولة:
- أرجو وووووك، أوقف قطرات الماء، ستصيبني بالجنون.
- ابتسم ناجي وحدّث لبيب قائلاً:
- نقطة ماء صغيرة لا قيمة لها ستصيبه بالجنون، انظر فوقك.
- حاول لبيب تحريك رأسه لكنه لم يستطع.. ضحك ناجي بتحدّ ثم قال:
- لن تستطيع الحركة يا مسكين، لكنني سأجعلك تشعرُ بما لا تراه.

صَعَدَ سُلَّمًا صَغِيرًا ثُمَّ فَتَحَ صَنْبُورَ بَرْمِيلٍ آخَرَ مَثْبُتًا فَوْقَ الْكَرْسِيِّ
فَنَزَلَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَى فَخْذِ لَيْبِيبَ فَصَرَخَ مِنَ الْأَلَمِ.. نَزَلَ نَاجِي بَعْدَ أَنْ
أَغْلَقَ الصَنْبُورَ ثُمَّ حَدَّثَ لَيْبِيبَ:

- البرميل مليء بحامض الكبريتيك المركز، كل نقطة ستكون
حفرة في جسدك، لكنني أحذرك، بعد خمس نقاط سيصل
الحامض إلى ما بين فخذيك..

- أيها الشيطان، ماذا تريد؟

- أنا شيطان؟ ضربه بعنف على خده الأيمن فتحركت بحركة
عكسية لينغرز مسمار صغير في خد لبيب الأيسر، صرخ مرة
أخرى.

صاح فيه ناجي:

- مَنْ أَنْتُمْ؟ وما أَنْشَطْتَكُمْ؟ مَنْ زَعَمَ أَوْكُمْ، لَا تَتَذَاكِي عَلَيَّ، غِيبِي
مِثْلَكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُودَ عَصَابَةً أَوْ يَخْطُطَ وَيَفْكَرَ، هِيَ.. لَيْسَ
عِنْدِي وَقْتُ.

أَصْرَّ لَيْبِيبَ عَلَى رَفْضِ الْحَدِيثِ.. فَتَحَ نَاجِي الصُّنْبُورَ الْمَحْكَمَ
لِلْحَامِضِ قَائِلًا:

- كُلْ سَاعَةً سَتَنْزِلُ عَلَيْكَ قَطْرَةٌ، إِذَا بَقِيتَ حَيًّا فِي الْغَدِ نَكْمَلُ
حَدِيثَنَا.

خرج ولبيب يناديه:

- أيها المجنون، لن تستفيد شيئاً بموتي.
- لم يلتفت له بل ذهب ليتحدث إلى منصور في مطروح.. أرسل رسالة فارغة لمنصور، بعد دقيقة حدّثه من رقم خاص لا يظهر على الشاشة..
- كيف حالك يا صديقي؟
- بخير يا ملك، اسمعني كيلا أُطيل عليك، عندي ستة ديوك أريد أن أبيعها لك.
- برضاها أم مجبرة.
- مجبرة.
- سليمة؟
- بل بها بعض العيوب الناتجة عن السيطرة عليها.
- لا نقبل العيوب المزمّنة والمسبّبة للعجز.
- عيوب مؤقتة ستُشفى سريعاً، أقصاها كسر في أحد الأجنحة.
- وهل يمكن تُسلّمها في اليوم الذي سافرت أنت فيه؟
- نعم ممكن، سأعدها وأطوّعها.
- سأحدث مسئول المحل وأردُّ عليك بشأن الثمن.
- لن نختلف، سأنتظرك قبل منتصف النهار الغائم.
- سأرسل لك سيارة البقر.

ابتسم ناجي:

- في انتظارك.

أكمل ليلته بالتمارين المعتادة، ثم نال قسطاً من الراحة.. استيقظ مبكراً، نزل من فوره إلى الغرفة السّرية.. ما إن دخل حتى صرخ لبيب وصبيه الممدّد على الطاولة في نفس واحد:

- الرحمة.. الرحمة.. سنموت.

جلس في زاويته المفضّلة حتى هدأ.. وجّه حديثه للبيب:

- أمامك عشر دقائق حتى النقطة السادسة، أخبرني عن الأكبر منك وعملكم الرئيسي.

بدأ لبيب في الحديث وقلبه ينتفض خوفاً من النقطة السادسة بعد أن اقترب من الشواء بفعل النقاط السابقة.. بدأ حديثه متوتراً قلقاً.. ازداد عرقه وانتفض جسده حتى كاد يتوقف قلبه، قام ناجي مبتسماً وأوقف نقاط الحامض.. تنفّس لبيب الصعداء وأكمل حديثه بعد أن هدّده بأنهم لن يتركوه.. سرد وقائع أنشطتهم الرئيسية في البحث عن الآثار وتهديد أصحاب المنازل ليتركوها والسرقة في بعض الأحيان..

كانت الرائحة الناتجة عن فضلات الموجودين تزكم الأنوف. خاصة أن المكان لا توجد به منافذ سوى مراوح شفط داخلية.. طلب من الشاب الممدّد أن يتحمل عملية تجبير ذراعه وإلا سيتم قطعها، فعلها وسط صراخ مرير من الشاب.. أعطاهم طعاماً قليلاً كلٌّ على

حدة، ثم تركهم وسط استراحات لا تنتهي.. أخذ مفاتيح المكتب الخاص بليب وتوجّه إليه ليحصل على جميع الوثائق والأموال الموجودة في الخزينة التي وصفها له بدقة.. جَمَعَ ما وجده ثم أغلق المكتب سريعاً، ذهب إلى المول القريب، اشترى مستلزمات الرحلة للأسرى وعاد إلى الفيلا، كان النهار يقترب من منتصفه حين وجد صبري في انتظاره على الباب، سأله عن الأحوال فأخبره أن سيارة المعلم ليب وجِدت في الصباح غارقة في التربة.. لم يُعر الأمر اهتماماً وسأله عن أهمية هذا الخبر..

- منذ قدمت المنطقة وهو المتحكم في كل شيء هنا.
- لا تقلق، سيخرج كلب غيره ويقوم بدوره.
- هناك أمر مريب وخطير يحدث.
- لعلّها تصفية حسابات بين العصابات، أو أحد الكبار في الدولة قد غضب عليه.

دخل إلى الفيلا وبدأ في فرز المستندات وحصر الأموال، أقل من مئة ألف بقليل، أكثر ما لفت انتباهه في الأوراق عدد الفلل والقصور التي يملك أصولها، لكن ما أثاره أكثر خريطة صغيرة يبدو أنها لمكان ما داخل القصر المجاور.. ترك كل شيء وخرج مسرعاً لُقرب موعد خروج زوجته من عملها.. وضع سيارته حيث تعود في الشارع الخلفي لعملها، ثم وقّف مُترقّباً نزولها، ابتسم عندما رآها من بعيد، سار خلفها حتى ركبت في سيارة أجرة جماعية، ركب في المقعد الذي خلفها، أخذ

نفساً عميقاً معبئاً برائحتها التي اشتاق إليها، أغمض عينيه يتخيل لحظاتها معاً.. أفاق من أحلامه على نزولها قرب المنزل.. أثر عدم النزول خلفها حتي لا يلفت الانتباه وهو يطلب من نفسه الصمود والقوة حتى انتهاء المهمة وعودة الغائب.. اتصل بالأمين سيد يسأله عن الأخبار، أخبره أن كل شيء يسير حسب المخطط ولكنهم يحتاجون لدُفعة عشرة آلاف جنيه لحساب القاضي.

اتفق معه على اللقاء على العشاء في أحد المطاعم الفاخرة على نيل القاهرة، وطلب منه إحضار أيمن معه.. عاد إلى سيارته ثم توجه إلى أحد أندية اللياقة فاستمر فيها أكثر من ساعتين يؤدي تدرياته العنيفة..

في الموعد حضر أيمن مع سيد وجلسا إلى الطاولة التي أبلغهما بها.. لحق بهما بعد قليل ثم طلب منهما أن يختارا العشاء الذي يريدانه بينما طلب لنفسه قطعة سكالوب ومعها كول سلو.. ضحكا على ما طلب فأخبرهما أنه يتبع نظاماً صحياً طيباً.. أعطى سيد ظرف المال ومعه ألف جنيه له، وأعطى أيمن مثلها.. بعدها أعطى سيد ورقة فيها اسم لبيب كاملاً وطلب منه أن يتحرى له عنه.. ثم قال لسيد إنه يريد في اليوم التالي لأمر مهم.. تركهما وقد وثق تماماً أنه نال ثقة سيد وأزال كل الشك بينهما.. عاد إلى الفيلا فشاهد ما سجلته الكاميرات سريعاً ثم نزل إلى الغرفة السرية.. ما إن دخل حتى سمع الأنين المتصاعد وصراخ الشاب الذي كاد يُجن بسبب نقطة المياه التي تنزل على رأسه.. حدثهم قائلاً:

- "لقد صدر الحكم بعدم الحاجة إليكم."

صرخوا في رعب يسترحمونه، فأتبع:

- لا تخافوا لن أقتلكم، ولكن أريدكم أن تُنفذوا كل ما سأقوله لكم.

هدؤوا تمامًا، بدأ بالمعلم لييب، أخرج المسمار من يده اليمنى ثم عاجلها سريعًا بوضع مادة كاوية عليها لوقف النزيف، وبعدها وضع عليها مُضادًا حيويًا ثم ربطها جيدًا، فعل الشيء نفسه في يده اليسرى.. بعدها طلب منه أن يخلع كل ملابسه، ثم أمر الشاب الذي ضربه قبل ذلك مرتين أن يساعد معلمه في الاغتسال مقيد القدمين بسلسلة تمكنه من الحركة بصعوبة.

بعد أن أتمَّ الاغتسال وجفَّفه بقطعة قماش كبيرة، أعطاه ملابس داخلية جديدة ورداء عمال المصانع المميز المكوّن من قطعة واحدة، طلب من الشاب تكرار الأمر مع كل فرد موجود على حدة وهو يتذمر في صمت بسبب الروائح الكريهة والملابس الملوثة بمخلفاتهم، وأعطى كلاً منهم ملابس داخلية جديدة ورداءً جديدًا، ثم جعله ينظف المكان تمامًا بمطهر وخرطوم مياه.. بعدها أعطى كل واحد منهم وجبة فاخرة سابقة التجهيز انكبوا عليها جميعًا في شراهة ونهم.. تركهم وصعد ليجهز عملية تسليمهم لرجال منصور.. نزل إلى الغرفة السّرية في السابعة صباحًا ومعه فطور خفيف وعلب عصير، حرص على أن يتناول كلّ منهم طعامه خاصة العصير.. في التاسعة صباحًا كانت سيارة منتجات ألبان لشركة مشهورة تقف أمام الفيلا.. ابتسم لأنه كان

يشك طوال عمره في نشاطات صاحبها المريبة.. لاحظ وجود صبري فأرسله لإحضار فطور فاخر من الجيزة التي كانت على بُعد أكثر من عشرة كيلومترات.. كان الستة في حالة إغماء كاملة ستستمر مدة يوم على الأقل حين وضعوا كُلَّ واحد منهم في جوال بضائع محكم، ثم أدخلوهم واحدًا تلو الآخر في جيب سري في مؤخرة صندوق السيارة محكمة الغلق، ساعد ناجي سائق السيارة النقل المتوسطة والشخصين اللذين معه في إرجاع كراتين الجبن واللبن والزبادي التي أنزلوها ليفتحوا ممرًا إلى الجيب السري في السيارة، ودَّعهم وهو يعرف أن مرور السيارة من كمائن الشرطة ووصولها إلى مطروح وحتى إلى حدود ليبيا لن يُثير الشُّبهات.

الفصل الثالث

عاد صبري وسأله عن ضيوفه فأخبره ناجي أنهم ليسوا ضيوفًا وإنما مندوبو توصيل لأنه يشتري احتياجاته شهريًا، وقد رفضوا الانتظار لضيق وقتهم، طلب منه الاحتفاظ بالفطور وباقي المال الذي أعطاه إياه، ثم خرج سريعًا ليلحق بموعد الأمين سيد بعد أن ارتاح من صُداع الأسرى.. كان سيد قد حصل على إجازة من عمله للقاء ناجي في كافتيريا شارع عماد الدين.. وصل ناجي فوجد سيد في انتظاره، بعد التحية المعتادة دخل ناجي في الموضوع مباشرة:

- اسمع يا سيد، أريد أن أشتري طفلًا عمره ما بين ست وسبع سنوات.

توقف سيد عن شرب الشاي ثم حدّق فيه قائلاً:

- لم أكن أعرف أنك شاذٌّ ومنحرف إلى هذه الدرجة!

أخذت ملامح ناجي تتحول إلى الجدية الشديدة والغضب ورسم تلك النظرة الشرسة التي جعلت قلب سيد يدقُّ بعنف:

- أنا متزوج في إيطاليا وعندي طفلان، أي معلومة أخرى عني فيها خطر بالغ على حياتك.
- أرعبت الكلمة سيد، فهدأت حدة نبرته وتلعثمت كلماته:
- يبدو أنك لا تحبُّ الدعابة، ولكن من قال لك إني أعرف طريق أطفال معروضين للبيع؟
- اسمع يا سيد، أنا أعرف عنك كل شيء، لا أحبُّ العمل مع أحد أجهله، ولا أعتقد أن مَنْ يسرق قد تفرق معه نوع البضاعة.. وعمومًا سأخبرك، أنا في حاجة إلى مساعد أيمن لي في المستقبل، وأريدُ أن أربيّه على يدي وأضمن ولاءه لي.
- أمر غريب؟ ولماذا لا تعتمد على أحد أولادك.
- لأنني لن أستطيع قتل ابني لو خانني أو استغنى عني.
- أصابت الكلمة سيد في مقتل فأدرك للمرة الأولى أنه يتعامل مع شخص عنيف وغامض.
- أنا أعرف وسطاء يعملون في هذا المجال.
- أخبرني عن أكبرهم الذي يعرف الجميع لأنني أريد أن أختار بعناية، ولي مواصفات خاصة جدًا.
- غدًا سأردُّ عليك.
- ليس عندي وقت للغد، اليوم أريد ردًّا.

ثم أعطاه خمسة آلاف جنيه ووعدته بمثلها عند تمام المهمة.

- حسنًا، سأحاول... لقد جمعتُ لك معلومات عن لبيب.

- أخبرني سريعًا.

- ليس من نوعية الأشخاص الذين تحبُّ اللَّعبَ معهم، قوي،

عنيف، غامض، عملياته كلها تدور حول تجارة الآثار، يقولون

إنه يحتفظ بمخزن سريٍّ في أحد القصور في سقارة لكل

محصلات عملياته.. وقد علمتُ أيضًا أنه لا يعمل وحده، بل

له شركاء يُقال إنهم في أرفع المناصب بالدولة.

أصابته المعلومة الجديدة ناجي بالغضب، كيف لم يتنبه إلى طبيعة

عمل صبري الحقيقية؟ خاصة أن القصر لم يُؤجَّر منذ سنوات طويلة!

كيف لم يتنبه إلى قصص العفاريت التي يحاولون بها إبعاد الجميع عن

القصر؟ لقد كان صبري جاسوسًا إذن! لا بد أنه كان يعلم أن لبيب

ورجاله كانوا سيزورونه.

قام من فوره بعد أن طلب من سيد اللقاء مرة أخرى نهاية اليوم،

وأكد له أنه يريد اختيار الطفل بنفسه.. عاد إلى الفيلا سريعًا، صعد إلى

غرفة التحكم ليراجع ما سجلته الكاميرات وهو ينعت نفسه بالغباء

لأنه أبلغ صبري بأمر الأسلاك الكهربائية.

صُدِمَ وفَرِحَ في الوقت نفسه حين شاهدَ صبري يئنُّ في الجزء

الخلفي للفيلا، لقد حاول اقتحامها إذن! أسرع إليه فإذا أحد أكمته

الدببة مُطبق على قدمه اليمنى والدماء تنزف منها، دار حوله في غضب
ثم قال:

- الكلب يظل كلبًا مهما يحدث، هل أخبرت أحدًا بما حدث لك؟
صبري وهو يئنُّ:

- نعم، ابن عمي سيصلُ الآن ومعه سلاحه وسيقضي عليك.
أسرع بجذبه والشَّركُ الحديدي مُطبَّق عليه إلى داخل الفيلا ثم إلى
الغرفة السَّرية وألقاه فيها، ثم خرج سريعًا في انتظار القادم الغامض..
صعدَ إلى غرفة التحكُّم وراقبَ ما يحدث حتى رأى رجلًا متوسط العمر
يدور حول السور في حذرٍ ليصل إلى النقطة التي قفزَ منها صبري بعد
أن قطع الأسلاك الكهربائية.

نزلَ مُسرعًا وما إن قفزَ من فوق السور حتى استقبله ناجي بقبضة
حديدية في وجهه ألقتَه على العشب الأخضر فاقدًا للوعي.

سحبهُ إلى حيث صبري، ما إن رآه حتى ازداد نحيبه وعويله، ثم
تحول إلى الرجاء والاسترحام:

- أرجوك يا باشا، لا دخل لنا بشيء، نحن مجرد كلاب حراسة.
- أريدُك أن تخبرني كل شيء تعرفه عني، وكيف كنت تراقبني؟
- لم أفعل سوى ما طلبه مني المعلم لبيب، تسجيل تحركاتك
ومواعيد دخولك وخروجك ومن يزورك.

- وأين كنت منذ يومين؟
- لقد أعطاني المعلم إجازة لزيارة أسرتي.
- كان صبري مُمدِّدًا داخل الزنزانة الصغيرة مُكبَّلاً ومُتألماً بشدة بسبب جراح قدمه.. أسرع ناجي بوضع مادة مُطهِّرة على القدم المصابة مما جعل صبري يصرخ من الألم:
- أرجوك ارحمني، سأقول الحقيقة.. في اليوم الذي يحددونه للهجوم على ساكن الفيلا أذهب أنا للسهر في مكان علني على مقهى في شارع متفرع من شارع الهرم ليراني الجميع، حتى أكون بعيداً عن الصورة لو حدث تطوُّر من أي نوع.
- وما الذي تحرسه داخل القصر؟
- لا أعرف.
- أمسك ناجي بالسَّوط هذه المرة وضربه عدة مرات بعنف قائلاً:
- أنا أكره الخونة وأكره مَنْ يتلاعب بي.
- صبري صارخاً:
- صدقني لا أعرف شيئاً، مهمتي الحراسة الخارجية فقط.. أرجوك، ارحمني وسأكون خادماً المطيع.
- وأي مكانٍ تظنُّ أن المعلم ليبب موجود فيه الآن؟
- لا أحد يعرف، الشائعة القوية تقول إنه تمَّ التخلص منه من الكبار بسبب طمعه وخيانتة لهم.

تركهم وخرج مسرعاً بعد أن رنَّ جهاز الاستدعاء الشخصي ينذره بوجود اتصال هاتفي.. كان المتصل سيد يطلب لقاءه بعد المغرب في مكانهم برمسييس.. أعدَّ نفسه سريعاً ثم خرج لمحاولة رؤية أولاده وزوجته، فشل في ذلك فاعتراه الغضب الشديد، وأصر على إنهاء الأمر في أسرع وقت ممكن.. تناول غذاءً سريعاً، ثم توجه مبكراً إلى المقهى.. بعد قليل جاء سيد ومعه شخص مريب غاضب مريع.. تحدث سيد أولاً:

- هذا وهدان الشرس، أحد أهم رجال الظلام في البلد.
- ثم ضحك ببلاهة، فأتبع وهدان:
- سيد رجل متخلف، لأول مرة أعرف أنه يُقابل أناساً محترمين.
- هل أخبرك سيد عن المطلوب؟
- أتريد قطع غيار أم تربية أم استخداماً شخصياً؟
- أريد ابناً أربيّه.
- سيكلفك ذلك عشرين ألفَ جنيه.
- لا يهمُّ المال، المهم أن أختاره بنفسِي.
- نظر وهدان إلى سيد ثم قال:
- ولماذا الإصرار على هذا الشرط؟ أماكن تجمع الأطفال لا تُناسبُ مقامك الرفيع؟

- أنا لي نظرة وشروط معينة لن تفهمها أنت أو غيرك.
- يا معلم وهدان قلت لك إنك ستتعامل مع شخص مختلف، لا تخف، أنا أضمنه لك برقبتي.
- لن تكفيني رقبتك لو كان في الأمر خدعة.
- ابتلع سيد ريقه بينما أراد ناجي السيطرة على الموقف وهزيمة هذا المتباهي فقال في حدة:
- اسمع يا أخ وهدان، أنا لا أحب هذه اللغة، لو كنتَ تستطيع تهديد سيد أو السيطرة عليه، فأنا أستطيع حرق القاهرة بمن فيها وبها فيها لو أردتُ ذلك، الزم حدودَ عملك ولا تتعدَّ على أحدٍ في حمايتي.
- كانت الكلمات من القوة بحيث أذهلت وهدان وجعلته يتبرم ويرتعد في داخله، بينما بثَّ نوعاً من الثقة في قلب سيد الذي تحدث:
- أنا لا أقبل أن تهددني يا وهدان، وما تستطيعه أنت يمكن أن أفعل مثله عشر مرات، ولا تنس أن مصيركم في يدي.
- نحن لم نأت هنا ليُهدد بعضنا البعض، هذا لقاء عمل.
- اتفقوا على اللقاء في اليوم التالي بعد أن يعدَّ وهدان جولة في قاع المدينة.. طلب من سيد البقاء فانصرف وهدان وأكمل معه الحوار:
- ما رأيك فيه؟

- غادر، مُحَادِع، قلبه ميت.
- بالتأكيد، وإلا ما أصبح زعيمًا له هبة وقوة.
- وكيف تكسب ثقة هؤلاء المنحرفين؟
- كما كسبتُ ثقتك!
- ناجي ضاحكًا:
- "تراني مُنحرفًا إذن؟ وماذا تسمي نفسك؟"
- كبير المنحرفين.
- وأطلق ضحكة خسنة.
- ألا توجد رقابة عليكم؟ ألا تخشون أحدًا؟
- قيادات الوزارة في عالم آخر، واهتماماتهم مُنصبَّة على أمن الدولة والمخططات الإرهابية وحماية كبار رجال الدولة، أما القيادات الأصغر فبعضها غارق في مشكلات أمنية والبعض الآخر مهتمُّ بتأمين مستقبله.
- إذن أين الضباط الفاسدون الذين نسمع عنهم؟
- موجودون في كل مكان، خاصة في الحلقات التي لها اتصال مباشر برجال الأعمال.
- يضعفون أمام الإغراءات الكبرى.

- والبعض يُقاوِمُ حتى يتعرض للتهديدات المباشرة من جهات أكبر .
- والذي يصِرُّ على الشَّرَف؟
- حسب قوة مَنْ يقاومه، عندنا مثلاً عملَ أحد الضباط تحريات حول أحد رجال الأعمال الذي كان متقلداً منصباً سياسياً سابقاً حتى أكد تورطه في عدة قضايا فساد، جرى تحذيره وتهديده وخطف ابنه .
- خطفوا ابنه؟
- نعم، رغم ذلك لم يتوقف حتى لفقوا له قضية مخدرات ولم يقف بجانبه أحد.
- وكلكم تعلمون أنه مظلوم!
- الوزارة كلها تعلم ذلك، ولكن لا أحد يستطيع مساعدته.
- الشريف ضعيف والفاقد قوي؟ الحق مسجون والباطل حُرٌّ طليق! ما أفسى هذا الشعور! قل لي: هل عاد ابنه؟
- نعم، بعد سجنه.
- وهل وهدان هو الذي اختطفه؟
- لو اختطفه وهدان لا يمكن أن يعود.
- منذ متى وهو مسجون؟

- أكثر من عام.

ترك سيد بعد تناول الغذاء في أحد المطاعم الفاخرة عائداً إلى الفيلا.. راجع الكاميرات واطمأن على الأوضاع ثم أنزل طعاماً لصبري وابن عمه واسترحماه كالعادة، لكنه لم يكن مُرَكِّزاً معهم. صعد سريعاً باحثاً عن تاريخ قضية الضابط فريد كارم البحر، ٣٨ سنة، رئيس قسم التحقيقات في مديرية أمن الجيزة سابقاً، انفصلت عنه زوجته بعد دخوله السجن، لديه ولد وبنت، تُوفيت والدته متأثرة بسجنه، كانت محاكمة سريعة جداً انتهت بحكمٍ مُؤبَّد، تقدَّم باستئناف تحدت جلسة النظر له بعد أسبوعين..

استغرق ناجي في تفكير عميق قطعه اتصال من رقم لا يظهر،
أجاب على الهاتف قائلاً:

- أهلاً أهلاً يا منصور، كيف الأحوال.

- لماذا لم تتخلص من هذا الرقم؟ وترنُّ عليَّ من الرقم الجديد
كالعادة؟ ألم نتفق على أنك ستغير الرقم الذي تتصل بنا منه
أسبوعياً؟

- نعم نعم، لقد انشغلتُ فعلاً.

- لقد أقلقتنني عليك، أمنتك يهمننا جداً.

- هل وصلت الأمانة؟

- وصلتُ، وقد اضطررنا لذبح الديك الكبير بعد أن حاول الهرب.
- يستحق الذبح.
- سنخصمه من الحساب.
- ناجي ضاحكًا:
- "لا عليك، وبقية الشحنة؟"
- ذهبْتُ إلى الثلاجة تمهيدًا لتوزيعها على الأسواق.
- لا تنزلوها كلها معًا في سوق واحدة.
- بالتأكيد، لدينا استراتيجية للتوزيع، لا تقلق، حسابك موجود في البنك، المرة القادمة نريد دجاجًا طازجًا.

أنهى ناجي المكالمة ثم حرق شريحة الاتصال ووضع مكانها أخرى جديدة من الخطوط التي تُباع دون الحصول على بيانات صاحبها.. خرج مرة أخرى ليمرَّ حول السجن الموجود فيه فريد، وجده شديد الحراسة أسواره عالية جدًا.. أكمل يومه بين التدريبات المعتادة ووضع خططًا وتصوُّرًا للمرحلة التالية، في الصباح توجَّه إلى مواعده مع وهدان، اعتذر سيد عن عدم الحضور لعدم قدرته على الحصول على إجازة من عمله.

بدأ معه بالمناطق الشعبية داخل القاهرة التي يعمل أغلب العاملين فيها في التسوُّل وبيع المناديل والسرقات الصغيرة، كان قلبه يتقطع كلما

شاهدَ طفلاً صغيراً مُشوَّهاً أو مُهملاً وتخيَّلَ حجم التعذيب الذي يعانيه الطفل خاصةً إذا كان كبيراً قليلاً ليخضع لخاطفيه.. خرجوا بعد ذلك إلى المناطق الحدودية شديدة الخطورة.. أنهوا القاهرة وتوجهوا للجيزة إلى أن وصلوا إلى حدود منطقة الصف، صعدوا الجبل حتى وصلوا إلى منطقة وعرة فوجئ بعدها بساحة بها عدد ضخم من السيارات الواضح أنها مسروقة، ثم وصلوا إلى منطقة السكن المحروسة جيداً بعدد كبير من الأشخاص الحاملين لأسلحة آلية، الجميع يعرف المعلم وهدان ويحترمه.. كان يتأمل عالماً غير العالم ودولة مستقلة داخل الدولة.. وصل إلى مكتب مدير العمليات كما يجب أن يسمى نفسه، رحَّب بهما وأخبره أن هذا المكان لا يحتفظون فيه بالأطفال كيلا يعتدي عليهم الشباب الجائع الموجود بالخارج، لكن صورهم محفوظة في ملف على جهاز الكمبيوتر.. ضحك ناجي وهو يجلس على الجهاز من المفارقة، أخذ في تصفح الصور حتى سقط قلبه في قدمه.. إنه رائف، أخيراً.. بدت الفرحة الطاغية على ملامحه.. حدث وهدان قائلاً:

- أريدُ هذا الصغير..

قام مدير العمليات فعمل قليلاً على الجهاز، ثم هَزَّ رأسه قائلاً:

- للأسف غير متاح.

انتفض قلب ناجي مرة أخرى:

- "هل اشتراه أحدٌ آخر؟"

المدير ضاحكًا:

- "نعم جرى شراؤه ولكن ليس قطعة واحدة."
- صمتٌ ناجي، ارتعدت أناملُ سامح، اهتزَّ كيأُنه، تصاعدت نبضاتُ قلبه حتى خرج صوت سامح مرعوبًا:
- "ماذا تقصد؟"
- "وهدان":
- لقد بيعَ لأحد المستشفيات لاستخدامه قطع غيار.
- تقطع قلبه، لكن ناجي أمسك زمام الحوار قائلاً:
- على أي أساس يجري اختيار الأطفال الذين تُؤخذ أعضاؤهم.
- "المدير":
- جميع الأطفال الذين يجري اختطافهم تُؤخذ منهم عينات نسيج ودماء وغيره، مَنْ تتوافق عيناته مع قائمة الانتظار يذهب إلى هناك.
- ثم ضحك قائلاً:
- وهذا الصغير كان كنزًا متنقلاً، تطابقت تحليلاته مع الكثير من المنتظرين، لقد بيعَ كُلُّ شيءٍ فيه.
- لم يستطع سامح أن يتحمل، طلب الخروج فورًا.. لكن ناجي ردعه ثم وجَّه حديثه لوهدان قائلاً:

- "هل هناك أماكن أخرى."
- "وهذان.... يوجد مناطق في محافظات أخرى، وهناك أطفال أجانب بالمناسبة لو لم يعجبك الإنتاج المحلي."
- "أتبع المدير":
- وعندنا فتيات من كل الألوان والأعمار والجنسيات لو تغير ذوقك.
- فهم ناجي التلميح لكنه أجابه قائلاً:
- عندك حق، زوجتي في إيطاليا ولا يستغني الرجل عن المرأة.
- "المدير":
- إذن ندعوك لحضور العرض القادم بعد عشرة أيام، سيخبرك المعلم وهذان بالمكان والزمان.

خرج ناجي وهو يحاول دراسة المداخل والمخارج التي يمرون عليها.. ثم وصلوا إلى المكان الذي طلبه وهذان على وعد بلقاء مُتجدد.. بعد أن ابتعد قليلاً أوقف سامح السيارة وانهار في بكاء مرير.. عاد إلى الفيلا مهزوماً يجرُّ أذيال الحنية، صعد إلى غرفته والصراع يحتدم في داخله، كان سامح مسيطراً.. كل شيء ضاع، حياتي ضاعت، مستقبلي ضاع، ابني ضاع، لا أستطيع العودة إلى ما كنت عليه قبل اختطاف رائف، لا فائدة من المقاومة الآن.. أخرج مسدسه من الدرج ووضعه في فمه لينهي هذه المعاناة.. في غضب عارم صاح فيه ناجي:

- أيها الضعيف المتخاذل الجبان، هل تترك ثأر ابنك وتهرب كعادتك؟ بعد كل ما حدث؟ بعد كل ما عانيت وما قاسته أسرتك؟ هل تترك الجاني يفلت بجريمته؟ لو لم يكن هناك طماع وفاسد يدفع في مقابل أعضاء ابنك لم يكن ليموت، هل ستركهم يستمتعون بأعضاء ابنك ويعيشون حياة طبيعية؟

"سامح":

- اصممتُ أيها القاتل، منذ عرفتُك وحياتي قد تحوّلت إلى جحيم، فقدتُ إنسانيّتي وقُدّرتي على ممارسة الحياة بصورة طبيعية، كل ما أفكر فيه هو القتل والانتقام.

- أيها الضعيف، كم مرة تركت حقّك وتساهلت مع من ظلمك! ستقول لي إن معظم الناس هكذا، نعم، أنا معك، ولكن.. كم واحدًا خُطف ابنه؟ كم واحدًا هددوا أسرته ودمروا حياته؟ لقد ألصقوا بك تهمة قتل الأمين وحُكم عليك بالإعدام، أم نسيت! أنت ميت في كل الأحوال، فلماذا تموت كالكلب بلا قيمة؟

"سامح صارخا":

- اصممتُ أيها المتوحش، لم أعد أطيعك.

- اغضب، أريدك أن تثور، دافع عن شرفك، عن وجودك، هل نسيت ما كانت تتعرض له زوجتك من مضايقات زوج أختها

- الذي لا يعرف أحد حقيقة عمله؟ ماذا فعلت؟ منعت الزيارات؟ وماذا بعد؟ لا شيء؟
- كانت مرة وانتهى الأمر.
 - وما يدريك؟ هل نسيت كلمات الأمين لك وهو يموت؟ لقد خانوني، ابتعد عن القريب، واقترب من البعيد، وابحث حولي وحولك.
 - تقصد أن آدم زوج شقيقة رانيا قد يكون له دخل بما حدث؟
 - وسيد ووهدان لهما يد فيما حدث للأمين.
 - ولكن فيم سيفيد كل ذلك؟ لقد مات رائف وانتهى الأمر.
 - متخاذل ضعيف، ألا تفهم أيها الغبي؟ الطيب يموت وتدوسه الأقدام.
 - أنت تريد أن تسود شريعة الغاب.
 - إذا أكل الضبع ابنك لا بد أن تقتله، أما إذا أكل الأسد ابنك فلن تستطيع مواجهته، ولكن يمكنك عمل كمين له وأسرته والتمكّن منه وتعذيبه حتى الموت.
 - لا يمكن أن أستمّر، لا أتحمل منظر الدماء والعنف والغدر وكل ما في قاموسك.
 - هذه مرحلة مؤقتة.

- ولكن ما الذي جعلك تشكُّ في آدم؟ لقد كان بعيداً عن تفكيري .
- لأنك ساذج، ألم تسمع عن أنشطته المشبوهة من قبل؟
- نعم سمعتُ، ولكن ما دَخَلَ ذلك بنا؟
- ألم يحاول رشوتك ليدخل إلى الشركة التي كنتَ تعمل بها ليعمل مقاولاً؟ ألم يطلب منك أن تخبره بأسرار المناقصات التي كنتَ تعمل عليها؟ ولما رفضتَ حاول التحرش برانيا؟ لماذا في رأيك؟
- للانتقام مني؟
- بل ليكسر عينك، ولا تستبعد أن تكون زوجته مشتركة معه في التخطيط.
- معقول؟!!
- من الغريب جداً أنك ما زلتَ تتعجب من الأشياء رغم كل ما مررنا به معاً، هل كنتَ تصدق أن منصور يعمل مع فرق مسلحة بل ويصدر البشر إليها وإلى أوروبا؟ هل كنتَ تعرف أشخاصاً مثل وهدان وليب وسيد؟ حقاً لم تكن مثالياً ولكنك مثل معظم الناس كنتَ تقرأ في الصحف عن الحوادث والصراعات والحروب فتنهم الجميع بالمبالغة، لك أخطاءوك وتجاوزاتك وانحرافاتك العادية.

- لم أكن أتصور قط أنني قد أحمل سلاحًا وأخطئ بل أقتل.
- كل إنسان بداخله الخير والشر، لا يوجد وسط، ولا يمكن التراجع عن اختياراتنا، كثرة الضغط تولد الانفجار.
- وانفجاري أعطاك الفرصة للظهور، مخلوق غاضب صاحب دموي بلا رحمة.
- هل كنت ستطلق عليّ الوصف نفسه لو كنت مثلاً تعمل في جيش ما أو في شرطة مواجهة أو حتى في عصابة مسلحة؟ هل ضميرك سيكون مرتاحًا وأنت تقتل أو تعذب في تلك الحالة؟
- القياس مختلف تمامًا، على الأقل تلك الفئات يجري تأهيلها نفسيًا واجتماعيًا وبدنيًا لما يفعلونه، أنا شخص عادي، تفوقت في دراستي الثانوية فدخلت كلية الهندسة، عملت فور تخرجي في شركة كبرى واجتهدت حتى أصبحت مدير المشروعات بها، التقيت زوجتي المهندسة في العمل وتزوجتها، لست مسؤولاً عن سلوكيات شقيقتها وزوجها الذي يعمل مقاولاً من الباطن، أنا شخص عادي، طبيعي .
- لم تكن حياتك طبيعية قط، هل نسيت المنافسة الشرسة مع زملاء المدرسة والضغوط المستمرة من والدك عليك لتتفوق، هل نسيت قسوته العنيفة وحتى ضربك وتعذيبك أحيانًا؟ هل نسيت ضغوط العمل التي كانت تصل إلى الضرب تحت

الحزام؟ كم مرة تجاوزوك وظلموك وأنت تقول ظروفني
ونصبيي! هل نسيت تهديدات آدم المستمرة ومحاولته اغتصاب
زوجتك وتصويرها ليكسر ك ويحرك على تسريب أسرار
الشركة له؟

لم يجد سامح إجابة تناسب هول ذلك الموقف ولا كم الغضب
الذي سيطر عليه منذ ذلك الحين.. فأتبع ناجي:

- اتركني ولا تقاومني مرة أخرى، ولا تحاول أن تؤذيني، أمامنا
مشوار طويل يجب أن نصل لنهايته، سأصفي حساباتنا مع
الجميع، وأعدك، بعد أن نأخذ حقنا.. سأتركك إلى الأبد.

نزل ناجي إلى الدور السفلي، ما إن دخل حتى صاح صبري:

- ارحمني يا سيدي، عندي أولاد أريد أن أريهم، أنا كلبك
المطيع.

- قل لي يا صبري، من تعرف غير لبيب؟

- طوال عشرين عامًا لم أعرف معلمًا غيره، يظهر البعض ويختفي
فجأة ونسمع عن قتل هذا أو سجن ذلك، لكن دائمًا كان
المُحكّم هو المعلم لبيب، أوامرنا ورواتبنا نأخذها منه مباشرة.

- لقد اختفى المعلم لبيب ولا أحد يعلم إن كان حيًا أم ميتًا، أو
إن كان أحد الكبار قد غَضِبَ عليه، ماذا ستفعل لو أطلقت
سراحك؟

"صبري ملهوفاً"

- سأكون خادمك المطيع.
- وما الذي يضمن ولاءك لي؟
- صرخ عندها ابن عم صبري:
- يا سيدي نحن مجرد حراس لا دخل لنا بصراعاتكم، ولا يهمنا ما تفعلونه معاً، أطلق سراحنا ولن ترانا مرة أخرى.
- اسمع يا صبري، أنا أقدر أنك كنت تابعاً للبيب وتنفذ أوامره، لكنه اختفى الآن ولا أحد يعرف عنه شيئاً، وأنا أريد أحداً من المنطقة ليخدمني.
- تهللت أسارير صبري:
- لن تجد أفضل مني ولاءً وإخلاصاً.
- وما الذي يضمن لي ذلك؟
- خُذْ ما تريد من ضماناتٍ.
- أريدك أن تقتل ابن عمك الآن وسأصوّرُك وأنت تفعل ذلك حتى يكون دليلاً ضدّك، ولن أبلغ الشرطة لو ختنتني، بل سأرسل الفيديو لأهلك في الصعيد، وأنت تعلم طبعاً أن الثأر سيحرق عائلتك كلها.

نظر صبري لابن عمه الذي صرخ في ناجي:

- أنت شيطان، لو وقعت في يدي لذبحْتُكَ.
- عمّ بعض الصمت قطعه صبري قائلاً:
- نحن أناس نعيش يوماً بيوم، وكلمتنا هي شرفنا، لا يمكن أن
أخون ابن عمي، اقتلني أو اقتلنا معاً لا يهم.
- ابتسم ناجي:
- هل تعرف أراضٍ معروضة للبيع هنا؟
- تعجّب صبري من توقيت السؤال ثم أجابه:
- نعم، المعروض كثير والمساحات كما تريد.
- وكَمْ يبلغُ ثَمَنُ الفدان؟
- حسب نوعه وقربه من الطريق، يبدأ من نصف مليون.
- أريد شراء عدة فدادين ومعها بيت صغير.
- وكيف سنوفّرُها لك ونحن هكذا؟
- "ناجي ضاحكاً":
- عندك حق، ستعود إلى عملك الطبيعي في القصر بعد أن نؤدي
مهمة معاً الليلة.

كانت قدّم صبري لا تزال متأثرة بما حدث لها، لكن ناجي صمّم أن
يأخذه مع ابن عمه إلى مكتب لبيب، تصنّع اقتحامه بمفاتيح قال لهم إنه

جعل رجاله يصنعونها عندما علم بغياب لبيب، كان المكتب مبعثر المحتويات، فقال لهم إن ذلك لا بد من فعل الكبار الذين يقفون خلف اختفاء لبيب.. أخبره صبري عندها أن ما يبحثون عنه موجود في القصر وليس هنا.

بعد أن خرجوا حدّثهم ناجي:

- الكاميرات التي في المكتب صوّرت كل ما حدث، ولو عاد لبيب في أي وقت وشاهدها سيعلم ما فعلتم ولن يرحمكم.

ارتعدا من جديد ثم قال صبري:

- ولماذا لم تنبهنا لذلك؟ هل ما زلت تظن أننا سنخونك؟

- ولاؤكما الأصلي للبيب، الآن أضمن أن ولاءكما لي، ومعني ستكسبان كثيرًا.

كان ناجي قد عطّل الكاميرات وأخذ كل ما هو مُسجّل عليها من المرة الأولى، وكان سرّ عودته ما شاهده عند تفريغ الكاميرات من مكان سري أسفل المكتب كان لبيب حريصًا ألا يظهر في الكاميرا. وكأنه يهرب ممن يراقبه، وبالفعل وجد فيه مبلغًا من الدولارات لم يُحصّه إضافة إلى تمثال فرعوني ذهبي صغير، أخفاها جميعًا في حقيته بعد أن طلب من صبري وابن عمه انتظاره بالسيارة.

عاد إلى الفيلا وأنزل صبري وابن عمه بعد أن ضمن ولاءهما على وعد بالبحث في اليوم التالي عمّا خبّاه لبيب في القصر طوال السنوات

الماضية، راجع الكاميرات واطمأنَّ على الأحوال، ثم أحصى الدولارات فوجدها تقارب الثلاثمائة ألف جنيه، بحث بعد ذلك في النت عن معلومات حول التمثال، فإذا بها قطعة نادرة جداً لإخناتون تساوي ملايين الدولارات.. حاول النوم لكن كميات القهوة التي يشربها مع التوتر والقلق والغضب المستمر التي هي من سمات شخصية ناجي منعتة، فاض شوق سامح لزوجته على تحمله، قام في قلب الليل يؤدي تدريبات عنيفة على أجهزة اللياقة حتى سقط جسده مُنهكاً، فأكمل ليلته نائماً في صالة التدريب.. أيقظه صوت جرس هاتفه الذي لا يفارقه، كان سيد يريد لقاءه لأمر مهم.. ارتدى ملابسه سريعاً وتوجّه إلى شارع عماد الدين مُبكراً قبل زحام الصباح، وجد سيد في انتظاره.. قال سيد:

- الدنيا مقلوبة بسبب لبيب.
- ما الذي حدث؟
- يبدو أنه كان مرتبطاً مع قيادات كبرى في الدولة وفي الخارج، هل سمعتَ عن زيارة وزير خارجية الدولة الأوروبية الكبرى أول أمس؟
- الحقيقة أنه ليس لديَّ وقت للسياسة.
- المهم أن الزيارة علناً كانت لمتابعة العلاقات، لكن سراً كانت لضرورة الوصول إلى لبيب بأي طريقة لأنه خطر على الأمن القومي وقالوا إنه ربما يكون جاسوساً.

- وهل هو جاسوس فعلاً؟
- لا، لكنه أحد ملوك التنقيب وتجارة الآثار، ونظنُّ أنه يمتلك أسراراً وعلاقات دولية خطيرة، ونعتقد أنهم يخشون أن يكون قد هرب بالآثار والأموال، خاصة بعد تفتيش مكتبه وشقته وعدم الوصول لشيء.
- ولكن لماذا تخبرني بهذه المعلومات؟
- هل لك دُخْلٌ في اختفائه؟
- اسمع يا سيد، لبيب هو الذي أجَّر لي الفيلا التي نحاول تخليصها بالتزوير بعد أن علمت أن أصحابها قد هاجروا، وقد كنتُ أريد أن أعرف مع مَنْ ألعب حين يصدر الحكم وأبيعها.
- إذن أنت محظوظ ومستفيد من اختفائه.
- ومَنْ قال لك إنه لن يعود؟ سأعطيك سبباً لا يعرفه أحد سمعته ربما يكون سبباً في ترقيتك.
- "سيد متحمساً":
- أخبرني بسرعة.
- هذه المعلومة سمعتها من شخص اسمه نادر اختفى بعد يومين من اختفاء لبيب، لقد هرب إلى أمريكا في طائرة خاصة باسم مُستعار ومعه كل الأموال والآثار الخفيفة النادرة،

سيهرب في جزيرة في المحيط الهادي ولن يراه أو يعرفه أحد بعد اليوم.

- أنت متأكد؟

- العُهدَة على الراوي.

- إذن طابت لك الفيلا ولن ينازعك أحدٌ فيها.

- هذه صفقة سأنجزها وأترك المكان، بالتأكيد ما دام الموضوع فيه دول لن يتركوا الأمر بسهولة وسيصلون إلى كل ما كان لبيب يفعله.

- تعجبني رأسك الذهبي، أخشى أن تكون أنت أيضًا تابعًا لدولة أجنبية.

ثم ضحك ضحكته الخشنة.

بعدها طلب منه مبلغًا لتسيير الأمور حتى جلسة الحكم.. أعطاه ناجي ألف جنيه قائلًا:

- ليست خسارة فيك، وكلها مصروفات حتى تأخذ مبلغًا محترمًا من صفقة الفيلا..

عاد إلى القصر باحثًا عن صبري الذي كان في انتظاره.. كان القصر خاليًا من الأثاث تمامًا، نزلوا إلى الدور السفلي فلم يجدوا شيئًا، أخبره صبري أنه كان يظل على الباب الرئيسي عندما يحضر لبيب ومعه بعض

الرجال يحضرون صناديق مغلقة أو يأخذونها، لكنه لم يعرف قط ماذا يحضرون أو يأخذون.. تذكّر حينها ناجي الخريطة الصغيرة التي كانت في أوراق لبيب، كانت تشير إلى أسد مرسوم في قلب المطبخ، صعد مع صبري وبحث عن المطبخ حتى وجده معلقاً بين الدور السفلي والدور الأول، تفحصه جيداً حتى وجد أسداً صغيراً خلف الثلاجة، ضغط عليه فإذا بباب سريّ يفتح في الناحية الأخرى، ابتسم ناجي لصبري الذي كان يقف مذهولاً ثم قال له:

- هل علمت الآن لماذا كان لبيب يمنعك من دخول القصر؟
أعشق العقول الهندسية التي كانت تبني هذه القصور.

نزلا عبر السلام الحجرية القديمة إلى غرفة واسعة بعد أن أضاء ناجي النور، مجموعة من الصناديق الخشبية والتماثيل الحجرية الصغيرة، بدأ في فتح الصناديق فإذا بها مجموعة من المومياءات وعليها أوراق في حاظفة صغيرة، أحصاها فوجدها إحدى عشرة، فتح إحدى الحافظات فإذا بها إشارة إلى مكان المقبرة الأصلية وأهم محتوياتها، وصور لها، أذهلته محتويات المقابر المصورة، سأله صبري عن معنى هذا وعن هؤلاء الأموات.

طلب منه ناجي الخروج أولاً ثم حدثه بعد أن اطمأن إلى عودة كل شيء إلى ما كان عليه:

- إنهم ملوك وملكات من أسر فرعونية مختلفة، وجد هؤلاء اللصوص مقابرهم فأخرجوا صاحب المقبرة وأحضروه إلى

هنا ليؤكدوا اكتشافهم ثم يسوقون لبيع المقابر بما فيها أو قطعة قطعة.

- ولماذا يفصلون الأموات ويحضرونهم هنا وحدهم؟
- ليتاجروا بها وحدها، الكنوز يبيعونها للصوص أما المومياوات لا يفهم قيمتها سوى علماء الآثار، وقد تساوي أكثر من قيمة الكنوز نفسها، إنهم يتاجرون في التاريخ، الآن فهمت سرَّ اهتمام بعض الدول بليب. اسمع يا صبري، نحن في خطر حقيقي، ماذا فعلت في موضوع الأرض؟
- هناك أربعة فدادين وفيلا معروضة قريباً من هنا مقابل مليوني جنيه ونصف المليون.
- اتصل بصاحبها اليوم لإنهاء الموضوع، وستتولاها أنت وابن عمك حراسةً وزراعة.. كما سأعطيك عمولتك كاملة.
- تركه لينهي شراء الأرض وتوجّه إلى الفيلا، فأخذ الدولارات وذهب إلى الشيخ رفيق في محل الصرافة.. رحّب به وأخبره أن له ستين ألف جنيه مرسلةً من أبي مصعب.. طلب منه ناجي تحويلها إلى جنيهات.. حوّلها له بسعر السوق السوداء فتعدّى المبلغ الإجمالي عدة ملايين، طلب منه الشيخ رفيق أن يجمع أي مبلغ من الدولارات من السوق؛ لأنهم يسعون للسيطرة على الاقتصاد تمهيداً لخطوة أكبر، وسيعطيه أعلى من سعر السوق بنصف جنيه..

ابتسم ناجي وهو يخرج واعدًا إياه بمساعدته، الكل يعمل لمصلحته الشخصية، مخططات كبرى وأمواج هائلة تموج بها المناطق الخلفية لهذا العالم الكاذب المتجمل.. ذهب إلى منزله القديم، ظلَّ جالسًا في سيارته حتى لاحت من ابنته نظرة عبر النافذة، أخذت قلبه وهي تغلقها، من الخطر عليهم جدًّا الاتصال بهم في هذه المرحلة الضبابية، ومع كل هذه العلاقات الخطرة..

اتصل به صبري يخبره أن صاحب الأرض ينتظره لإنهاء الاتفاق.. توجه إليهم مباشرة والتقاهم في الفيلا الجديدة، منطقة هادئة تبعد قليلًا عن الطريق، الأرض محاطة بسور من أشجار الفيكس العالية وفي الداخل صوبة زراعية صغيرة وبيت صغير للحارس والخادم وبجوارها مبنى صغير للمواشي، ومزروعة بأشجار الموالح، بعدها الفيلا المتوسطة المكوّنة من دورين بدون دور سفلي..

دخل في مناقشات ومفاوضات حتى انتهت إلى تخفيض المبلغ ربع مليون مقابل الدفع الفوري في اليوم التالي خاصة أنها تحتاج إلى الكثير من الصيانة، كتبوا عقدًا ابتدائيًّا.. في اليوم التالي كانوا عند أيمن في الشهر العقاري للتسجيل، طلب منه كتابة المكان باسمه ثم بيعه لوحيد سامح شاهين أبو العلا، سأله عن الشاري فأخبره أنه أحد عملائه، وقلبه يئنُّ وينزف شوقًا إليه، كتب الفيلا والأرض باسم ابنه حتى يجد شيئًا إذا ما قُتل على يد إحدى الدوائر المغلقة التي يتراقص بينها، مقابل عشرة آلاف جنيه، خفّض له أيمن رسوم التسجيل من أكثر من مئة

ألف جنيه إلى عشرة آلاف جنيه فقط، كل شيء مباح ما دام اللصُّ
مسئولاً كبيراً والضمير هاجر إلى اليابان.

أكّد له جلسة الفيلا منتهية ضمناً ويعتبرها ملكه، خرج مع صبري
وطلب منه الذهاب إلى مكتب هندسي يعرفه مسبقاً، ويطلب منه إرسال
مهندس لعمل تطويرات للفيلا الجديدة في اليوم التالي، كانت أهم
مميزات صبري أنه ينفذ المطلوب منه دون زيادة أو نقصان.

الفصل الرابع

عاد إلى الفيلا القديمة وراجعَ جميع مخططاته، ثم أعاد ترتيب الأولويات، التقرب من وهدان لمعرفة من قام بخطف رائف وبيعه ثم كل من اشترى أعضائه، تهريب المقدم فريد ليساعده المرحلة التالية، متابعة عصابات التنقيب عن المقابر الفرعونية التي تتبع لبيب.. اختطاف آدم زوج شقيقة زوجته لمعرفة دوره في خطف رائف.. في اليوم التالي التقى المهندس الذي أرسله المكتب الهندسي وأوضح له التطويرات التي يرغب بها في مبان الأرض الجديدة وأسوارها، أخبره المهندس أنه سيرسل له المقايضة بعد يومين.. اتصل بسيد يطلب منه أن يحضر معه لقاء وهدان المرتقب، سعد سيد جداً.. حضر سيد مرتدياً بدلة تناسب مع ذوقه وبيئته، رغم محاولاته المستمرة للتشبُّث بالطبقة الأعلى وتطلعاته التي لا تنتهي التي كانت سبباً في انحرافه، فإن الشَّعرة السميكة الفاصلة بين الطبقات ما زالت موجودة وواضحة، ضحك ناجي كثيراً عليه غير أنه لم يكسر بخاطره، حسب وصف وهدان سار بالسيارة على الصحراوي حتى علامة معينة ثم انحرف على طريق جبلي

لأكثر من ربع ساعة كان في نهايته باب كبير يقف عليه أمن مسلح..
قال لهم ناجي كلمة السر:

- أريد شراء ثمار ناضجة.

سار مدة ربع ساعة أخرى بالسيارة حتى وصل إلى ساحة قصر
منيف، التقاه أمن آخر وتعرف إليه ثم طلب منه إيقاف السيارة في مكان
محدد باسمه.. نزلا ودلهما أحد أفراد الحرس المسلح على مكانها داخل
القصر، حيث غير مسموح للضيوف بالالتقاء لحساسية الشخصيات
وأهميتها التي تحضر هذا العرض. جلس في مكانه مع سيد ثم جاءهما
وهذان مرحبًا، سخر من سيد قليلًا ثم طلب من ناجي المزايدة بالضغط
على زر معين، والمزاد يبدأ بعشرة آلاف دولار والمزايدة بخمسة آلاف..
بعد إحضار المشروبات والمشهيات بدأ المزاد، فتاة باهرة الجمال لا تزيد
عن ست عشرة سنة، اشتعل المزاد بعد أن خلعت ملابسها قطعةً قطعة
وهي ترقص، كان واضحًا أنها منسجمة وسعيدة بما يحدث، اشتعل
المزاد بعد أن أصبحت عارية تمامًا، كان ناجي ذكيًا في مزايدته كيلا يظن
أحد أنه قادم لسبب آخر، كان يضع مزايداته وسط الصراع القائم على
الفتاة حتى رست على أحد الموجودين بأكثر من مئة ألف جنيه.. بعد
انتهاء المزاد الأول نظر ناجي إلى سيد الذي كان ينظر إلى الفتاة ببلاهة
وذ هول:

- فتاة جميلة، تستحق ما دفع فيها، ما رأيك يا سيد؟

انتبه سيد على سؤال ناجي فضحك:

- المبلغ الذي دُفعَ فيها يكفي لأتزوج أربع فتيات عذراوات في ليلة واحدة في بلدنا، ويتبقى منه ما يجعلني عمدة البلد.

ضحك ناجي كثيرًا وهو يعتمد الاندماج في الجو الصاخب بعدما لاحظ الكاميرات والميكروفونات الدقيقة التي تُسجِّل كل شيء صوتًا وصورة.. استمرَّ العرض المثير وناجي يدخل في المزايدات ولا يواصل للنهاية حتى جاءت الاستراحة للعشاء الفاخر الذي وصلهما ومعه وهدان وشخص آخر له ملامح أوروبية.. تحدَّث وهدان أولاً:

- يبدو أنك غير مستعد مادياً يا سيد ناجي، أو أنك فعلاً لا تحب الفتيات، هناك عرض آخر لو تحب.. ابتسم ناجي:

- لماذا أدفع مئة ألف وأكثر في فتاة يمكن أن يخطفها رجالي ويحضر ونها لي طائعة سائغة، المزايدون إما أغبياء أو شواذ، هذه المئة ألف لها استخدامات كثيرة أخرى.

ابتسم الرجل الضخم قائلاً بلهجة شامية عربية ضعيفة:

- تعجبني شخصيتك، بعد العرض عندي لك هدية لن تكلفك سوى عشرة آلاف دولار، لن تستطيع رفضها.

هزَّ ناجي رأسه مُوافقاً رغم اعتراض سامح الشديد.. استمر العرض ساخناً جداً حتى أن سيد قد تعب من دخول الحمام عدة مرات وناجي يضحك عليه في كل مرة إلى أن انتهى العرض أخيراً قُرب الصباح وجاء وهدان ومعه الفتاة.. تعجَّب ناجي من ارتداء الفتاة للنقاب، ابتسم له وهدان:

- أليس هذا طلبك؟ سنعطيك إياك بدون مزايدة بشرط ألا تنظر تحت النقاب إلى أن تذهب من هنا.

دَفَعَ المبلغ ولاحظ أن الفتاة تسير بصعوبة، لم يهتم كثيرًا ففي كل الأحوال سيجعلها تعمل خادمة في المنزل.. بعد أن خرجوا على الطَّريق الصحراوي كانت الشمس قد هزمت الليل وسيطرت على الأجواء الشتوية الباردة، أراد سيد بشدة أن يرفع النقاب ليرى وجه الفتاة إلا أن ناجي نهره بعد أن سمع الفتاة تبكي وتحاول التخلص من يد سيد.. نزل سيد في شارع الهرم بينما ذهب ناجي إلى الفيلا القديمة لينال قسطًا من الراحة ويتعرف إلى هذه الفتاة التي فرضت عليه.. أدخلها وهي مكسورة تسير بصعوبة حتى وصلوا إلى البهو الداخلي، طلب منها أن تكون على راحتها ولا تخشى على نفسها فلن يلمسها.. سَمِعَ بكاءها من جديد، لم يطق ذلك فأسرع ينزع عنها النقاب، هاله ما رأى حتى أنه عاد خطوتين للخلف، ثم صرخ:

- يا إلهي! ماذا فعلوا بك؟

كان وجهها مُتورِّمًا من شدة الضرب تظهر معالمه بصعوبة، الفتاة لا تتعدى الثامنة عشر عامًا، تبدو ملامحها الجميلة الرقيقة أسفل المعاناة التي تسيطر عليها، اقترب منها مرة أخرى، ابتعدت خطوتين للخلف سريعًا فسقطت على ظهرها، كانت المفاجأة الجديدة له بعد أن ظهرت قدمها إثر سقوطها، كانت مُقيَّدة بطريقة محكمة ولكن تسمح لها بالسير

بصعوبة.. أسرع يحلُّ وثاقها، صرخت فيه عندما لمس قدمها، أمسكها من كتفها وسيطر عليها بقوة قائلاً:

- اسمعي وافهمي أيتها الصغيرة، أنا لن أؤذيك، أنت لديّ مجرد طفلة تستحق المساعدة، ولم أسعَ لشرائك، اهدئي قليلاً لكي أستطيع مساعدتك.

هدأت قليلاً، ثم انهارت في بكاء عنيف انتهى بإغمائها.. حملها سريعاً إلى غرفة النوم الثانية بالدور العلوي، حاول وضع بعض المٌطهرات على وجهها لمداواة كدماتها ثم أعطها حقنة مسكنة مهدئة لإراحتها قليلاً.. أغلق عليها الباب جيداً، وخرج لشراء ملابس تُناسبها، ثم عاد قبل أن ينتهي مفعول المهدئ.. انشغل بتخطيطه لخطوة تحرير الضابط فريد وجاءه في أثنائها مكالمة هاتفية من المكتب الهندسي يخبره أن تفاصيل المقايضة قد أرسلت على البريد الإلكتروني، وقد بلغت إجمالاً ربع مليون تقريباً وتستمرُّ شهراً.. أعطاهم موافقة على أن يبدأ العمل من اليوم التالي مباشرة.. سمع عندها طرقاتٍ على باب غرفة الفتاة فذهب إليها، فتح لها فوجدها أهدأ قليلاً تجلس على حافة الفراش.. نظرت له بريّة وخوف.

نَطَقَت الفرنسية بطلاقة فأدرك ناجي أنها تعود لأسرة غنية ودرست في مدارس لغات، استغلَّ هدوءها وسألها عن حكايتها.

- لم تُجنّبي، هل حقاً أنت مختلف ولن تؤذيني؟ أفضّل الموت على أن يلمسني أحد.

- اسمعي، أنا لا أحب كثرة الكلام والتشكيك وليس عندي وقت كذلك، إذا كنتِ تريدين الحديث فسأسمعك، إذا لم تُريدي فهذا شأن يخصك، وسأترك لك الحرية، ولكن يجب أن أحذرك، لو خرجتِ من هنا سيَعثرُ عليك وهذان ومن كان معه وسيبيعونك مرة أخرى.

بكت الفتاة من جديد فأغلق ناجي الباب وخرج إلا أنها لحقت به واعتذرت عن غلظتها، فمِنذ الربيع الماضي وهي في عذاب لا ينتهي.. ربت ناجي على كتفها وأعطاهَا الملابس التي اشتراها لها وطلب منها أن تأخذ دُشًا دافئًا في الحمام الملحق بغرفتها وترتاح تمامًا ثم تتناول الطعام كما تريد من الثلاجة وتتصرف كأنها في بيتها.. ولتُغلق الغرفة على نفسها لتطمئن؟ نظرت له لمار والشك يعتصرها ثم تحركت ناحية الغرفة ومعها ملابسها الجديدة.. كان اليوم التالي بالغ الأهمية له، أكمل استعداداته بتركيب القنبلة الصوتية ودراسة جميع مداخل المحكمة ومخارجها التي سيعرض عليها فريد.. بعد عدة ساعات من العمل المتواصل، فوجئ بلمار واقفة فوق رأسه ترتدي ملابس تُناسب عمرها، هداً قليلاً الورم بوجهها وظهرت نضارة الصُّبا خاصة مع إطلاقها لشعرها البني الحريري، نظر إليها سريعاً ثم قال:

- سعيد أن الملابس ناسبتك.
- أريد أن أُصدِّق أنك إنسان طيب، لماذا تساعدني؟
- لأجد مَنْ يساعدني حينما أكون في ضيق، لأتحرر من عبوديتي لشهواتي وضعفي، لا أعلم.

- أنت أول إنسان يحسن إليّ منذ تركت أهلي، أو بمعنى أدق منذ قتلوا أهلي وأحرقوا بلدي.
- من أي مدينة أنت؟
- من الرّقة، وكنتُ أتعلّم في لبنان.
- من الواضح أنك تتحدثين عدة لغات.
- نعم، الإنجليزية والفرنسية ومبادئ الألمانية والفارسية، وكنتُ في أول أعوام دراستي في كلية إدارة الأعمال بالجامعة الأمريكية هذا العام لولا ما حدث.

ارتعشت أنامل الفتاة ودخلت في نوبة جديدة من البكاء.. طلب منها ناجي الهدوء والنوم وإراحة جسدها وعقلها حتى تتجاوز الآثار النفسية ثم تحكي له بالتفصيل ما حدث معها.. كما طلب منها أن تُغلق على نفسها الغرفة ما دام هو خارج المنزل، وفي غرفتها الحمام والتلفاز والثلاجة بها كل احتياجاتها.. كان بادياً عليه الانشغال الشديد فخرجت الفتاة وهي تحاول التنفّس من جديد واستيعاب أن الأيام السوداء التي مرت بها قد ذهبت إلى غير رجعة..

استمر في مراجعة مخططاته حتى ناله التّعبُ تمامًا بعد أكثر من يومين من اليقظة المستمرة، فدخل غرفته لينام قليلاً ويستعيد قدراته البدنية والعقلية، ابتسم وهو يلاحظ تلصّص لمار عليه من خلف الباب مقدراً الأحوال التي يمكن أن تلاقيها فتاة في عمرها وجمالها تقع في يد عصابات الاتجار بالبشر..

استيقظ قبل السادسة قَلْبًا متوترًا، أسرع بارتداء ملابسه بعد أخذ القنبلة الهيكلية محدثة الصوت التي صنع منها عدة نماذج بنفسه وقنابل الدخان الملون التي صنعها أيضًا إضافة إلى الشماريخ كبيرة الحجم التي اشتراها.. حمل حقيبته الصغيرة الخطيرة إلى السيارة ومنها انطلق تحت بصر لمار التي لم تستطع النوم طوال الليل.. وصل إلى محكمة الاستئناف قبل الثامنة، بدأ المكان في الازدحام، حام من بعيد وانتظر حتى وصلت سيارة الترحيلات وفيها المساجين، لمح فريد فتبعه إلى أعلى، انتظر في القاعة حتى نُوديَ على قضيته، كان قرار القاضي تأكيد حكم أول درجة، أُصيبَ فريد بالغضب الشديد، وأخذ يصرخ من الظلم، خرج ناجي سريعًا لتنفيذ مخططه.. وضع الشماريخ والقنابل الدخانية في كيس كبير وأغرقه بالبازين.. ارتدى بدلة ضابط شرطة واستعدَّ قُرب السيارة.. فور نزول فريد فجَّر قنبلة الصوت فحدث المهرج والمرج، أتبعها مباشرة بقنبلة الدخان والشماريخ التي أحدث الضباب الناتج عنها صعوبة شديدة في الرؤية، تسلَّل وسط الجميع مرتديًا قناعًا واقياً ونظارة رؤية في الضباب أعدّها مُسبقًا وضرب الشرطي المرافق لفريد ليُغشى عليه ثم حلَّ القيد الحديدي بأدوات خاصة، وضع على جسد فريد زياً عسكرياً خرج به من وسط الفوضى الحادثة، حدث كل شيء في أقل من دقيقتين، ابتعد بفريد سيرًا على الأقدام والكل يجري من الرُّعب، وصل إلى السيارة التي كان قد ركنها في الموقف المعتاد قُرب الكافتيريا بشارع عماد الدين، طلب من فريد الرُّكوب، لكنه توقَّف أخيرًا ليسأله عمن يكون، ابتسم له ناجي وأخبره أنه صديق.. ركب

فريد رغم تشككه الشديد، لكن ماذا سيفعل؟ سيتنظر سنوات حتى يقبل طعنه وينظر أمام محكمة النقض، الموت أفضل من الظلم، كلمات طالما سمعها كثيرًا في أثناء عمله في الشرطة، لكنه لم يعرف معناها سوى اليوم فقط.. ابتسم ناجي:

- اهدأ يا حضرة الضابط المحترم الشريف، غير هذه الملابس التي لا تليق بك وخُذ حمامًا وتناول طعامًا يمسح آثار جفاف السجن ثم نتحدث، ولتعرف، أنا عمك الطيب.

وكانما قد وضع ناجي يده على كل ما يحلم به فريد في هذه اللحظة، أوصله إلى غرفته في الفيلا ثم نزل للقاء صبري الذي كان قد اتصل به.. قال صبري:

- جاء بعض الأشخاص اليوم وقالوا إنهم من طرف المعلم لبيب وقد أرسلهم لأخذ أمانة من القصر.

- وماذا فعلت؟

- تركتهم طبعًا يدخلون كما أخبرتني حين يأتي أحد كيلا يشك بي.

- جيد، وماذا حدث بعد ذلك؟

- تابعتهم من بعيد وقد قلبوا القصر وبحثوا في كل شبر فيه، وعندما فشلوا في الوصول إلى الغرفة السرية سألوني إن كانت هناك ملكيات أخرى للبيب في المنطقة فنفيت ذلك لأنهم لو

يعرفون ليبب حقًا كان أخبرهم بالباب السري وعرفوا كذلك بما يتبعه.

- تصرف ذكي يا صبري، ولكني لا أظن أنهم سيكونون آخر من يحضر، لذلك فور انتهاء عملية تجهيز الأرض الجديدة سنتقل إليها وسنقل المومياوات معنا.

عاد ناجي إلى الفيلا فوجد فريد في انتظاره مُتَحَفِّزًا ولكن أكثر هدوءًا وراحة.. طلب منه فريد أن يعرف كل شيء عنه، ابتسم ناجي:

- ما زلت مصممًا على الحديث اليوم؟ حسنًا، سوف أخبرك بعد أن تخبرني كل شيء عنك.

- لا بد أنك تعرف كل شيء عني وإلا كيف وصلت إليّ؟

- أنا لا أعرف عنك إلا ما نشرته الصحف وما قاله مصدر فاسد في الشرطة.

- طبعًا ذلك المصدر الفاسد تحدث عني بسوء وأكد الاتهامات الكاذبة الموجهة لي.

- على العكس، لقد أكَّد أنك بريء وأن الداخلية كلها تعرف ذلك، لكن تحقیقاتك عن الفساد وإصرارك عليها رغم التهديدات وخطف ابنك هي التي أوصلتك لهذه الحالة.

- وما رأيك أنت؟

- بعد أن تخبرني بالتفاصيل من الممكن أن أخبرك بصراحة.
- المؤامرة بدأت مبكرًا جدًا منذ أن توليتُ منصبي رئيسًا للتحقيقات مع معرفة الجميع بنزاهتي وسعيي وراء الحق، رغم أنها كانت مفاجأة للبعض فإنني أستطيع أن أؤكد نزاهة معظم قياداتي وشرفهم. بدأت في فحص القضايا المعلقة وإعادة جدولتها حسب الأهمية، وبالفعل استطعتُ حلَّ بعضها، وهذا ما ثبَّتني وخفف الحرب المقامة ضدي، ورغم أنني تلقيتُ بالفعل تهديدات مباشرة وغير مباشرة فإنني لم أهتمَّ وكنتُ أقوى من الجميع، استطعتُ شيئًا فشيئًا التفرقة بين الشرفاء والفاستدين فاستبعدتهم من التحقيقات.
- ولا بد أن ذلك زاد من أعدائك وجعلهم أكثر شراسة.
- بالفعل، ولكنني لم أهتم، بل ازددتُ شراسةً مع ضخامة ملفات الفساد التي فتحتها وأهمية المتورطين فيها، حتى جاءت قضية أحد أباطرة الفساد في البلد.
- همام الرومي.
- بالفعل، كلما تغولتُ في القضية أصلُ إلى نهايات مسدودة، أدور حولها لأفاجأ بمسؤولين في مناصب كبيرة متورطين في القضية، في الوزارات والموانئ والمطارات والبنوك.
- شبكة فساد متكاملة.

- وأي شبكة.. المهم بدأت التهديدات تصبح أكثر شراسة وتحولت إلى محاولات لاغتيالي ثم اختطاف ابني وصولاً إلى دَسِّ المخدرات .
- وهل عرفت مَنْ وَصَّعَ لك المخدرات؟
- للأسف الشديد عرفتُ بعد الحكم، ساعدي الأيمن وأقرب الناس لي، فهد... لم أَصَدِّقْ عندما أخبرني البعض بعد سجنني، ولكنني تأكدتُ تمامًا بعد أن أخذ مكاني وحُفظت التحقيقات ضدَّ همام.
- إذن أنت تُحدِّدُ أعداءك في فهد وهمام.
- وكل مَنْ عاونهم، لقد كنتُ أواصل الليل بالنهار في التفكير والتدريب والتخطيط انتظاراً للحظة التي أهرب فيها وأنتقم منهم.
- كنتَ تخطط للهرب إذن؟
- طبعاً، انتظرت حتى النقض، ولكن للأسف أُبْدِيَ الحكم الظالم.. الآن حانَ دورُك، أخبرني أيها البطل ما هي حكايتك.
- بدأ ناجي في ذِكْرِ كل ما حدث له منذ اختطاف ابنه وحتى اليوم.
- فعلاً الحياة فيها الجديد والعجيب كل يوم، أنت مجموعة من القصص حدثت معاً، لكنك تسير على خيط مشدود بالغ

الخطورة، علاقتك بالمنظمات المسلحة، وهدان ومن معه، ليبب
وجماعته..

ثم ضحك:

- أنت أخطر عليّ بكثير من همام ومن معه.

ضحك معه ناجي ثم قال له:

- إن كل شرطي في جميع أنحاء البلاد يبحث عنه الآن ولا بد من
تغيير هيئته.

فوجئاً بلمار تدخل عليها قائلة:

- حلّ هذه المشكلة عندي، أنا أيضًا لي ثأر مثلكما، الآن فقط
صدقتك يا سيد ناجي.

نظر فريد لناجي مستفسراً عن الفتاة، فأخبره قصتها باختصار.

ثم سأها ناجي عن كيفية حلها للمشكلة:

- والدي طبيب تجميل مشهور، ووالدي تملك مركزاً للاستشفاء
والتجميل، وأنا بارعة في تغيير معالم الوجه.

- يبدو أنك تجيدين أشياء كثيرة، أخبرينا الآن عن حكايتك بعد
أن اطمأنت لنا.

- أنا من أسرة غنية كما أخبرتك، ذهبتُ إلى كثير من دول العالم،
بعد الاضطرابات التي حدثت في سوريا أرسلني والدي مع

إخوتي لبعض أقاربنا في لبنان لاستكمال دراستنا، سارت الأمور شبه طبيعية حتى سقطت الرقة، جُنَّ جُنُونِي وحاوَلت أكثر من مرة العودة للاطمئنان على أسرتي حتى نجح أحد الوسطاء في التدخل والحصول على تصريح بالعودة وزيارة والدي بعد أن تأكَّدْتُ أنَّهما بخير، لكن للأسف في طريق العودة اختطفتنا إحدى الفصائل المسلحة ونقلتنا للعراق، وجرى بيعنا هناك، وتنقلتُ عدة مرات داخل حاويات مغلقة حتى وجدتنِي، لقد وضعتُ أمامي هدفًا واحدًا، مَنْ يُحاوَل لمسي سأهاجمه حتى يقتلني، سأموْتُ دون شرفي.

- أنت بطلة حقيقية ورمز للفتاة الشريفة القوية التي نفتخر بها .
- سيد فريد ستكون أنت أول حالة حقيقية في حياتي أُجربُ عليها مهارتي في تغيير معالم الوجه.

ناجي ضاحكًا:

- لقد أنجلكَ اللهُ مِنْ أهوال كثيرة، ولكن يبدو أنك لن تنجو من هذه.

- العمر واحد والرب واحد.

ضحك الجميع بصفاء ونقاء لأول مرة من مدة طويلة.. تحدث بعدها ناجي:

- لا بد أن نتحرك بسرعة، ما أولوياتك يا فريد؟

- فهد طبعًا أولاً، ثم تدمير همام.
- وأنا أريد وهدان.
- أنا أعرف وهدان جيداً، واحد من أخطر رجال الظلام، لكنني أعرف أعداءه أيضاً وأعرف نقطة ضعفه.
- وما هي؟
- أولاده!
- وهل عنده أولاد!
- لماذا تتعجب هكذا! طبيعي أن يكون له أولاد، عنده خمس بنات متزوجات وولد واحد صغير أظنه لم يصل العاشرة بعد.
- يبدو أنه عانى كثيراً للإنجاب الولد.
- نعم، وتزوج كثيراً أيضاً.
- ناجي ضاحكاً:
- أو لم يتزوج، هل تفرق مع مثل هذا الحقير.
- نظر فريد حينها لناجي كي يراعي مشاعر لمار التي فهمت الإشارة فتحدثت:
- لا عليك يا سيد فريد، التجربة التي مررتُ بها جعلتني أكبر من عمري بكثير، لو سمحتما لي أنا أقترح اختطاف الطفل الصغير.

- هذا نفس ما كنتُ أفكر فيه.
- سيكون الأمر صعباً جداً، يضعه وهدان تحت حراسة مشددة طوال الوقت.
- هل هناك كاميرات مراقبة في منزل وهدان؟
- كل أماكن التجمعات المهمة والقصور الكبيرة وحتى شقق الأغنياء بها كاميرات، وأظنُّ أن العصابات أيضاً تستعين بالكاميرات لتأمين مقراتها.
- فيم تفكرين؟
- سأحاول اختراق الكاميرات فلا بد أنها متصلة جميعاً عبر النت.
- وهل تستطيعين ذلك؟
- يا سيدي نحن جيل الكومبيوتر والنت، معظم حياتنا نقضيها أمامه، ثم إنني بارعة فيها وعاشقة للتحدي عليه، أعطني فرصة فقط وسترى.. هل معك رقم هاتف وهدان؟
- نعم.
- هل عندك جهاز كومبيوتر متصل بالنت.
- طبعاً.
- خذني إليه.

أخذهم ناجي إلى غرفة التحكم الرئيسية، أبدى فريد إعجابه بالتنظيم والأجهزة التي يحتويها المكان وتوزيع كاميرات المراقبة.. جلست لمار إلى جهاز الكمبيوتر وبدأت في تحميل برامج معينة بسرعة فائقة، بعد قليل أدخلت رقم هاتف وهدان، كانت المفاجأة السارة حين عمل برنامج الاختراق الذي أدخلته لمار ففسار عبر المسارات الإلكترونية إلى شبكة الاتصالات التابعة لها، ثم منها انطلق إلى هاتف وهدان.. ثم حُدّد موقعه تمامًا في قلب القاهرة.

- من الرائع أنه يحمل جهازًا حديثًا جدًا دون برامج حماية، الآن ستظهر كل المعلومات الموجودة على هاتفه.

قراءة الهاتف اتصالات

تطبيقات الاستخدام

الرد التلقائي

تحديث الحرة

المسار الهاتف رسائل نصية

تتبع رسائل الـ WhatsApp

تتبع الرسائل Viber

تتبع رسائل الفيسبوك

سجل المكالمات

تعقب محفوظات تصفح الإنترنت

جميع الصور الفوتوغرافية

طلب منها ناجي فتح الصور، كانت الحافظة مليئة بصور تجمع
وهذان مع أولاده خاصة ابنه الذي يحظى بنصيب الأسد لمراحل نموه
المختلفة.. أثارت الفرحة التي يبدو عليها وهذان غضب ناجي وحرقت
قلبه فصاح:

- أيها الكلب الحقير، تحرق قلوب الناس على أبنائها بينما أنت
تعيش مستمتعاً مع ابنك، سوف أرسله لك قطعةً قطعة
وأستمتع وأنا أراك تتعذب معها.
- لا أظنُّ يا ناجي أنك من الممكن أن تؤذي طفلاً؟
- أنت الذي تقول ذلك بعد كل ما حدث لك؟
- المبادئ لا تتجزأ يا صديقي.
- هناك مكالمة قادمة لوهذان، هل تريدان سماعها؟
- أجابا معاً:
- طبعاً.
- أهلاً يا نسيم، كيف حالك؟
- وصلت اليوم سبع سيارات جديدة وطفلان.

- الطفلان كالمعتاد والسيارات التي لا يوجد بها هاتف لصاحبها
انتظروا يومين كالعادة حتى يتصل بنا رجلنا في القسم التابعة
له كل سيارة، وسيكون الكبار راضين عن العمل لو أنه يتم
الصفقات المعلقة في هدوء، ولا تقتلوا أحدًا مثل المرة الأخيرة.
- المعتاد، لا تقلق، اليوم لدينا موعد تسليم جديد، ستصلك
التفاصيل على الواتس آب.
- انتقلت لمار إلى الواتس آب فنسخت الرسالة الجديدة.. لمار:
- الآن تظهر إحدائيات المكان الذي اتصل منه نسيم.
- إنه نفس المكان الذي أخذني وهدان إليه، ما رأيك يا فريد أن
نبدأ عملنا بالقضاء على هؤلاء الأشرار؟
- فرصة جيدة لاستعيد لياقتي، هل لديك سلاح؟
- بالتأكيد، وفرت لك قطعة ٩ ملل ماك ستحبها جدًا.
- جيد، هل هناك شيء أثقل قليلًا؟ هذه العصابت مسلحة
بالآلي وربما القنابل.
- لم أعرف طريقًا لتوفير أسلحة أثقل هنا.
- ابتسم فريد قائلاً:
- هذه لعبتي، هل لديك سيولة؟
- كم تريد؟

- خمسين ألف جنيه.
 - لا مشكلة، موجودة.
 - هل لديك خط هاتف مُؤمَّنًا؟ خاصة بعد ما عرضته لنا هذه الشقية الصغيرة من مهارات أظنُّ أن الكثير من الشباب يمتلكونها هذه الأيام.
 - جيد أنك ذكرتي، أريدك يا لمار أن تؤمّني لنا الكاميرات وخطوط الاتصال وهواتفنا، هل تستطيعين ذلك؟
- لمار بفخر:

- بالطبع أستطيع، معي الداء والدواء يا سيد ناجي.

استمرّت في تأمين الاتصالات كلها ثم قامت باختراق منظومة الكاميرات الخاصة بالموقع السّري الذي يوجد به نسيم واتصلت بالقمر الصناعي عن طريق جوجل إيرث وحددت تمامًا أبعاد ومداخل ومخارج المنطقة المعزولة.. سعد بها جدًّا ناجي وأخبرها فريد أنه بعد انتهاء هذه المشكلة وعودته لعمله فسوف يعينها معه في جهاز الشرطة.. أخذوا في دراسة المنطقة جيدًا، ثم تعاوَنَ فريد وناجي في إعداد بعض قنابل الصوت، اتفقوا على الهجوم في الليلة التالية بعد أن حددوا عدد الحراس بأحد عشر بمن فيهم نسيم أو المدير كما يجب أن يطلق عليه.. سيهجمون على كل اثنين على حدة بأسلوب المُباغته، ضربة واحدة على الرأس ثم تقييده جيدًا.. استسلم فريد لإبداع لمار بعد أن أحضر ناجي

الطلبات التي تحتاجها، بعد أكثر من ساعة ظهرت النتيجة، لم يتعرف فريد إلى نفسه في المرآة، كان أصلع الرأس، ذا ندبة صغيرة على خده الأيمن، غامق اللون، مترهل الرقبة، مستدق الأنف.. أثنى فريد وناجي بشدة على عمل لمار، نزلوا جميعًا بعد أن أصرّت لمار على اصطحابها، توجهوا إلى محلات المهمات العسكرية التي يعرفها فريد جيدًا، اشترى كل احتياجات الغزوة الليلية على وكر وهذان الكبير في الصّف، معدات رؤية ليلية، سكاكين صغيرة حادة جدًّا، ملابس وأحذية عسكرية، أجهزة اتصال لا سلكية، وغيرها من الاحتياجات القتالية.. عادوا إلى الفيلا للتجهّز ثم نزل فريد وناجي في سياره الدفع الرباعي التي أجرها ناجي خصّصى لهذه المهمة من مكتب تأجير متخصص في السيارات الكبيرة.. أوقفوا السيارة في أقرب مكان ممكن واتبعوا إرشادات لمار عبر الهاتف، تسللوا حتى وصلوا إلى البوابة التي كان عليها ثلاثة مسلحين.. تعامل فريد مع الأقرب له بينما أخذ ناجي اثنين معًا في ضربات متلاحقة عنيفة أسقطتهم أرضًا ثم ضربات مركزة على الرأس أفقدتهم الوعي، أحكموا وثاقهم جيدًا وكمموا أفواههم ثم وضعوهم خلف منطقة الحراسة..

تفرقا بعد ذلك لاصطياد فردين متمركزين على الأطراف الشرقية والغربية، عادا للتجمّع عند المدخل الخلفي للمنزل الذي يتوسط المنطقة تقريبا، ألقيا معًا قبلتي دخان ثم أحكما غلق الباب الخلفي ووقفوا عند الباب الأمامي لاستقبال الهاربين من الاختناق بضربات عنيفة تسقطهم أرضًا فورًا، كانوا أكثر من عشرة، وضح أن من بينهم المدير نسيم،

١٠٧

أحكموا وثاق الجميع وأدخلوهم إلى المنزل ثم عاد فريد سريعاً لإحضار سيارة الدفع الرباعي، بينما قام ناجي بفتح الكومبيوتر وأخذ الهارد الذي يحتوي على كل المعاملات والعمليات المسجلة عليه كذلك الأموال التي وجدها والأسلحة التي تراوحت بين الآلي ونصف الآلي..

وصل فريد فوضعوا كل شيء تحت غطاء جهازه أسفل المقعد الخلفي ثم أخذ ناجي سيارة نقل كبيرة من ساحة السيارات المسروقة التي تتعدى المئات ووضعوها عند المدخل، قامت لمار فور اطمئنانها على خروجهم من المنطقة بإبلاغ المقدم شاهين في مديرية أمن الجيزة حسب تعليمات فريد بوجود عملية إرهابية كبرى على وشك الحدوث في الصباح، وحددت له مكان تجمع الإرهابيين في الوقت الحالي، بعد وصول فريد وناجي إلى أسفل الطريق الجبلي دوت أصوات انفجارات متتالية، قاموا بتفجير السيارة النقل والمنزل ونقطة الحراسة بحرص شديد حتى لا تتأثر السيارات المسروقة وتعود إلى أصحابها، ظلت معهم لمار على الهاتف تحذرهم من أماكن تركز الأكمنة الليلية من خلال الاستماع إلى محادثات الأجهزة الأمنية عبر الترددات التي أبلغها لها فريد.. وصلا إلى المنزل أخيراً مع إشراف أضواء الصباح، أسرعاً بإنزال الغنيمة التي حصلوا عليها من أسلحة وأموال، أعطى ناجي لمار الهارد لتعمل عليه وتخرج ما فيه، أخبرتها أن قوات الأمن قد وصلت هناك بأعداد كبيرة وأحكمت السيطرة على المنطقة، دخل فريد بعد أن طلب منه ناجي عدم الخروج نهائياً مرة أخرى حتى استخراج بطاقة شخصية بهوية جديدة له وللمار، ثم خرج ناجي لتنفيذ الشق الثاني من المهمة

الموجهة لوهدان.. أسرع ناجي متوجّهاً ناحية المعادي حيث يسكن وهدان في عمارة يمتلكها، وقف أسفل المنزل حتى نزل ابنه وركب السيارة التي ينتقل بها إلى مدرسته الخاصة مع السائق والحارس، سار خلفها حتى وصلت قرب المدرسة في منطقة هادئة..

تعتمد زيادة السرعة ثم الاحتكاك بالسيارة الأخرى وإيقافها، نزل ليعاتب السائق فنزل الحارس لتهديده فوضع سلاحه في ظهره وطلب منه أن يطلب من السائق الهدوء ودخول السيارة، ثم أحكم وثاقها وأخذ الصغير بعد أن أخبره أنه سيقتل والديه لو صرخ، وضعه مُقيّداً ومُكمّماً فمّه في حقيبة سيارته، ثم انطلق عائداً إلى الفيلا.. وصل أخيراً بعد مناورات كثيرة بعيداً عن الشرطة، أدخل الصغير إلى الغرفة السرية ونزل معه فريد ولما ليتعرفوا للمرة الأولى هذا المخبأ السري وتجهيزاته المعقدة، حياً فريد ناجي على ما فعل وحده فأخبره أنها مزيج من خبرته الهندسية وإطلاعه عبر النت وما شاهده في رحلة سوريا.. وضع الطفل في زنزانة صغيرة بعد أن قيّده جيداً وعلامات الرُّعب تقفز من عينيه، لم يَرَقْ قلبُ فريد وناجي له، بينما حاولت لما استعطافهما حتى نجحت في فك وثاق الصغير بعد أن صورته ناجي ثم أغلقوا عليه الزنزانة وعلى غير العادة ترك ناجي الإضاءة ثم صعدوا إلى غرفة التحكم.. كانت الأنباء تتواتر عبر موجات الشرطة حول الضربة الكبرى التي تمت، ثم بدأت وسائل الإعلام في تناول الخبر على أنه انتصار عبقرى لأجهزة المعلومات وضربة كبرى للإرهاب.. ابتسم فريد قائلاً:

- سينال فهد كل الشناء.
- لم أفهمك حتى الآن! لماذا أصررت أن يكون التحرك من خلال فهد وأن تسرب خبر مسؤوليته عن هذه العملية؟
- فهد متورط مع الكثير من العصابات بخلاف رجال الأعمال من عينة همام، ولهذا فإن هذه العملية ضربت بها عُصفورين بحجر واحد، الأول يرتاح أكثر ويأخذ وضعه في الداخلية، والثاني تقل ثقة اللصوص به ويجري الضغط عليه من أجل تعويض خسارتهم بعمليات أخرى أكبر .
- كان من الممكن أن تضع له مُحذرات مثلما فعل معك أو حتى تقتله وينتهي الأمر.
- أنا أريد إثبات براءتي، وهو الوحيد الذي في يده ذلك، إذا استطعنا كشف فساده فلا بد أن ذلك سيؤكد أن ما حدث معي كان مؤامرة كبرى.
- وسيُرد إليك شرفك وتعود لوظيفتك بل تنال ترقية لكشفك منظومة الفساد الكبرى.
- والأهم أن تثبت براءتي أمام أبنائي وأمي.
- تخرج صوت فريد ودمعت عيناه فواساه ناجي:
- كلنا في الهم شرق يا صديقي.

سمعا حينها صُراخ لمار. أسرعا إليها فوجداها غائبةً عن الوعي
أمام جهاز الكمبيوتر، أفاقاها فأخذت تصرخ:

- قتلوا أبي وأمي، الكفرة أحرقوهما حَيَّيْن.

تمكّنا من السيطرة عليها أخيرًا وأشرها فريد كوب ماء، سألاها
بعد أن هدأت عَمّا حدث وكيف عرفت فأخبرتهما أنها اتصلت بأشقائهما
في لبنان عبر الفيس بوك وأخبراهما أن والديها أُلقيَ القبض عليهما أثناء
محاولتهما الهروب وحكم عليهما قاضيهما بالحرق حتى يكونا عبرة..
ثارت ثائرة ناجي ثم دفعها بعنف:

- أيتها الغبية، إنهم الآن يعرفون مكاننا، وكأن الأمر ينقص عدوًا
جديدًا.

- ماذا تعني؟

- ألا تعرفين أن حسابات الفيس مراقبة دائمة؟ الآن سيعرفون
مكانك ولا أستبعد أن نجد قوات أمريكية خاصة أمام منزلنا
غدًا.

- وهل تعتقد أنني بهذا الغباء؟ لقد دخلتُ باسم مستعار
وعرفت الأخبار دن أن أخبرهم أين أنا.

- وهل يحتاج جهاز تحديد المواقع أن تقولي أين أنت؟

- بدلًا من أن تقف بجانبني في مصيبتني تلومني وتنتقذني؟ لا
تُخَفِّ على نفسك، لقد وضعتُ فيروسًا يجعل من المستحيل
تتبعي.

دفعته وذهبتُ مسرعةً إلى غرفتها تبكي.. دخل ناجي ليأخذ قسطاً من الراحة، بينما ذهبَ فريد إلى المار ليُرضيها.. بعد أن هدؤوا جميعاً وناموا عدة ساعات من فرط التعب بعد ليلة طويلة، اجتمعوا مرة أخرى في غرفة التحكم، اعتذر ناجي للمار، عزّأها في والديها، وأخبرها أنه أخ أكبر لها حتى تنتهي هذه العُمة تجتمع بعائلتها..

كان اليوم التالي موعد قضية الفيلا، اتفقوا على أن تكون الخطوة القادمة هي اختطاف القاضي واستمرار الاستعانة بسيد وأيمن حتى عمل البطاقات الجديدة ثم النظر في أمرهم..

قالت لمار:

- ماذا سنفعل بابن وهدان؟ لقد جُنَّ جُنون والده، اتصالاته لا تنقطع، وقد تخلّى عن حذره واتصل بعدد من الشخصيات أخطرهم وأكثرهم مفاجأة لي أحد الوزراء الحاليين وأحد رؤساء الموانئ والأخطر شخصية أمنية رفيعة.
- لا يمكن؟ هل هو مُتورّط أيضاً؟ إنها كارثة حقيقية، الآن بدأت حقيقة ما حدث لي تتضح أمام عيني، لقد كان عوناً لي وسندي والأب الروحي! يا إلهي! منظومة فساد متكاملة، هذه البلد لها رب رحيم فعلاً.
- ولها نحن ومَن يبحث عن الحق بنفس طريقتهم، إذا أردت أن تعيش وسط الذئاب فلا بد أن تكون أسداً.

- تصبح أسدًا وهم ذئاب ويضيع الجميع، تريد تطبيق قانون الغاب؟ القوي يأكل الضعيف، لكل شيء حدود يا صديقي، لا بد أن نكون بشرًا في النهاية.
- ما رأيكم في سهرة هادئة لنُخَفِّفَ من جو التوتر الذي نعيشه قليلًا.
- قبل تخفيف التوتر، ماذا سنفعل مع وهدان؟
- بعد انتهاء القضية غدًا واختطاف القاضي سنتصل به من هاتف يُستخدم مرة واحدة، نطلب عشرة ملايين جنيه فدية، ثم نتابع اتصالاته لنعرف جميع مَنْ يعمل معهم؛ لأنه بالتأكيد سيتصل بكل من يعرف لجمع المبلغ.
- ولكنه قد يكون عنيفًا جدًا أيضًا، خاصة مع كل معارفه قد يحاول البعض مجاملته.
- لهذا لا بد أن يكون تحركنا محسوبًا بدقة، من خبرتي أستطيع أن أقول إن أجهزة أمنية كثيرة ستتحرك تحت ضغط الحلقات الضعيفة من نوعية فهد، ولهذا يجب أن تكوني يا لمار في قِمَّة تركيزك خاصة أن أجهزة التحريات عندنا قوية جدًا وإمكاناتها عالية، ولو ركَّزوا معنا فلن نأخذ وقتًا طويلاً حتى يجدونا.
- ألم تكفهم عملية الصَّفِّ والكم الكبير من السيارات المسروقة التي عادت لأصحابها؟

- المشكلة في الفاسدين الذين يلعبون في الظلام خاصة لو كانوا ذوي سلطة، يضللون العدالة ويُسَخِّرون إمكانات الدولة لخدمة مصالحهم.
- أنا أرى أن نُسَقِط إحدى الحلقات القوية فيضعف الاتصال بينهم.
- نسقط فهد؟
- بل الوزير، فهو أقوى الحلقات وأضعفها في الوقت نفسه، أي حديث حول سمعته يسقطه سياسياً فوراً، وبعدها يصبح لُقمة سائغة للجميع.
- إذن أماننا مهمة إسقاط الوزير سامي النّوام ومعها كشف علاقة فهد به فنضرب عصفورين بحجر واحد، لقد انفتحت شهيتي للطعام، على ماذا استدعوننا يا ناجي.
- سمعوا من جديد بكاء لمار.. واساها فريد ثم قال ناجي:
- صدقيني يا صغيرتي لن يفلت أحد بدم تسبّب فيه، مَنْ قتلوا والديك سيرون عذابهم في الدنيا ثم يأخذ والديك حقهم كاملاً في الآخرة، تعددت الأسباب والموت واحد. العشاء اليوم من اختيارك، أرينا إبداعك..
- سألت لمار:

- هل هناك مطاعم شامية هنا؟
- بالتأكيد، ستجدين أرقام المطاعم الكبرى على النت.
- إذاً أعطني هاتفك أحدثهم ليجهزوا الطلبات حتى تصل إليهم
- بدأت لماز في إملاء قائمة الطعام مع مَنْ تتصل به "فتة المكدوس، برغل باللحم وحمص الشام، كبيبة برغل واللحم بالزعر مع سلطة الزبادي، لفائف الخبز السوري بالدجاج والجبن، كباب حلبي، محاشي، كرايبج حلب، حلو الشام" ..
- ضحك فريد بعد أن انتهت لماز:
- ستُضيّعين كل لياقتنا في أكلة واحدة.
- لقد طلبتُ كميات قليلة من هذه الأصناف لتذوقوا جمال مطبخنا.

نزل ناجي وطلب من صبري أن يذهب معه، مروا على الأرض الجديدة لمتابعة الإنشاءات، كان سالم ابن عم صبري في انتظارهم في غرفة الحراسة، مرَّ سريعاً على ما جرى إنجازه وقد كان يسير جيّداً، طلب من سالم أن يبلغه بكل جديد ثم أخذ صبري لإحضار الطعام.. اتصل به سيد ليؤكد موعد اليوم التالي في المحكمة وأخبره أن السيدة التي ستُمثّل دور صاحبة الفيلا والشاهدين جاهزون، أخبره ناجي أنه سيزيد مكافأته ويريده في عملية فورية أخرى.. في اليوم التالي

انتهت القضية بالحكم لصالح ناجي بملكية الفيلا، خرج سعيداً وكان في استقباله أيمن.. ابتسم ناجي:

- مُتَعَجِّلٌ جَدًّا أَنْتَ يَا أَيْمَنَ، نَلْتَقِي فِي الْمَسَاءِ فِي الْفَنْدَقِ عَلَى النَّيْلِ
لَأَنِّي أُرِيدُ مَنَاقِشَةَ عَمَلِيَّةٍ أُخْرَى.
- كَمَا تَأْمُرُ يَا كَبِيرَ، نَلْتَقِي وَقْتَهَا تَشَاءُ.

طلب من سيد أن يحضر مع أيمن في المساء بعد أن أعطاه بقية رشوة القاضي.. انتظر في سيارته حتى خرج القاضي بسيارته، سار خلفه حتى دخل القاضي لأحد المولات الكبرى في المعادي، وضع سيارته تماماً خلف سيارة القاضي وانتظر على مسافة قريبة، حضر القاضي بعد أكثر من ساعة ومعه بعض المستلزمات، ظهرت عليه علامات الغضب الفوري بمجرد أن رأى سيارة ناجي تحجز سيارته.

تسلَّلَ خلفه ناجي وصعقه بصاعق كهربي فسقط القاضي غائباً عن الوعي، أسرع بوضعه في حقيبة سيارته ومعه مشترياته، ثم انطلق عبر الطُّرُق الخلفية الضيقة عائداً إلى سقارة.. هلَّلَ له فريد وحيته لمار على احترافيته، وضع ناجي القاضي على طاولة التعذيب النفسي وربطه جيداً، طلبت لمار من الصغير ألا ينظر إلى ما يحدث، أفاق القاضي أخيراً ليجد نفسه مُكَبَّلًا ومُدَدَّاً على الطاولة، حاول استيعاب الموقف ثم صرخ في غضب:

- سَتَنْقَلِبُ الْبَلَدَ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، سَيَبْخُثُونَ عَنْكُمْ وَيَجِدُونَكُمْ وَأَقْلَّ حُكْمٍ سَتَأْخُذُونَهُ هُوَ الْإِعْدَامُ.

ناجي ضاحكًا:

- لا تَحْفُ، قبل أن يتم إعدامنا سوف نضعك على الخازوق.
- ثم ضبطت توقيت نزول نقطة الماء على رأسه تمامًا.. شعر القاضي بجدية الموقف وخطورته:
- أرجوكم، أي أموال تريدونها سأدفعها لكم، ولكن أخبروني مَنْ أنتم.
- نحن متظلمون منك بسبب أحد أحكامك الفاسدة ضِدَّنَا، وارجعْ بذاكرتك لعامٍ مضى.
- حدد بالضبط حالتك وقضيتك.

فريد ضاحكًا:

- طبعًا، لن تعرف بسبب كثرة القضايا التي أضعتَ فيها حقوق الناس بالرشاوى التي حصلت عليها.. عمومًا أنت هنا في مكانك المناسب.
- ولا تقلق على زوجتيك العلنية والسرية وأبنائك، لن نخبرهم بشيء الآن.

أصابته المعلومة القاضي بحالة من الذهول، زوجته الجديدة الشابة لا يعرف عنها سوى القليل، أدرك أنه لا يتعامل مع هواة، لذلك صمتَ تمامًا في انتظار الخطوة التالية.. خرج ناجي إلى منطقة بجوار

الهرم واتصل بوهدان عبر برنامج لتغيير الصّوت وضعت له لمار، بمجرد أن تحدث وهدان بدأ بالهجوم الشرس والتهديد والوعيد..

- سوف أحرقكم وأقتلكم وأدمركم، سأقلب البلد عليكم، لن تكفيني أرواحكم أنتم وعائلاتكم لو حدث مكروه لابني.

- اسمع أيها السفاح، أمامك يومان لتُجهّز عشرة ملايين جنيه عملة صغيرة غير مسلسلة، ومعها اعتراف مُسجّل صوت وصورة بجميع جرائمك وعلاقاتك ومعارفك في كل مكان في العالم، لو اتصلت بالشرطة فلن تراه مرة أخرى.

ثم أرسل له صورة ابنه مُكبَّلاً وأنهى الاتصال.. بعدها ألقى الشريحة وكسّر جهاز الهاتف حسب طلب لمار حتى لا يجري تتبعه

وصل إلى الفندق فوجد أيمن وسيد في انتظاره، سلّم كل منهما بقية الاتفاق وعليها خمسة آلاف جنيه مُكافأة إجابة، ثم سلّم سيد عشرة آلاف جنيه لتسليمها للقاضي.. قال سيد:

- ذكّرتني، القاضي اختفى بعد خروجه من المحكمة وهاتفه مغلق.

- لعله ذهب يحتفل هنا أو هنا، ألم تخبرني أنه يحبُّ اللهو.

- على رأيك، خاصة وأن الغد عطلة، أخبرني، ما أحوالك مع الفتاة؟

- هذا ما أريدك من أجله، سأتزوجها، وأحتاج لعمل أوراق لها ولشقيقتها الذي أحضرته حسب طلبها.

- قلتُ لك إنك لست بسهل، وما المانع؟ حتى نصل إلى الثمار لا بد من دفع الثمن، لئيم وصاحب مزاج أنت.

أيمن:

- أليس لنا نصيب في هذه الحلويات؟

- نشترى لك قطعة جاتوه، متى العرض القادم يا سيد.

- لا توجد عروض قادمة، وهدان في حالة يرثى لها.

ناجي مُتصنِّعًا التعجب:

- لماذا؟ هل سُرقت سيارته؟

- بل اختُطفُ ابنه.

- مستحيل؟ كيف يُختطف ابن ملك السوق، هذا تسيب ومهزلة حقيقية، هل عرفت من خلف ذلك؟

- الداخلية مقلوبة، الوزارة تغلي، الكل مُسخر للوصول إلى الصَّغير.. يقال إنها عصابة دولية إرهابية كبرى وتُمثِّل خطرًا على الأمن العام.

كتم ناجي ضحكته:

- ولماذا لم تتحرك أجهزة الدولة من أجل كل الأطفال الذين يُختطفون يوميًا؟ لماذا لا يعرفون شيئًا عن المقر الذي ذهبنا إليه مع وهدان.

- أَلَمْ تَعْرِفْ؟
- أَعْرِفْ مَاذَا؟
- لَقَدْ دُمِّرَ ذَلِكَ الْمَقَرُّ وَاقْتَحَمَتْهُ قَوَاتُ الْأَمْنِ.
- إِنَّهَا ضَرْبَةٌ قَوِيَّةٌ لَوْهَدَانِ، وَمَاذَا فَعَلَ؟
- فِي نَفْسِ الْيَوْمِ اخْتُطِفَ ابْنُهُ، وَلِهَذَا الْكَلَامُ السَّائِدُ أَنَّهَا خِلَافَاتٌ مَعَ بَعْضِ شُرَكَائِهِ فِي عَصَابَاتٍ أُخْرَى، أَوْ أَنَّ دَوْرَهُ انْتَهَى وَيَجِبُ تَدْمِيرُهُ.
- وَهَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ؟
- أَخْبَرْتُكَ مِنْ قَبْلِ عَنِ الضَّابِطِ سَلِيمِ الَّذِي لَهُ دَوْرٌ أَكْبَرُ مِنِّي لَا أَعْرِفُهُ، سَمِعْتُهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَهْدَانٍ وَمَدَى خُطُورَتِهِ بَعْدَ كَشْفِ مَقَرِّ الصَّفِّ.
- سَيَبْعُونَهُ؟
- قَدْ تَجَرَّيْتُ تَصْفِيَّتَهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ.
- فَعَلَّا الْعَمَلَ مَعَكُمْ لَا رَحْمَةً فِيهِ.
- لَيْسَ لِي دَخْلٌ بِكُمْ، أَنَا أَسِيرٌ بِجَوَارِ الْحَائِطِ وَلَا أَتَدَخَّلُ سِوَى بِالْعَمَلِيَّاتِ الصَّغِيرَةِ، لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى مَجَارَاتِكُمْ.
- وَلِمَاذَا تَجْمَعُنِي مَعَهُمْ؟
- لِأَنَّكَ أَقْوَى وَأَهْمُ وَأَكْبَرُ مِنْهُمْ، كُلُّنَا يَعْلَمُ ذَلِكَ.

- مَنْ تَقْصِدُ بَكَلْنَا هَذِهِ؟
- أنا، أيمن، وهدان، لكن لا نعلم مَنْ وراءك ولا ما هدف كل ما تفعله، ولكننا مستفيدون وهذا هو المهم.
- أنتم رجالي، وحمايتكم واجب عليّ، لا تقلقوا، لا يستطيع أحد في العالم أن يمسكم، ولكن استمروا بجوار الحائط، هذا آمنٌ لكم.
- "أيمن":
- ونحن في داخل الحائط وليس بجواره.
- أعطى ناجي بعدها سيد صورتين للهار وفريد وأخبره أنه يريد اسمها لمار إِيَاد نعيم حماد.
- واسم شقيقها؟
- فريد.
- فريد ماذا؟
- أيها الذكي، فريد شوقي؟
- رَگْز يا سيد، يبدو أنك قد أصابك الجوع.
- فعلاً، سأموت من الجوع.
- ناجي ضاحكاً:

- نطلب الطعام قبل أن يأكلنا.

أعطاه ألفي جنيه لإنهاء مسألة البطاقات الشخصية ثم تناولوا طعامهم وتفرقوا على أن يجتمعوا فور صدور البطاقات الجديدة، لكنه طلب من سيد اللقاء في اليوم التالي في قهوة عماد الدين..

عاد إلى المقر في الفيلا القديمة فأخبره فريد أن توقُّعه كان صحيحًا، بمجرد انتهاء مكالمته اتصل وهدان فورًا بالوزير وبكل معارفه لجمع المبلغ، ومعه بدأ في تكوين جيش صغير، وقد تدخل معه ضابط اسمه سليم وكذلك فهد وأخبراه أن ماله وابنه سيعودان معًا، واتفقوا على اللقاء غدًا صباحًا في مطعم يمتلكه وهدان بالهرم.

- أخبار جيدة، هل عرفت شيئًا جديدًا عن الوزير سامي النوام؟

- سجلتُ مكالمته مع وهدان، وقد تحدَّث وهدان مع شخص مجهولٍ وأكدَّ له أن الوزير لو لم يساعده فسوف يُخْرِجُ كل المستندات التي معه ضده.

- لا بد أن تلك المستندات يحتفظ بها في شقته بعمارة المعادي.

- إذن لا بد من زيارتها، يجب أن نتحرك بسرعة، هل تستطيعين مساعدتنا يا لمار؟

- بالتأكيد، عمارة المعادي مُراقَبة بالكاميرات، وكذلك الشَّقة، سأَتَّبِع هاتف وهدان.

- كيف سنخلي الشقة ممن فيها.

- حريق صغير بإلقاء المولوتوف على الباب الرئيسي بعد أن يصعد أحدنا كعامل توصيل بيتزا، ثم نتدخل لإطفاء الحريق وندخل الشقة بدون أن يشكَّ أحدٌ.
- لا بد أن نُحدّد مكان وضع الأوراق، والأهم لو كانت هناك خزانة.
- هناك أملٌ واحد لنا لنعرف مكان الأوراق.
- ما هو؟
- أن يتحدث في الهاتف وهو موجود في المنزل، وبذلك أُسيطرُ على الكاميرا وأُسجِّل كل تحركاته.
- أنتِ رائعة! قلتِ لي في أي كلية كنتِ تريدين استكمال تعليمك؟
- إدارة الأعمال.
- بل يجب أن تلتحقي بهندسة الاتصالات.
- أظنُّ أن الدراسة تفسد الهواية، ثم ما أريد أن أعرفه هو كيف اكتسبتِ كل هذه المهارات ولماذا؟
- ظروف الحرب فرضت علينا وجوب الحذر الشديد في اتصالاتنا، بالإضافة إلى أنني حصلتُ على دورات متقدمة جدًا في الكمبيوتر من أجل الالتحاق بالكلية التي أريدها.

- يجب أن نحرص على وجود اتصال بوهدان عندما يعود إلى منزله.

- أظنُّ أن ظروف وهدان الآن تجعل رنين هاتفه لا ينقطع.

- للتأكيد سوف أنزل إلى وسط البلد وأتصل به من جهاز بدائي وشريحة استخدام مرة واحدة وأحاول تعليق المكالمة أطول مدة ممكنة.

تابعتُ لماز تحركات وهدان حتى عاد إلى شقته، كان هاتفه لا ينقطع عن الاتصالات الداخلة والخارجة مما أتاح للشار سهولة متابعته عبر التحكُّم في كاميرا الهاتف، دخل إلى شقته المكونة من طابقين وصعد إلى الدور الثاني، سجلت لماز كل تحركاته داخل الغرفة بالزوايا التي تسمح بها حركة الهاتف في يده، بقي مدة طويلة يتحدث في الهاتف ويقلب في أوراق موجودة في مكتبه، لم تلاحظ وجود خزانات من أي نوع.. اتصلت بناجي تطلب منه العودة لأن المهمة تمت دون الحاجة إلى اتصاله.

خرج ناجي وفريد بعد أن خضع للتتُّر مُبكرًا في صباح اليوم التالي، وصلوا قرب عمارة وهدان وانتظروا حتى خرج وأكدت لهما لماز ابتعاده.. دخل فريد أولاً بجديّة شديدة وطلب من حارس العمارة أن يلتقي المالك لوجود شكوى إزعاج.. تعجَّب الرجل ودخل معه ليصعدا إلى السطح مصدر الشكوى.. تسلَّل ناجي إلى الفيلا في الدور الثاني ووضَعَ الملوّتوف على الباب ثم أشعله، تعالت الصَّرخات من

الداخل بعد قليل بوجود حريق، نزل فريد مع الحارس على صوت الصُراخ وتصنّع ناجي - الذي كان يرتدي سُترة واقية من اللّهب - كَسَرَ الباب لإنقاذ من بالداخل بينما هو في الحقيقة كان يعمل على نشر النيران داخل الشقة، ساد الهرج والمرج، تسلّل فريد إلى الغرفة التي وصفتها له لمار بدقة، أخذ الأوراق الموجودة كلها في المكتب ووضعها أسفل ملابسه ثم أشعل النار في الستائر الداخلية للمكتب ثم خرج ليزدوب وسط الفوضى التي حدثت، كانت النار تشتعل في كل أنحاء الشقة حين خرجا إلى السيارة مع وصول سيارات المطافئ، انطلق ناجي عائداً إلى سقارة، أوصل فريد ثم ذهب للقاء سيد حسب الموعد المُسبق.. بدأ فريد ولمار في فحص الأوراق، كانت سعادة فريد طاغية حين وجد أوراقاً تدين فهد منها تحويلات بنكية، ووجد أوراقاً لتملّك أراضٍ وتسهيلات ضخمة مُوقَّعة من الوزير سامي النوام وآخرين، كانت أكثر الأوراق إثارة إيصال استلام ثلاث فتيات مُوقَّع باسم مجهول.

- حتى الفتيات أصبحن يُسلّمن بأذن مثل البيتر؟
- هي تجارة لا أكثر يا لمار، لا تفرق معهم نوعية السلعة إن كانت بشراً، مخدراتٍ، قطع غيار بشرية.. بالمناسبة هل استطعتِ تفريغ الهارد ديسك الذي أحضرناه من عملية الصّفّ؟
- بالتأكيد، وقد ظهرت بيانات كثيرة جداً، كانوا منظمين فعلاً، مسجل عليها جميع العمليات التي قاموا بها منذ ثلاث سنوات.

- هل بها أسماء؟
 - عمليات تفصيلية بالأسماء والتواريخ، وما زلتُ أبحثُ لأعرف أين ذهب رائف ابن ناجي، ولكنني اكتشفتُ مُراسلاتٍ منتظمة بينهم وبين مستشفى النجوم الكبرى.
 - لا يمكن! الكلاب.. إنه أحد أكبر المستشفيات في البلد.
 - منظومة متكاملة تعمل في الظلال.
- التقى ناجي بسيد في مقهى شارع عماد الدين، اعتذر عن التأخير ثم دخل في الموضوع مباشرة:
- هل أنهيتَ البطاقات؟
 - أعطني يومين لأتمَّ العملية، ألم تطلب أن يكون لهذه الأسماء وجود طبيعي في قاعدة البيانات بتسلسل التواريخ التي أعطيتني إياها؟ أنت تريد إيجاد شخصيات من العدم، وهذا يحتاج وقتًا وهدوءً ومالًا.
 - أيُّ مالٍ لا يهمُّ.
 - هل هذا فقط ما كنتَ تُريدني من أجله؟
 - لا طبعًا، قل لي، هل تذكر الأمين الذي وُجدَ مقتولًا على الطريق الصحراوي منذ عام تقريبًا؟
 - طبعًا، الأمين ربيع، ما زال قاتله هاربًا.

- هل حقًا لا تعرف مَنْ قتله؟
- لقد كان بينه وبين شخص اسمه سامح تقريبًا مشكلاتٌ بسبب سيارة مسروقة وأظنُّ - كما جاء في المحضر - أنه ترصَّد له وقتلَه.
- وهل تُصدِّقُ هذا الكلام؟ ثم مَنْ الذي كَتَبَ المحضر؟
- الضابط سليم، أول مَنْ وصل هناك.
- وماذا كان يفعلُ هناك؟
- لماذا كُلُّ هذه الأسئلة؟
- لأنَّ مَنْ قَتَلَ ربيع هو المسئول عن اختطاف ابن وهدان.
- ماذا تقول؟ إنها حرب إذن، وهل تعرفُ مَنْ فعلَ ذلك؟
- للأسف لم أعرف حتى الآن، أريد خدمة المعلم وهدان ولكنني وقفتُ أمام حائط مانع.
- تعرف كيف ستتغير حياتك لو أعدتَ إليه ابنه!
- لمعت عينا سيد قائلاً:
- لقد رصد مليون جنيه لمن يُعيده إليه.
- أَرَأَيْتَ؟
- وماذا تريدُ مني بالضبط؟

- أن تعرف لي الملابس الحقيقية وراء مقتل ربيع؛ لأنها ستقودنا مباشرةً إلى مَنْ خطف ابن وهدان.
- لقد قلتُ من البداية إنك أكبر من الجميع وأخطرهم.
- قريباً جداً سأريحك مِنْ تعب الدنيا.. المهم ألا تخبر أحداً بحديثنا حتى لا يعرف أولئك الخونة أننا اقتربنا منهم.
- وهذا أملنا فيك يا كبير، ولا تخش شيئاً، لن يعرف أحدٌ.

الفصل الخامس

عاد ناجي إلى الفيلا ونزل مع فريد لمساومة القاضي بعد أن وصل إلى قُرب مرحلة الجنون بسبب نقطة الماء المنتظمة..

بمجرد أن فتحَ ناجي البابَ صرَّخَ القاضي:

- أرجوكم، سأُكفِّرُ عن كل ذنوبي، سأعترف بكل جرائمِي، لكن ارحموني مِن هذا العذاب.

- سنمنحك فرصة حتى الصباح لتكتب كل القضايا التي أفسدتها ولعبت بها وتلقيتَ أموالاً بسببها، جميع حلقات الاتصال التي تعرفها، جميع حساباتك في البنوك وأملاكك العينية، ثم ستبيع لنا كل أملاكك لنحاول تعويض مَنْ أصابهم الضَّرُّ بسبب أعمالك القذرة.

القاضي باكياً بعد أن نزلت عليه نقطة جديدة:

- أرجوكم، سأفعل أي شيء تريدونه، فقط حرِّروني.

حلَّ فريد وثاقه بعد أن كبَّل ناجي قدميه ثم نقلوه إلى أبعد زنزانة عن الصغير، وضع له فريد طعامًا انكبَّ عليه بشراهة، ووَضَعَ له أوراقًا وأقلامًا ليكتب ما طُلِبَ منه.. خرجا بعد ذلك لترتيب خطوات اليوم التالي، أخبرتهم لمار أن وهدان قد فَقَدَ الثقة بالجميع بعد حرق شقته وأصابه انهيارٌ شبه كامل، وقد اقترب من جَمْع المبلغ المطلوب، لكن فهدهد يُصرُّ على ملاحقة الأموال أمنيًّا وقد أعدَّ قوة كبيرة لذلك، وسيحاولون تتبع الاتصال.. قال ناجي:

- وما الاقتراحات؟
- أظنُّ أن جهاز تحديد الأماكن يحتاج دققة ليحدد المكان.
- لا شيء مضمون، ربما توجد أجهزة حديثة الآن.
- سأرسل له رسالة بما نريد آمنَ وأضمنَ.
- جيد، أقترح أن يُقسَّم الأموال على خمسة أجزاء ويضعها في أماكن مختلفة.
- هكذا سنتشتت.
- لقد طلبت عملات صغيرة، ستكون كمية الأموال كبيرة، ربما سنحتاج حقيبتين كبيرتين.
- سنكشف له مباشرة أننا نعرف باتصاله بالشرطة، لذلك عليه أن يحضر ومعه الأموال والضابط فهدهد إلى محطة أجرة الأقاليم

بعبود، ثم يركبان باص نحو أسوان على بعد حوالي ١٠٠٠ كم.

- هذا سيستغرق اليوم كله، ماذا بعد؟
- في أول استراحة للحافلة نأخذ الأموال من مخزن الأمتعة السفلي ونضع حقيبتين شبيهتين تماما مكانها.
- سأركبُ معه الحافلة أضمنُ؟
- لا أظنُّ أن فهد سيسمح بذلك، يجب أن نُشدّد الشروط قليلاً.
- نطلب منهم ترك هواتفهم وكل ما معهم في أمانات محطة القطار، وسيجدون في المكان نفسه هاتفًا صغيرًا باسم وهدان، قديم وغير قابل للتتبع، نخبرهم أنهم مُراقبون جيدًا، ونطلب منهم الخروج من الباب الخلفي محطة الصعيد نحو الشارع الخلفي للمحطة دون أن يُحدّثوا أحدًا.
- ولكن أجهزة الكشف عمّا بداخل الحقائق ستوضح ما فيها.
- وهل تعتقد أن رئيس قسم التحقيقات في مديرية الأمن سوف يخضع للتفتيش؟ لو كان في أمريكا لن يحدث ذلك.
- جيد، وماذا بعد؟
- سنسبقهما على محطة عبود ونطلب منهما ركوب أول موعد إلى الإسكندرية، ونضع الحقائق المشابهة لحقائبهم فيها، ثم أركبُ

أنا معهم وتسبقنا أنت إلى نهاية تفرعة الطريق الحر، سأنزل أنا
لأخذَ حقائبي التي هي حقائبهم ثم سننطلق عبر طريق فرعي
زراعي لا يوجد عليه أمن إلى القناطر الخيرية، وبالطبع قبل
ذلك سنضع الأموال في مكانٍ سرّيٍّ بالسيارة ونحرق
الحقائب.

- رائع أنت يا سيد فريد!
- أشعر بالخطر، هناك حلقة مفقودة، خطُّك تبدو سهلة جدًّا،
ونحن نتعامل مع شخصيتين في منتهى الخطورة وخلفهما
جيش جرار رسمي وغير رسمي، نحتاج لتأمين أكثر.. أقترح
أن نضع قبلة موقوتة في سيارة وهدان ثم نطلب منه استكمال
الخطّة كما قلتَ يا فريد، بعد وضع الحقائب في الحافلة تطلب
منهما بالهاتف العودة إلى السيارة، بمجرد دخولهما تخبرهما
بالقبلة، وأي حركة سيجري تفجير السيارة، في الوقت نفسه
أستمرُّ أنا في الحافلة كراكب عادي وأخذ حقائبي عند السيارة
التي سنتركها على الطريق في منطقة معينة في بركة السبع.
- من الممكن أن يضعوا أجهزة تتبّع في الحقائب.
- هذا مُتوقَّع، ولذلك بمجرد أن آخذ الحقائب سأفرغها في
حقيبة سيارتي ثم أترك الحقيقتين على جانب الطريق ليأخذهما
أيُّ عابرٍ.

- جيد، إذا ستتحرك أنت الآن لتضع السيارة في بركة السبع بجانب المكان الذي ستنزل فيه.

- نعم، وستتابع تطور العملية من خلال مراقبة هاتف وهدان، سنتصل في السادسة صباحًا بوهدان ونُحدّد له خط السير مع فهد..

خرج ناجي من فوره إلى طريق الإسكندرية الزراعي حتى وصل إلى بركة السبع بعد أقل من ساعة ونصف، تركَ السيارة قُربَ الطريق وعاد في سيارة أجرة إلى القاهرة ثم إلى سقارة.

في السادسة صباحًا كان يتصل بوهدان وهو يعلم من لمار أنه قد جمّع المبلغ ونَسَقَ مع فهد، بعد أن وصل رمسيس حدثه من هاتف الاستخدام الواحد:

- اسمع يا وهدان، لقد أخللت باتفاقنا، تحضر معك الضابط فهد إلى رمسيس في سيارتك وتقف بها في ميدان أحمد حلمي، ومعك الأموال، نحن نراقبك، إذا أجريت أيّ اتصال بالشرطة أو العصابات التي جهزتها فلن ترى ابنك مرة أخرى، وسندمرك.

أغلقَ الخط وكسرَ الهاتف بعد أن قطع شريحة الاتصال، بعد ساعة أخبرته لمار أنه قد وصل إلى المنطقة المتفق عليها، وأن معه فهد بعد أن أكّد عليه ألا يتصل بأحد.. اتصل ناجي بوهدان من رقم جديد، بادره وهدان:

- فعلت كل ما طلبته مني.
- لا تتحدث أبداً، الآن انزل مع فهد ومعك الأموال وادخل إلى محطة القطار، توجه إلى منطقة المطاعم في الدور العلوي وانتظر..
- نزل وهدان مع فهد مُسرَّعين إلى حيث طلب منه ناجي فأتاح الفرصة لفريد كي يضع القبلة الصغيرة أسفل السيارة.. بعد نصف ساعة أخرى اتصل ناجي بوهدان:
- الآن اطلب من العبقري فهد أن ينزع أجهزة التتبع التي وضعها في الحقيبتين، ثم عودا مع الأموال إلى السيارة.
- أغلق الخط سريعاً وترقَّب حتى أخبره فريد عبر الخط المؤمن أنها عادا للسيارة.. اتصل به من خط ثالث فصاح فيه وهدان:
- لن أتحرك خطوة واحدة.
- إذن انتهى الحوار بيننا.
- صرخ وهدان:
- انتظر انتظر، سأفعل ما تريد.
- لن أسمح بكلمة أخرى، خذ بطارية هاتف فهد وأغلق عليه السيارة جيداً، ستجد هاتفاً أسفل الإطار الخلفي الأيسر للسيارة، انزع بطارية هاتفك خذها معك بعد أن تترك الهاتفين

في نفس المكان، سأحدثك على الهاتف الجديد بعد أن تفعل ما قلته لك.

كان فريد يُراقب من بعيد كُلاً ما قام به وهدان، بعد أن وجد الهاتف الجديد أعطى فريد (ناجي) الإشارة، اتصل فوراً بوهدان من رقم جديد وطلب منه ركوب سيارة أجرة والتوجه إلى موقف عبود وترك الخط مفتوحاً، بعد أن وصل إلى عبود طلب منه أن يحجز مقعدين في حافلة الإسكندرية ويضع الحقيبتين بهدوء ودون اهتمام في مخزن الحقائق الصغير بالحافلة ثم ينتظر في مقهى مواجه للموقف حتى موعد قيام الحافلة ولا يغلق الهاتف.

بعد مرور نصف ساعة تحركت الحافلة وكان يركبها ناجي بعد أن وضع حقائبه فوق حقائب وهدان وبحجمها نفسه، بعد أن خرجت الحافلة إلى الطريق طلب من وهدان العودة إلى السيارة في أحمد حلمي دون أن يغلق الخط.. وصل وهدان إلى سيارته، طلب منه ناجي أن ينظر تحت المحرك، شاهد القنبلة الصغيرة.. قال ناجي:

- الآن بهدوء اركب السيارة، جيد، أغلق الأبواب ولا تنزل منها حتى أتصل بك مرة أخرى، ولا تنس، أنت مُراقب، وأية حركة سيتم تفجير السيارة.

كان فهد في قمة الغضب من وهدان لأنه أغلق عليه السيارة بإحكام حتى كاد يختنق، الآن يرفض خروجه.. قال وهدان:

- نحن نتعامل مع تنظيم دولي، كل مرة رقم مختلف حتى لا يمكن تتبعه، السيارة بها قبلة يا سيد فهد.

امتقع وجه فهد من هول المفاجأة والتزم الصمت القاتل.. نزل ناجي في بركة السبع وأخذ الحقيبتين، عاد عبر الطُّرق الداخلية بين المحافظات إلى سقارة، قبل أن يصل بقليل طلب من فريد الذي استمرَّ يُراقب تحركات وهدان وفهد أن يعود إلى الفيلا..

بعد اطمئنانه على فريد اتصل بوهدان يخبره أن الأمانة وصلت وهناك طلب جديد يجب أن ينفذه.. جُنَّ جُنون وهدان فصرخ قائلاً:

- أيها الكلاب، لقد فعلتُ لكم كل ما طلبتموه مني.

- لقد اكتشفنا أن فهد الجالس بجانبك قد أحضر قواته معه، لذلك فقد أخللتَ بالاتفاق، الآن هناك شرطٌ جديد، بعد أن تخرج من عندك اذهبْ ومعك فهد إلى أول طريق الفيوم الصحراوي، السيارة بها متفجرات، أية حركة سأنسفكم، انتظر التعليمات.

وصل إلى المكان الذي وصفه له ناجي بعد نادي الرماية بقليل.

توقَّفَ وانتظرَ حتى تلقَّى مكالمَةً هاتفيةً جديدة يطلب منه فيها ناجي أن ينزل وحده في هدوء ويسير على قدميه، ويحذر فهد بتفجير السيارة لو نزل، كان الظلام قد أخفى معالم السيارات والطريق، بعد قليل من السير أمره ناجي بركوب السيارة التي ستقف بجانبه تمامًا..

نَفَّذَ وهدان كل المطلوب منه، وقفت سيارة ناجي بجواره تمامًا، طلب منه أن يخلع كل ملابسه، ما إن أصبح عاريًا تمامًا حتى ركب بعد أن أعطاه ناجي جلبابًا وما يخفي به وجهه، بعد ركوبه أغلق الأبواب آليًا ثم صعقه صعقة كهربية جعلته يغيب عن الوعي، بعدها انطلق ناجي عائداً إلى الفيلا.

كان الاتفاق على أن يتم إبعاد وهدان عن ابنه الذي كان مغمض العينين مغلق الأذنين طوال الفترة التي كان يجري الحديث فيها مع القاضي حتى لا يحتزن معلومات تضرهم، ولهذا قبل وصولهم إلى الفيلا كانت لما قد أخرجت فارس ابن وهدان ووضعت في غرفة مغلقة مُكَبَّلًا مغلق العينين مسدود الأذنين كما هو..

وصل ناجي وساعده فريد في وضع وهدان على مقعد التعذيب ولم يكن قد أفاق بعد، ثم أخذ فارس كما هو في حقيبة سيارته وأوصله إلى أقرب نقطة من عمارة المعادي وتركه بهدوء بعد أن حُلَّ وثاقه.. توجه بعدها لتنفيذ الجزء الأخير من الخطة والمتمثل في اختطاف شقيقة فهد الذي كان مُتزوجًا وله طفلة صغيرة لا تفارق والدتها؛ ولهذا أجمعوا على اختطاف شقيقته شهد عن طريق تتبُّع خطِّ سيرها الذي ينتهي كل ليلة قرب العاشرة مساءً في صيدلية تمتلكها قرب منزلها، دخل مُرتدياً قبعة كبيرة تخفيه عن الكاميرا، طلب منها قياس الضغط لشعوره بهبوط حادّ، في أثناء إعدادها الجهاز أطلق عليها من سلاح صغير سهمًا مُحْمَلًا بمادة منومة قوية، سقطت فورًا بعد أن أصاب السهم رقبتها، حاول مساعدتها إنقاذها إلا أنه عاجله بضربة على رأسه أفقدته الوعي، ثم

حَمَلَهَا سَرِيعًا إِلَى السَّيَّارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ أَمَامَ الْبَابِ، وَضَعَهَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الصِّيدَلِيَّةِ فَأَخَذَ الْمُسَاعِدَ وَوَضَعَهُ فِي حَقِيْبَةِ السَّيَّارَةِ أَيْضًا، ثُمَّ أَلْقَى عِبُوتِي مَوْلُوتُوفَ لِإِحْرَاقِ الْأَدْلَةِ وَإِتْلَافِ الْكَامِرَاتِ وَمَا سَجَلْتَهُ..

انْطَلَقَ بِسَيَّارَتِهِ بِهَدُوءٍ مَعَ اشْتِعَالِ النَّيْرَانِ بِالْدَّخْلِ فِي الشَّارِعِ الرَّاقِي الْهَادِي، رَغْمَ مَرُورِ الْبَعْضِ وَمَلَا حَظَّتْهُمْ حَدُوثُ شَيْءٍ مَرِيبٍ، فَإِنْ أَحَدًا لَمْ يَهْتَمَّ وَلَمْ يَتَدَخَّلْ، أَقْصَى مَا فَعَلَهُ أَحَدُهُمْ هُوَ الْإِتِّصَالُ بِالْمَطَافِي لِتَحْضُرِ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْرَتِ النَّيْرَانِ فِي الصِّيدَلِيَّةِ وَأَتَتْ عَلَيْهَا بِالْكَامِلِ وَبَدَأَتْ فِي الْهَجُومِ عَلَى بَقِيَّةِ الْعِمَارَةِ.. وَصَلَ نَاجِي إِلَى الْفِيْلَا مُنْهَكًا تَمَامًا بَعْدَ لَيْلَةٍ عَصِيبَةٍ، أَخَذَ فَرِيدَ الرِّهَيْتَيْنِ وَدَخَلَ بِهِمَا إِلَى الْغُرْفَةِ السَّرِيَّةِ، وَضَعَ كُؤُلًا مِنْهُمَا فِي زَنْزَانَةٍ مُسْتَقْلَةٍ بَعْدَ أَنْ كَبَّلَهُمَا وَعَرَفَ مِنْ نَاجِي أَنْ الشَّابَّ الْآخَرَ اضْطُرَّ إِلَى إِحْضَارِهِ بَعْدَ أَنْ رَأَاهُ..

اتَّصَلْتُ لَمَارَ مِنْ هَاتِفِ اسْتِخْدَامِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ بِفَهْدٍ مِنْ خِلَالِ الْهَاتِفِ الَّذِي طَلَبَ نَاجِي مِنْ وَهْدَانٍ أَنْ يَتْرَكَهُ مَعَ فَهْدٍ فِي سَيَّارَتِهِ وَهْدَانٌ عَبَّرَ بِرَنَامَجٍ تَغْيِيرِ الصَّوْتِ، طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَنْزِلَ بِهَدُوءٍ مِنَ السَّيَّارَةِ وَيَبْتَعدَ عَنْهَا قَلِيلًا دُونَ أَنْ يَغْلُقَ الْخُطَّ، بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ قَامَ فَرِيدُ بَتْفَجِيرِ السَّيَّارَةِ عَنْ بَعْدٍ.. أَكْمَلْتُ لَمَارَ حَدِيثَهَا لِفَهْدٍ:

- وَهْدَانُ مَعْنَا، وَكَذَلِكَ شَقِيقَتُكَ شَهْدُ، غَيْرُ مَسْمُوحٍ لَكَ بِالْحَدِيثِ حَوْلَ الْقَضِيَّةِ مَعَ أَحَدٍ، فَارْسُ عَادَ لِأَهْلِهِ وَاسْتَغْلَقَ الْمُحَضَّرُ عَلَى ذَلِكَ، نَحْنُ نَرَا قَبْلَكَ، أَيُّ خُطْوَةٍ بَدُونِ إِرَادَتِنَا سَنَقْتَلُكَ، بَعْدَ أَنْ نَقْتُلَ عَائِلَتَكَ كُلَّهَا.

جُنَّ جُنُون فهد، عاد إلى مكتبه فوراً في المديرية، صبَّ جام غضبه على مساعديه بعد أن أخبروه أنهم فقدوا الاتصال به منذ اختفى ولم يستطيعوا تتبُّعه، وقد قلبوا القاهرة بحثاً عنه.. خرج إلى منزل شقيقته فوجد الصيدلية محترقة تماماً.. وحالة انهيار على زوجها وأولادها.. سألت والدته سؤالاً واحداً:

- هل لما حدث لشهد علاقة بعمله؟

لم يستطع أن يرد فضربته بعنف وهي تدعو عليه لأنها تعلم الكثير عن انحرافات وعلاقاته المريبة منذ تخرجه من كلية الشرطة، أقسم لها أنه لا يعرف من فعل ذلك ولكنه سيقلب الدنيا بحثاً عنها..

بعد يوم عصيب نال الثلاثة قسطاً طويلاً من الراحة انتهى مع إشراقة صباح اليوم التالي، ذهب ناجي أولاً للقيام بالتدريبات الصباحية المعتادة ثم لحقه فريد وخلفه لمار التي تعودت مثلها هذه التدريبات.. قالت لمار:

- كان يوماً رائعاً جداً سار كما نريد، ما خططنا لهذا اليوم؟

- سألتقي سيد لإحضار البطاقات ثم سأستلم تجهيزات المزرعة الجديدة وبعدها سأتعاهد مع شركة كبرى لبناء مبنى جديد مكونٍ من ثلاثة أدوار في المزرعة الجديدة على مساحة ألف متر.

- أنت لا تضيع وقتك، ستستغل أموال وهدان في إنشاء هذا المبنى؟

- هل تريد حصّة من المبلغ؟
- أنا لا أقبل الحرام على أولادي.
- ولا أنا، هذا المبنى سيكون أشبه بالقلعة الصغيرة، يتكوّن من دورين تحت الأرض أحدهما سري تمامًا ومُحصّن يتحمّل قصفًا صاروخيًا، وبه بالطبع سجن مثالي وقاعة محاكمة، والآخر مركز تحكم متصل بالأقمار الصناعية وبه أحدث الأجهزة الممكن توفيرها، الأرضي قاعة استقبال ضخمة ومطبخ ومكتب وقاعات صغيرة، وأما الدور الثاني به غرف نوم فندقية كبيرة وقاعة صغيرة، والثالث منطقة معزولة مؤمنة بها حمام سباحة وجيم حديقة صغيرة.
- ما كل هذا الجمال!
- مثل هذا المبنى سيثير شكوك الشركة المنفذة.
- ماذا تقترح؟
- أن تنفذه بنفسك، تتعاقد مع مقاول عادي مختلف لكل مرحلة وتجعله يتفرغ تمامًا لك لتستطيع السيطرة على كل المراحل ولكيلا يفهم أحد ماذا يحدث، بالمناسبة، ماذا تهدف من وراء هذا المبنى؟ ألا نسعى لحل مشكلاتنا وتصحيح أوضاعنا والانتقام ممن ظلمنا؟ إذا نجحنا في ذلك، ألن نعود إلى حياتنا الطبيعية؟

- هذا المبنى سيتكلف من خمسة إلى ستة ملايين جنيه، بقية المبلغ سأشتري به السبعة فدادين المعروضة للبيع إلى جوارها ثم أُحصّنها بسور كبير بارتفاع أربعة أمتار محاط بنباتات سامة وشبكة كاميرات كاملة، لن أترك الظلم يأكلنا ونحن مستسلمون.

- وتشتري بدلة سوبرمان وسيارة الرجل الوطواط وخيوط سبايدرمان وغضب الرجل الأخضر؟ أنت تحلم يا سيد ناجي، ما تفعله دافعه الأساسي هو فقدانك لابنك، بمجرد انتقامك ممن فعل به ما فعل ستهداً وتعود لحياتك الطبيعية مع زوجتك وولديك.

- أنا معك يا سيد ناجي، سأكمل ما تبقى من عمري أحقق حلمك

ضحك فريد:

- فعلاً، الموضوع كان ينقص المرأة الخارقة.

ضحك الجميع ثم أكمل ناجي:

- عموماً ليس هذا وقته، نريد أن نوقف فساد سامي النوام والشبكة المحيطة به ومنها فهد، كما نريد فضح مستشفى النجوم فوراً لنوقف المذابح التي يفعلونها اليوم قبل الغد.

- سامي النوم كما اتفقنا سنُسقطه إعلامياً أولاً قبل أن ننقض عليه ونفترسه، في الوقت نفسه نخترق مستشفى النجوم عبر إحدى الحلقات الضعيفة التي كشفتها لمار وهو الدكتور هاني الذي سجلت له عبر اختراق كاميرات المستشفى لقاءً عاطفياً ساخناً مع طبيبة أخرى.
- ولماذا لا تُهدد الطبية؟
- لأنني توصلت إلى وجود غرفة أو مكان سري داخل المستشفى لا تكشفه الكاميرات، ربما لأنه خاضع لدائرة أخرى مغلقة غير متصلة بالنت، وقد كشفت الكاميرات العادية الدخول المتكرر للدكتور هاني إلى تلك الغرفة.
- بعد أن تحضر لي البطاقة الجديدة سأتصل بالإعلامي الشهير ناصر عابد لأنني أعرف منذ زمن أنه يبحث عن ملفات الفساد الكبرى، وقد اتصل بي عدة مرات خلال عملي في الشرطة وأعطيته معلومات عن بعض القضايا التي تخص كبار الفاسدين.
- ولكنك تعلم التشديد الأمني وقوة سيطرة النظام ورفضه لفضح ممارسات بعض الفاسدين حماية لاختياراته.
- من الواضح أنك غير مُتمرس في لعبة السياسة، يا سيد ناجي أي نظام حكم في الدنيا له حدود يتحرك فيها تزيد قليلاً في

الدول المتقدمة وتقلُّ قليلاً في الدول النامية حتى تنعدم في الدول المتخلفة، وكلما كان النظام مرناً طالت مدة بقائه، هذه المرونة تتمثل في التضحية من آن لآخر بسمكة كبيرة لكي تعيش الحيتان، لو ظهر مستند قوي واحد يهدد النظام ستجري التضحية فوراً بصاحب المستند، لا عواطف في السياسة، قواعد اللعبة معروفة، مَنْ يترنح سيسقط فوراً وتدوسه الأقدام بمنتهى العنف.

- إذن ستُقابل اليوم الإعلامي المعروف وتسلمه المستندات والسيديات التي تدمرُ النوم.
- سأعطيه النُسخ على الهواء بعد أن أُتيقن من جديته وتنويه عنها في أول البرنامج، ظرف مغلق ألصقه أسفل سيارته، لو أعلن عن الموضوع في بداية الحلقة فسأتصل به وأخبره بمكانه.
- لو أهمل كلامك تبحث عن غيره، أنت رائع يا سيد فريد، كان يجب أن تكون محقق شرطة.

ضحك الجميع ثم أنزل فريد للرهائن طعام الفطور وخرج دون أن يستمع إلى أحد انتظاراً لأولى جلسات محاكمة وهدان التي ستجري في المساء.

الفصل السادس

تهيأ ناجي للخروج، قبل أن يفتح باب الفيلا حدثته لما:

- لماذا تصر على ارتداء الملابس السوداء المتكررة، بنطال جينز مرن أسود، تي شيرت أسود، جاكيت خفيف ذي قلنسوة دائمة تضعها على رأسك الحليق. نظارة شمس سوداء، حذاء رياضي أسود أيضًا.. حتى الجوارب رياضي أسود.
- أرتاح في هذا اللون.
- هناك ألوان وأشكال وماركات أخرى، حتى لو كنت تحب نمطًا معينًا، يمكن تنويعه بما يتناسب مع خطوط الموضة.
- لم أعد أرى سوى الظلال، أعيش في داخل الشوارع المقفرة المظلمة ليلاً ونهارًا، بداخلي هدوء غريب، أشعر أنني ريشة في مهبّ الريح تحركها كيفما شاءت، إحساسي بالحياة أصبح معدومًا، لا تهتمني لأمر يا لمار، ما كُسر لن ينصلح مرة أخرى، ضربة الحياة كانت عنيفة جدًا، واكتشفت أنني زجاجي

من الداخل، تكسّرت أجزائي، في كل مرة أبعد أحد الأشرار
عن الطريق أجد قطعة من الزجاج المكسور وأرممها.

- يا إلهي! كل هذا تخفيه خلف هذه الملابس السوداء؟

ابتسم لها ناجي وهو يخرج ليلحق بموعد سيد متحرّكًا داخل
الخواء الذي تبعثر من حوله.. التقى سيد في مقهى شارع عماد الدين
فأخذ منه البطاقات وأعطاه بقية المال وعليه مبلغ كمكافأة.

- هل سمعت آخر الأخبار؟

- لا للأسف، كنتُ مشغولًا جدًا خلال الأيام الماضية.

- لقد عاد ابن وهدان.

- جيد أن العصابات تلتزم بوعودها.

- واختفى وهدان.

ناجي بعد أن اعتدل في جلسته:

- لا يمكن، ألا توجد عصابة ملتزمة في هذا العالم!

- الدنيا مقلوبة والوزارة مشدودة، عمليات مdahمة واعتقالات
على أوسع نطاق.

- كل هذا من أجل اختفاء وهدان؟ ربما سافر هنا أو هناك.

- هناك كارثة أخرى.

- ماذا؟ هل اختُطِفَ وزير الداخلية؟
- اختطفت شقيقة فهد.
- هذا لعب على كبير جدًّا، وهدان من أجل المال وربما تصفية حسابات بين العصابات، فلماذا شقيقة فهد؟ ولماذا ليس فهد نفسه؟
- لا أحد يعرف، الكل مُسَخَّر هذه الأيام، وسيكون من الصعوبة أن نلتقي في الأيام القادمة لأن هناك تحقيقات داخلية على كل فرد في الشرطة.
- هل من المعقول أن يكون هناك داخل الشرطة من ينقل الأخبار أو يحاول الانتقام من فهد أو غيره؟
- بعض الأقاويل تدعي أن عصابة جديدة تحاول السيطرة على البلد يقودها رجل الظل.
- ومن رجل الظل هذا؟
- إنه الاسم الذي أطلقوه على قائد العصابة المفترض لأنه لا أحد يعرفه.
- من الخطر إذن أن أحدثك على رقمك القديم، اشتري رقمًا دون أن تسجل بياناتك وحدثني منه لو أردتني وسأحدثك عليه لو أردتُك.

- أعشق هذا الرأس الذهبي، بالفعل، عندك حق، سأشتريه حالاً وأرُنُّ عليك منه.

أعطاه ناجي ألفي جنيه قائلًا:

- وهذه لتشتري هاتفًا ذكيًا حديثًا بدلًا من هاتفك الأثري هذا، ولو سألك أحد عليه، قل له إنك اشتريته مُستعملًا بسعر بسيط.

- لا يفوتك شيء أبدًا، الكبير كبير حقًا.

خرج بعدها مُتوجّهًا إلى مستشفى النجوم، طلب الكشف في تخصص الدكتور هاني حيث أخبرته لمار بمواعيد وجوده في المستشفى.. دخل مباشرة بعد أن دفع ثمنَ الكشف العاجل.. جلس أمامه يتأمله وهو يحدث أحدهم في الهاتف، شاب ثلاثيني أنيق طويل القامة أحمر الخدين يتحدث بمتنهى التعالي والتكبر..

- وصف له ناجي أعراض الفشل الكلوي، اهتم به فورًا وطلب منه إجراء تحاليل وفحوصات شاملة.. قال ناجي:

- لقد كرهتُ حياتي، لن أُجري أي فحوص أخرى، مستعدّ لدفع مليون جنيه في مقابل أن أعود طبيعيًا مرة أخرى.

لمعت عينا هاني ثم قال:

- اسمع، تعالَ إلى العيادة مساء اليوم، وسوف نجد حلًا لهذه المشكلة، أعطاه كرتًا شخصيًا به هواتف العيادة وعنوانها.

- هل يمكن أن أرنَّ على هاتفك الشخصي الآن تحسُّباً لضياع الكارت؟

أعطاه هاني الرقم ثم رنَّ عليه ففتح ليؤكِّد صحته.. خرج إلى السيارة ثم اتصل بلمار قائلاً لها:

- هل بدأت في تتبُّع هاتف هاني؟

- أحاول اختراق برنامج الحماية الموجود فيه، سيأخذ بعض الوقت .

- ليس لدينا وقت، أريد أن أعرف بمن سيتصل ليرتب عملية شراء الكلية.

كان توجهه الثالث إلى أحد مكاتب المقاولات الصغيرة التي عمل معها في الماضي وجلس مع المهندس المسئول للاتفاق على الخطوط العريضة لعمليات الإنشاءات التي يريد تنفيذها في المزرعة، بعدها عاد إلى المزرعة الجديدة فتسلَّم عمليات التجديد والصيانة الشاملة التي تمت في المباني ثم ذهب مع صبري لشراء السبعة فدادين الخلفية وأنهى الاتفاق وسط سعادة بالغة من صبري الذي أصبح مسئولاً مع ابن عمِّه عن أحد عشر فداناً كاملة.. عاد إلى الفيلا فأعطى لمار وفريد البطاقات الشخصية الجديدة، ثم خرج مع فريد فاشترى له سيارة دفع رباعي مستعملة دارجة لا تلفت الانتباه بالاسم الجديد لتناسب المرحلة التالية.. كان لقاء فريد مع ناصر عابد حسب طلب فريد في مول بمصر

الجديدة، ذهب معه ناجي وانتظر في جراج المول حيث تم اللقاء.. قال له فريد:

- كيف حالك يا سيد ناصر؟
- بخير، أرجو أن يكون الأمر يستحق كل هذا العناء.
- هذه شبكة فساد كبرى مُسجَّل لها بالصوت والصورة، ومعها مستندات مالية وعطاءات حكومية وعمليات بيع وشراء أراضٍ ومصانع بأقل من عُشر قيمتها.
- وماذا تريد في المقابل؟
- لا شيء، فقط أريد أن أراهم يسقطون أمامي.
- قرأ ناصر بعض المستندات قليلاً ثم تحدّث مذهولاً:
- يا إلهي! إن هذه المستندات كفيلة بإسقاط الحكومة! هذه الأسماء في مصالح كثيرة، معقولة.
- خطف فريد المستندات قائلاً:
- وبسبب خطورة هذه الشبكة وقوتها يجب أن تذيع كل شيء في ليلة واحدة مع تقديم بلاغ للنائب العام.
- اتركها معي حتى أتمكّن من نشرها.
- سأذهب معك إلى مدينة الإنتاج، لو أعلنت عن وجود شبكة فساد كبرى سأعطيك المستندات.

- اتفقنا، نذهب معًا الآن لأجهز الحلقة وأجلس مع فريق الإعداد لنرى المدخل المناسب لعرض هذه الفضائح.

ذهب فريد مع ناصر إلى مدينة الإنتاج، وضع سيارته في المكان المخصص لها بعد أن أصرَّ فريد على عدم اصطحاب ناصر سائقه، طلب الانتظار في السيارة حتى إذاعة المقدمة وفيها الإعلان عن قضية فساد كبرى، وضع الورق والسидيها في حقيبة صغيرة ولصقها بشريط لاصق أسفل سيارة ناصر ثم انسحب في هدوء وخرج من المدينة ليجد ناجي في انتظاره خارجها حسب الاتفاق المُسبق، عادا سريعًا إلى سقارة.. فور وصولهما اتصل ناصر غاضبًا بفريد بعد الإعلان عن كشف قضية الفساد الكبرى بالأسماء والتواريخ والمستندات.

- اهدأ يا سيد ناصر، لقد أردنا التيقُّن من جديتك، ستجد الأوراق في حافظة جلدية أسفل موتور سيارتك.

- يبدو أنكم تنظيم قوي جدًّا ومتمكن، لا بد لنا من لقاءات أخرى.

- نحن إلى جانبك ما دمتَ مع الحق، واليوم مجرد فتح قضايا فساد كبرى تعصف بهذا البلد.

أغلق فريد الهاتف وانتظر مع ناجي ولما راح حتى بدأ عرض المستندات والسیديها ثم حرق الهاتف شريحة الاتصال ونزلوا جميعًا لبدء محاكمة وهدان.. مجرد نزولهم صرخت شهد:

- أرجوكم، لم أفعل شيئاً سيئاً في حياتي، أرجوكم اتركوني أعدّ إلى أولادي ولن أبلغ عنكم، أنا طبيبة صيدلية لا أتعدى حدود صيدليتي.

- وكيف حصلت على هذه الصيدلية؟

- مثل كل الناس، اشتريت المكان وجهزته.

- وكيف حصلت على مثل هذا المكان المميز بهذه السهولة وهذا السعر المنخفض جداً؟

- لا أعرف التفاصيل، لقد اشتراه لي شقيقي فهد.

- ولم تسأل نفسك قط هذا السؤال؟ لقد كانت هناك صيدلية قُرب هذا المكان استغلَّ فهد صلاته وهدّد صاحبها، ولما رفض لفَّق له قضية بيع أقراص مخدرة وأدخله السجن فسُجِبَ ترخيصه، ثم هدّد صاحب المنزل الذي به صيدليتك فلم يأخذ منه أموالاً أصلاً وأعطاك الصيدلية اتقاء شرّه، ما رأيك الآن أيتها الطبيبة الشريفة العفيفة؟

شهد باكية:

- صدقني لم أكن أعرف كل هذه التفاصيل، أرجوك صدقني، أنا مستعدة لتعويض الصيدلي الذي أدخله أخي السجن ظلماً، سأعطيهِ ما يُؤمِّن له مستقبله.

- احتفظي بمالك الحرام إلى أن نرسلك إليه في القبر، لقد مات حسرة على الظلم الذي لطح سمعته ودمّر حياته.

- اسمعي أيتها الطبيبة الشريفة، دورك لم يَحْنُ بعد، سنقيم هنا محاكمات عادلة في حضور القاضي الذي سيحكم بالقانون والعدل الذي لا يعرفه، اسمع أيها القاضي، هذه أوراق قضية وهذان، أمامك ساعتان لدراستها، سنكون جهة ادّعاء، وسيدافع هو عن نفسه، وستكون شاهد ومساعدتها شهودًا على نزاهة الحكم، معك ساعتان وسنعود.

سلّط ناجي الإضاءة على زنزانة القاضي، كانوا يستخدمون جهازًا لتغيير نبرة الصوت ويجلسون في المكان الذي أعده ناجي بعد الباب بقليل.. حيث يظهرون كظلالٍ غير واضحة المعالم لمن بالداخل.. خرجوا فسأل ناجي لما ر عن أخبار هاني:

- لقد أجرى اتصالات متعددة بعد خروجه من المستشفى، أحدها يخصّ حالتك، ينسق مع شبكة شديدة الحذر، لكن الهاتف الأهم كان للأستاذ الدكتور غادة خرفوش والتي يبدو أنها تدير العملية كلها.

- غادة الشهيرة التي رُشّحت أكثر من مرة لتكون وزيرة صحة؟!

- لقد بحثت عن ملفها الشخصي ووجدت أنها شهيرة جدًا، وجابت العالم كله تقريبًا بأبحاثها المهمة في زراعة الأعضاء،

شخصية غامضة شديدة الحرص من صوتها كانت حازمة
مسيطرة.

- لا بد أنها وصلت إلى مكانتها بمجاملة بعض المسؤولين الذين
احتاجوا لهم أو لأسرهم إلى أعضاء جُددٍ.. عموماً سوف
أتوجّه الآن إلى هاني وقد أحضره معي لو واتتني الفرصة.

- سأتي معك حتى يسهل السيطرة عليه.

ذهبَ ناجي إلى عيادة هاني في وسط البلد حسب الموعد المُسبق
وجدته في انتظاره، رَحَّبَ به بحرارة:

- أهلاً بك يا سيد سمير، أليس هذا هو اسمك في الكارت
الشخصي الذي تركته لي؟

- نعم، رجل أعمال من المنصورة.

- هل أحضرت معك الأشعة والتحليل.

- أعرف أولاً فيمَ تُريدني ثم ما بعد ذلك سهل.

- أستطيعُ أن أدبّر لك كليتين جديدتين.

- ألا يستلزم هذا الأمر السفر إلى الصين حسبما أعرف.

هاني مبتسماً:

- لقد وفرنا عليكم السَّفر والإرهاق والأموال، ثم في النهاية
الكلية المحلية أقوى كثيراً من الصينية، اسمع، سوف أحجز

لك في المستشفى غداً، تجري الفحوصات اللازمة ثم نُوفِّر لك الكلى التي تتناسب معك، ولا تنسى أن تحضر معك مئة ألف جنيه تحت حساب العملية.

- أنت تحييني من جديد يا دكتور، غداً أكون في الموعد.

خرج ناجي إلى السيارة المُتوقِّعة خارج المبنى الفاخر حيث ينتظره فريد، جلسا يتسامران حتى خرج هاني من جراج المبنى بسيارته الفاخرة، تبعه فريد حتى خرج إلى نهر الطريق الصحراوي في اتجاه أكتوبر، أوقفه فريد بحركة محترفة للسيارة ثم هجم عليه ناجي بالصاعق الكهربائي.. أفاق هاني ليجد نفسه مُكبَّلاً وُملقى في زنزانة مظلمة، أخذ يصرخ كالعادة مُهدِّداً وُمتوعداً ثم مستعظفاً مُتذللاً.. على الجانب الآخر من الغرفة كانت إجراءات المحاكمة قد اكتملت وبدأ الادعاء الذي تلاه فريد:

- وهدان الشرس، واحد وخمسون عاماً، الاتهامات الأساسية "التجارة في البشر، سرقة الأطفال، سرقة السيارات، الاتجار في الأطفال، ما قولك فيما هو منسوب إليك؟"

- ماذا فعلتم بابني؟

- بيعَ لمستشفى النجوم بمبلغ بسيط، قالوا إن فصيلة دمه منتشرة والطلب قليل عليه.

صرخ وهدان:

- أيها الظلمة، لقد نفذتُ لكم كل ما تريدونه، لماذا تفعلون ذلك؟
- انظر إلى الزنزانة التي ستظهر الآن يا وهدان، هل تعرف هذا الشخص؟
- ثم أثار ناجي زنزانة هاني المقابلة له، فبدا هاني وعلامات الرُّعب تتملكه... قال وهدان:
- لا، لا أعرفه.
- إنه الطبيب المسئول عن نقل أعضاء الأطفال وهم أحياء، أليس كذلك يا هاني، إنه المسئول عن بيع أعضاء ابنك يا وهدان..
- أخذ وهدان يصرخ:
- حرام عليكم، لماذا تفعلون هذا بي؟ خلُّوا بيني وبين هذا الكلب وأنا أقطعه بأسناني.
- ما رأي المحكمة في التُّهم الموجهة لوهدان؟ هل كَوَّنت قرارًا؟
- حكمت المحكمة حضورياً بسجن وهدان الشرس مدى الحياة مع عمل تحاليل كاملة له وتوزيعها على مستشفيات الفقراء، إذا ناسب أحد أعضائه شخصاً ما يُتبرع به فوراً، مع ترك القلب للنهاية.

- ستقطعونني وأنا على قيد الحياة؟
- ليس عندنا وقت أو مكان لهذا الأمر، ستقطع أجزاءك بمعرفة الدكتور هاني الخبير المتخصص ثم إلقاء البقايا للكلاب، رفعت الجلسة.
- أخذ وهدان يصرخ من الرُّعب بينما الباقيون يترقبون ما سيحدث في الأيام التالية.. في صباح اليوم التالي كان فريد يتابع آثار الزلزال المدوي الذي أحدثه برنامج ناصر عابد، استدعي الوزير سامي النوام إلى مجلس الوزراء، وتناثرت أنباء عن تقديمه استقالته، أوقف جميع من ورد ذكره في الحلقة عن العمل وعلى رأسهم فهد، اجتمع طارئ في رئاسة الجمهورية بين الرئيس ورئيس الوزراء.. قال فريد:
- إنه زلزال حقيقي، البلد كلها في حالة طوارئ، انهيار إمبراطورية فهد وثبات تورطه في عمليات مشبوهة وفساده سيؤدي إلى فتح جميع القضايا التي تمت على يديه، ومن ثم سيكون من السهل إثبات براءتي.
- خاصة أن جزءًا كبيرًا من منظومة الفساد المساعدة له قد انهارت عبر وهدان وسامي النوام والعناصر التي كانت تعمل معهما، حتى من لم يُذكر في التقارير سوف يخاف ويسير بجوار الحائط.
- "لما ر:"
- مبارك يا سيد فريد، لا يضيع حق وراءه مطالب أبدًا.

- لم نفعل شيئاً بعد، أريد أن نعمل على محور غادة خرفوش المتوحشة ونسقط إمبراطوريتها الحقيرة.
 - وقد حان الوقت للإحاطة بآدم زوج شقيقة زوجتي.
 - فيمَ تفكر يا ناجي؟
 - آدم يمتلك شركة مقاولات صغيرة معروف عنها الفساد ودخولها في العمليات المشبوهة، سندخل عليه عن طريق رغبتنا في اشتراك شركته معنا في عمليات هدم للقصر المجاور لنا وبناء فيلا بمواصفات حديثة.
- "لمار":

- ستحضره حتى هنا بقدميه؟
 - نعم، وستكون هذه مهمة السيد فريد لأنه يعرفني جيداً، يقوم بها اليوم بينما سأتابع أنا غادة خرفوش بعد أن عرفنا من هاني ما يجري في الجناح المغلق دائماً داخل مستشفى النجوم.
 - تقصد الجناح الملكي الذي يقيم به الأثرياء في انتظار ضحاياهم
- لمار:

- لقد عرفنا من تتبّع هاتف هاني أن هناك مَرَكز تحكّم تجري فيه عمليات التنسيق داخل العيادة الفندقية لغادة في منطقة الزمالك، وأنا أظن أن الكمبيوتر الرئيسي هناك سوف يحتوي على جميع البيانات والعمليات التي تمت وستتم.

- بالتأكيد، ليس هناك أفضل من التستر وراء العلم والسُّمعة، اليوم يجب أن نحصل على هذه البيانات، وكلمة السر من ورائها، هل حصلت على أي معلومات من اتصالات أو هاتف هاني عن هذا الأمر؟

- لا يوجد شيء في الهاتف.

- إذن هيا بنا إليه لنرى إن كان سيتحدث بهدوء أم سيحتاج منا إلى معاملة خاصة.

نزلوا جميعاً إلى الغرفة السَّريَّة، وضع فريد وهدان مقيداً في زنارته النهائية ثم أحضر ناجي الدكتور هاني إلى مقعد التعذيب مُقيّداً وسأله مباشرة:

- أين تحتفظون ببيانات عمليات نقل الأعضاء التي تُجرونها بها.

- لا أعرف شيئاً عما تقول.

صعد ناجي فضبط جهاز تنقيط حامض الكبريتيك المركز بحيث تنزل نقطة كل ساعة وبدأ بأول نقطة على رأس هاني مما جعله يصرخ من الألم.. ضبط المقعد للتحرك أيضاً بحيث تنزل كل نقطة في مكان مختلف، أمسك بذقن هاني بعد أن ثبتَّ رأسه في المقعد بطريقة عنيفة.. قال له:

- لن أرحمك، كل نقطة من الحامض المركز ستحفر نفقاً في جسدك، النقطة القادمة على وجهك، التي تليها على صدرك،

وبعدها نقطة رائعة ستقضي على رجولتك، سأستمتع جدًا
بُصراخك وتعذيبك أيها الحقير.

صرخ هاني من الألم، لكنه لم يتحدث، تركوه يلقي مصيره وخرجوا
جميعًا.

- أظنُّ أنه لن يصمد بعد النقطة الثانية.

- أتمنى أن يصمد لأنني أريد أن أستمتع برائحة جسده المحترق،
لقد أعددت له طريقة موت تناسب ما سببه من ألم ورعب
لأهالي الضحايا وللضحايا قبل موتهم، أنتظر فقط حتى يعترف
ونحضر الحقيرة عادة هنا وتعترف بكل التفاصيل.

خرج ناجي مع فريد إلى المزرعة الجديدة حسب اتفاق مُسبق مع
شركة تنفيذ المرحلة الأولى من الإنشاءات الجديدة، اختار ناجي منطقة
تتوسط الأحد عشر فدانًا تمامًا لإنشاء المبنى، اختار أن تحيطه مجموعة
من الأسوار المتدرجة وقناة مائية بعرض خمسة أمتار وعمق ثلاثة أمتار
تبطن بالحجر البحري البازلتي الذي يمنع تسرُّب المياه ويعيش سنوات
طويلة، يمتدُّ أسفل هذه القناة ممرٌ سريٌّ يبدأ من الدَّور السُّفلي الثالث
ويتهيء بعد الأسوار الشجرية التي سيصنعها حول جزيرته الصغيرة.

أكد ناجي للفريق الإنشائي أنها ممرات للصَّرف لا أكثر، وقد قرَّر
أن يجهزها تمامًا قبل أن يدخل فريق التجهيزات الإلكترونية في مراحل
تالية، وتنتهي العملية كلها بفريق التشطيبات النهائية، كل فريق لا
يعرف شيئًا عن عمل الفريق السابق له..

توجّه ناجي مع فريد إلى مكتب آدم، كان الطّعم جاهزًا، بمجرد أن سمع آدم الطلب اتفق معه على الحضور معه فورًا.. راقبهم ناجي من بعيد يتحركون في سيارة فريد الجديدة بينما توجّه هو إلى عيادة الدكتور غادة.. عيادة فاخرة تحتلّ طابقًا كاملاً في المبنى التجاري على نيل الزمالك.. سعد في هدوء وطلب الكشف العاجل، يعرف مُسبقًا مواعيدها، فهي تذهب إلى عيادتها ساعتين أول اليوم وساعتين آخره.. دخل عليها، سيدة أربعينية متوسطة الطول، شديدة الأناقة، حادة الملامح، طلبت منه أن يشرح حالته، تخصصها أستاذة لجراحات المخ والأعصاب يضعها في منطقة مُتميزة ومُتفردة بين أقرانها.. أخبرها أنه يعاني صداغًا مستمرًا وعجزًا عن النوم أحيانًا كثيرة، كان يحاول التركيز على جهاز الكمبيوتر الشخصي المحمول الخاص بها الذي يبدو أنه لا يفارقها رغم وجود جهاز كومبيوتر ثابت أمامها.. أدرك حينها أنه سيكون هدفه الرئيسي، بعد أن أجرت له الفحوصات اللازمة طلبت منه أن يتوجّه إلى مستشفى النجوم لعمل أشعة مقطعية على المخ وبعض التحاليل الأخرى والعودة لها في المساء.. سجّل سريعًا إحداثيات المكان، ونجح في زرع كاميرا مراقبة أسفل لوحة مُثبتة على الحائط.. نزل من عندها عائداً إلى سقارة لاستقبال آدم الذي كان على وشك الوصول في سيارة فريد الذي كان حريصًا على أن يلازمه طوال الوقت كيلا يخبر أحدًا بخطّ سيره، كما كان حريصًا في تغيير شخصيته أن يتقمص شخصية كبير السنّ بشعر أبيض كامل ولحية طويلة.. بمجرد دخول آدم إلى الفيلا عاجله ناجي بضربة عنيفة على رأسه أفقدته الوعي وقد تعمّد أن يؤذيه، أفاق بعد وقت قليل ليجد نفسه مُمددًا ومُكبّلًا، أخذ يصرخ في

غضب كالعادة، سمع ضحكات مختلفة النَّبرات وبينها بكاء مكتوم، حاول استيعاب الموقف حتى سَمِعَ صوتًا يحدثه في الظلام:

- حاسب نفسك قبل أن تُحاسب، وتذكَّر أفعالك السوداء في حياتك التي أوصلتك إلى هنا.

قال آدم:

- هل متَّ ودخلتَ القبر؟

صوت غامض ساخر:

- أنت ميت بلا شك، وستحاسب بقوة وعنف لكن على حدثٍ واحد فقط.

- ما هو؟

- ستعرف بعد قليل، وكُنْ مُستعدًّا للاعتراف دون لفٍّ ودوران.

دَوَّى بعدها صوت ضُراخ شديد وشخص يطلب الرحمة ويقول إنه سيعترف بكل شيء.. أصاب آدم الرُّعب وبدأ في البكاء والنحيب.. بعد قليل حضر لمار وفريد وناجي وأخذوا مكانهم ثم بدأ ناجي بالحديث:

- أظنُّ أن الدكتور هاني مُستعدُّ للحديث الآن.

- أرجوك ارحمني، سأعترف بكل شيء، أنا مهمتي التنسيق واختيار من سنأخذ منه العضو المطلوب، الدكتور غادة هي

من تُجري العمليات وتحصل على المال، نسبتي لا تتعدى خمسة
في المئة، جميع العمليات تُجرى في مستشفى النجوم في قاعة
خاصة لا يدخلها إلا من معه تصريح.
"ناجي":

- وأين تحتفظون ببيانات العمليات؟
- كل شيء موجود في جهاز الدكتوراة عادة، هي من يتابع نتائج
العمليات.
"فريد":

- لا تُريدُ أن تعترف بكل شيء إذن، لا يمكن أن تقنعني أنك لا
تحتفظ لنفسك بكروت حماية، يبدو أن الأسلوب الحالي لا
يكفي، سنعمد طريقة أخرى لتتحدث.
صرخ هاني:

- نعم، نعم، في شقتي أحتفظُ بتسجيلات صوت وصورة
للدكتوراة عادة وهي تتفق على إجراء العمليات، كذلك وهي
تجري بعضها.

- هل هذا كل شيء؟
- أقسم أن هذا كل شيء، أنا أعيش وحيدًا ولا أعرف أي شيء
آخر.
"فريد":

- بماذا تُدافعُ عن نفسك؟
- أنا ماديُّ حقير، استغلت الشيطانة عادة تفوّقي في الجراحة في الكلية وأغرّتني بالتعيين مُعيدًا وبالمال الوفير، كَوْنْتُ في سنوات قليلة ما لا يستطيعه غيري طوال عمره.
- كيف نصل إلى هذه المستندات؟
- هي موجودة في خزانة سرية داخل غرفة مكتبي، الخزانة مُثبتة في حائط وهمي بجوار المكتب يُكشف بجهاز تحكُّم عن بُعد صغير موجود في سلسلة مفاتيحي. أرجوكم ارحموني، لقد قلتُ كل شيء..
- أوقدت لمار ضوء زنزانة القاضي ثم قال ناجي:
- أيها القاضي، ننتظر الحكم.
- حكمت محكمة العدل الخاصة المنعقدة في ساعته وتاريخه بمصادرة جميع أملاك المدّعى عليه، ثم تركه عاريًا مدة ثلاثة أيام في غرفة باردة بدون طعام، ثم معاملته معاملة الكلاب الضالة بإعطائه قطعة عظم وشربة ماء ملوثة بدون تنقية حتى يأكله المرض حيًّا... رُفعت الجلسة.
- كان حُكمًا مُذهلاً حتى لناجي نفسه، لكنه صمّم على تنفيذه بعد أن ينتهوا من أمر عادة.. أخذ هاني في الصُّراخ والنحيب من جديد وهو يسترحمهم ويقسم أنه لن يفعل ذلك مرة أخرى.. وضع ناجي كمامة على

فم هاني كيلا يزعجهم بعد أن أوقف الحامض، ثم توجّه إلى آدم الذي كان في قِمّة الرعب، ما إن أحسّ بحركة حوله حتى بدأ في البكاء من جديد:

- أرجوكم، عندي أولاد أريد أن أربيهم، خذوا كل أموالي واتركوني.

"فريد":

- تُريد أن نسمع اعترافاتك يا سيد آدم وبعدها نُقرّر مصيرك.
آدم:

- لم أفعل شيئاً يضُرُّ أحداً طوال حياتي، أمشي في حالي بجوار الحائط..

استشاط ناجي غضباً فضربه بالسوط السوداني المغموس في زيت ساخن مما حفر خندقاً عميقاً في وجهه.. صرخ آدم من الألم، عاجله ناجي بعدة ضربات متلاحقة حتى غاب عن الوعي لحظاتٍ، عاد ناجي إلى مكانه والدموع تملأ عينيه، أفاق آدم بعد أن ألقى فريد على وجهه كوب ماء، عاد إلى البكاء والنحيب مرة أخرى والألم يعتصر جسده.. قال ناجي:

- أيها الحقير الباكي مدعي الرجولة، ألم تحاول اغتصاب أخت زوجتك من قبل؟

- كل ما يحدث لي من أجل تحرش بامرأة لا قيمة لها!
- قَبَضَ فريد على يد آدم يستبقيه بجواره بعد أن شعر بالدماء تغلي في عروقه، وربما لو قام هذه المرة سيقتله.. ثم سأله لمار:
- حدث أم لم يحدث؟
- كنتُ أريد كسر عين زوجها اللص القاتل الذي ثبتت فيه نظرتي بعد ذلك.
- وهل ساعدتك زوجتك؟
- كانت تكره شقيقتها مثلما أكره زوجها وهي التي رتبت للأمر أساسًا.
- ولماذا؟
- كان زوجها القاتل سامح يقف أمام طموحاتنا، يدّعي الشرف والأمانة وهو أبعد الناس عنها، كنتُ أريده أن يعطيني عقود مقاولات مثل غيري، لكن حقه وأنانيته دومًا كانت تمنعه.
- "ناجي":
- وماذا كان عندك أفضل منه؟
- زوجتي أجل من زوجته، عندي شركة خاصة وهو يعمل في شركة، أولادي يتعلمون في مدارس أفضل من المدارس التي يتعلم فيها أولاده، حقه وطمعه جعلاه لا يعرف الصواب.

"لمار":

- فلماذا إذن حاولت اغتصاب زوجته؟
- لأنها مثله، مثالية حقيرة.

"فريد":

- نحن نعرف أنك دبّرت لخطف ابنه، فكيف تم ذلك؟
- كان الهدف زوجته وليس ابنه، وقد اتفقت مع ضابط اسمه سليم على ذلك، وكلف أمين شرطة اسمه سيد بالتنفيذ، ولكنني لا أعرف ما الذي حدث فأخذوا الصغير بدلاً عن أمه.

"ناجي":

- سيد أمين الشرطة زميل ربيع في القسم؟
- نعم، وهو الذي سرق السيارة لأن ربيع لم يترك القسم.
- ومن الذي قتل ربيع؟
- الضابط سليم، لأن ربيع أحدث ضجة ورفض خطف الطفل، فوعده سليم بإحضاره في المكان الذي وجدت جثته فيه وطلب منه قبل ذلك أن يتصل بسامح ليلاقيه في ذلك المكان.

"ناجي":

- وبذلك تُلصق التهمة بسامح.. تخطيط شيطاني، وهل زوجتك على علمٍ بكل ذلك؟

- هي من خَطَّطت لَحَطْفِ شقيقتها، لكنها حاولت إيقاف ما حدث بعد ذلك فلم تستطع خاصة بعد أن أمرنا سليم بنسيان الأمر لأن أطرافاً كبيرة تدخّلت في الأمر.
"فريد":

- خططُمتُ لخطف زوجة سامح، الغبي سيد سَرَقَ السيارة وفيها الطفل فسَلَّمه مع السيارة لوهدان، ربيع عرف من ثورة سامح بأمر الطفل فرفض الأمر، وهدان دفعَ مبلغاً كبيراً لسليم كان كفيلاً بقتل ربيع خاصة بعدما فعله سامح في القسم.
تمتم ناجي:

- وهذا كله تفسير لآخر كلمات ربيع لسامح وهو يموت... (لقد خانوني، ابتعد عن القريب، واقترب من البعيد، وابحث حولي وحوالك).
"فريد":

- القاضي، تفضل.
- حكمت محكمة العدل بإحضار زوجة آدم لسماع أقوالها، وعلى آدم بقطع اللسان والعضو الذكري ثم علاجه وتركه يواجه مصيره.

كان حُكْمًا صادمًا آخر اختلطت بعده دهشة البعض ومنهم ناجي نفسه بإعجاب البعض الآخر ومنهم فريد الذي وقف يصفر مُحييًا الحكم، بينما أخذ آدم يصرخ بلا هوادة.

خرج الثلاثة على وعدٍ بالعودة في المساء لتنفيذ الأحكام.. توجه فريد وناجي إلى شقة هاني في عمارة فاخرة بأكتوبر، أخبرا رجل الأمن أنهما يعملان لدى الدكتور هاني الذي سافر لعمل مهمٍّ ويريد بعض الأشياء من شقته، سمح لهما، في طريق دخول العمارة تتبع ناجي كابل أحد الكاميرات حتى وجده منتهيًا عند غرفة في نهاية الرواق، تسلَّل ناجي لقطع بث الكاميرا ثم أتلَف الدائرة الكهربائية المتحكمة بالكاميرا بطريقة لا توضح أن أحدًا عبثَ به وكأنه ماس كهربائي عادي، بعدها صعدا سريعًا إلى الشقة حيث فتحتها فريد ودخلا مباشرة إلى غرفة المكتب، عمل جهاز التحكم عن بُعدٍ على إظهار الخزانة التي كانت مملئة بالأموال والمستندات، أفرغوها مما فيها ثم قلبوا الشقة بحثًا عن أي دليل آخر، وحدث ما توقعوه حين وجد فريد مجموعة من السيديات مُجَبَّاة بعناية في درج سري بدولاب المطبخ. فصلَ ناجي بعد ذلك جهاز التحكم في الكاميرات وأخذَ كل سجلاتها بعد أن وجدها مُرتبطةً بكمبيوتر المكتب، ثم دَمَرها زيادة في الاطمئنان.. اتصل فريد من هاتف آدم بزوجته، قَلَد صوت آدم طالبًا منها أن تلتقاه فورًا في أول شارع الهرم لأنه يحمل أخبارًا سارة، ابتلعت الطَّعم ووعده بالخضور الفوري بعد أن اطمأنت منه على سبب تغيُّر صَوْتِه، فأخبرها أنها ربما نزلة بردٍ..

وصل ناجي بسيارة فريد إلى حيث التقى زوجة آدم، اتصل فريد مرة أخرى بها بعد أن اطمأنَّ ناجي أنها حضرت وحدها من هاتف زوجها وطلب منها ركوب السيارة السوداء المتوقفة أمامها، ما إن دخلت حتى عاجلها ناجي بصعقة كهربية عنيفة غيبتها عن الوعي فوراً.. توجه فريد بها إلى سقارة بينما ذهب ناجي ليراقب الدكتورة عادة قُرب عيادتها حتى يعود فريد، اطمأنَّ ناجي إلى وصولها وظلَّ في الانتظار حتى حضر فريد، كانت الخطة مهاجمتها قبل استقلال السيارة في الجراج السفلي للعمارة حيث تضع سيارتها.. دخلا معاً كأنهما صاعدين للعيادة ثم تسللاً عبر السلم إلى الدور السفلي حيث الجراج، انتظرا أكثر من ساعة أخرى مختبئين خلف سيارتها الفاخرة التي لم يحاولا فتحها كيلا تعطي إنذاراً بمحاولة السرقة، نزلت أخيراً مُتعبة كعادتها تحمل حقيبتها وتتحدث في هاتفها، بمجرد أن فتحت السيارة هجما عليها وصعقها ناجي مباشرة في فمها قبل أن تصرخ فسقطت مغشياً عليها، وضعوها في المقعد الخلفي ثم قاد ناجي السيارة بهدوء حتى خرج من العمارة وأنزل فريد ليحضر سيارته، انطلقا حتى وصلا منطقة هادئة قليلاً، وضع فريد سيارته بجوار سيارة عادة تماماً ثم نقلها بسرعة إلى سيارة فريد، بعدها غمر ناجي السيارة بالبنزين من الداخل والخارج والحقيبة حتى لم يترك فيها مكاناً ثم ألقي عليها زجاجة مولوتوف مشتعلة من بعيد فتمكنت النيران من كل أجزائها في نفس الوقت.. انطلق ناجي مع فريد عائداً إلى سقارة ومعه أهم مفتاح على طريق معرفة ما حدث لابنه..

ألقيا عادة على طاولة التعذيب بجوار زوجة آدم الموضوعه على مقعد الاعتراف بعد أن أدخلها هاني وآدم كل إلى زنزانه.. تركاهما يفيقان وصعدا إلى لمار التي كانت منهمكة في متابعة البيانات الإلكترونية التي أحضرها من كل الأطراف، بعد جهد جهيد استطاعت اختراق جهاز عادة وبدأت في استعراض بياناته، وعلى جهاز آخر كانت تضع السيديات القادمة من شقة هاني التي اتضح أنها تسجيلات لعمليات نقل الأعضاء التي تجريها بها عادة، ويبدو أن هاني قد حصل على التسجيلات بطريقة ما حتى يحمي نفسه عند الضرورة، ظلت العمليات تتكرر حتى صرخ ناجي في فزع:

- رaaaaaaaaاائف.

انتبه فريد ولمار على تسجيل لطفل صغير يجري انتزاع قلبه.. انهار سامح ولم يستطع ناجي السيطرة عليه، كان المنظر بشعاً الصغير بلا عيين مفتوح البطن، القلب كان المرحلة الأخيرة من عمليات سرقة أعضاء أخرى فيما يبدو، قام ناجي بعد أن سيطر على سامح، أسرع في اتجاه الغرفة السرية وخلفه فريد ولمار، دخل بوحشية على عادة الممددة في رُعبٍ على الطاولة، بمنتهى الغضب والعنف والألم انتزعَ عينيها اليمنى من مكانها بأظفاره وهي تصرخ في رُعبٍ، بينما التصق كل سجين بزنزانه يتمنى ألا يكون التالي، أدركه فريد وأمسك به قبل أن يفتح بطنها بيديه بعد أن مزق ملابسها، نزع نفسه من فريد وأحضر السَّوط السوداني وظل يضربها به حتى كَلَّتْ يده، تمكَّن منه فريد أخيراً، انهار

سامح في بكاء مرير وهو يخرج مرة أخرى إلى غرفة التحكُّم.. أسرع خلفه فريد ولمار لتهدئته، شرب كوب ماء وتمالك نفسه أخيرًا بعد أن سيطر ناجي على الوضع.. حاول فريد مواساته واحتضانه، إلا أنه لم يُطِيق أن يلمسه أحد، خرج غاضبًا فأسرع فريد يلحق به، صمَّم على أن يركب معه كيلا يقود وهو غاضب:

- كل كلمات المواساة لن تكفي، أعلم ذلك، ولكن فكَّر قليلًا، كل ما فعلته عبر أكثر من عام، ما حدث لابنك كان سببًا في انهيار إمبراطوريات فساد تعيث في البلد فسادًا، لبيب ووهدان وسامي النوام وفهد وسليم، كل هؤلاء ومَن وراءهم، اهتزَّت عروشهم.

- لم تسقط أي إمبراطورية فعليًّا بعد.

- ولهذا يجب أن تتناسك، أنت بدأت طريقًا لا بد أن تُنتهي، جرح الوحش يزيده قوة وشراسة وبطشًا، وأنت جرحت عدة وحوش ضارية، لو لم تقضِ عليهم ونحن معك فلن يرحموا أحدًا، إمبراطوريات لبيب ووهدان وسامي وغادة ما زالت قائمة، نريد أن نضربها ضربات قاضٍ.

- عندك حق، ما زال الطريق طويلًا، نريد سيد الآن لنكمل أضلاع عملية اختطاف ابني.

- الغضب يُولِّد الأخطاء، ولا بد أن تهدأ وتُرَكِّز ولا تستسلم لعواطفك الآن، لا بد أن سيد شديد الحذر بعض فضيحة

سامي النوم وأعوانه، ونحن في حاجة إليه ليوصلنا إلى أول حلقة في اختطاف رائف، هو مَنْ سرق السيارة، لمن سلمها؟ نحن نعلم أنها انتهت عند هذان

- يجب أن نختطفه ليعترف لنا بكل ما يعرفه.
- نريد أن نركّز معه قليلاً، مثل هذا الصغير يمكن أن يجرح خلفه سلسلة كبيرة تصل إلى صيد غير مُتَوَقَّع.
- ماذا تقترح؟
- اهدأ قليلاً، سنراقب انهيار سامي النوم وفهد، وسنضغط نحن أيضاً بإعطاء ناصر عابد ما يخصُّهما من أوراق معنا، سنرمي لهم سليم أيضاً إذا لم يصلوا إليه، سيُفتح باب التحقيقات في قضيتك وقضيتي، ولا بد من حصولنا على البراءة من أول جلسة.
- ولكن ذلك قد يستغرق عدة أشهر.
- ونحن نحتاج إلى هذا الوقت لنكمل هدم إمبراطوريات الفساد.
- اشتقتُ إلى أولادي.
- وأنا أكثر اشتياقاً ولهفة، ولكننا يجب أن نبرئ ساحتنا أولاً ليظلوا طوال عمرهم مرفوعي الرأس.
- عندك حقٌ.

الفصل السابع

عاد إلى الفيلا بعد أن أقنعه فريد بأخذ قسطٍ من الراحة وعدم عمل أي شيء في اليوم التالي سوى جمع البيانات فقط وتفريغ كل الأجهزة التي حصلوا عليها..

هدؤوا جميعاً ودخل ناجي إلى غرفته والصراع يكاد يقسمه إلى نصفين، ناجي مُسيطر بقوة ومُتمكّنٌ من زمام الأمور، لكن سامح يُقاوِمُ العنف والظلم بكل قوة أيضاً، كانت صورة رائف البشعة مُسيطرةً على تفكيره وأداة ناجي لحسم الصراع.. مع أول أنوار الصباح قام ناجي إلى غرفة الألعاب الرياضية فأدّى تدريباته العنيفة الغاضبة التي تمكّن جسده من تلبية أوامر عقله بكفاءة عالية، نزل بعدها ليُلاقِي مهندس شركة المقاولات في أول أيام العمل في المزرعة الجديدة، استقبله صبري بترحاب شديد وأخبره أنه سيستقرُّ هنا ولن يعود إلى القصر مرةً أخرى، لم يوافق ناجي على ذلك وطلب منه الاستمرار أغلب الوقت في القصر حتى يتمكنوا من نقل المومياوات الأسبوع التالي بعد تجهيز مقر مناسب بجوار الفيلا الجديدة..

قضى معظم اليوم مع الشركة في تخطيط الأرض وإعداد العدة للحفر العميق الذي تستلزمه مخططات ناجي.. عاد قُرب مَغيب الشمس صافي الذَّهن قليلاً، مُسيطرًا على جزء كبير من انفعاله.. اطمأنَّ عليه فريد بينما أعدَّت لمار مشروبًا يُهدِّئ من أعصابه أكثر..

بدووا في استعراض المعلومات التي استُخلصت من الأجهزة المختلفة.. بقدر أهميتها فإنها لم تأتِ بجديد نسيبًا، كشفت أضلاع شبكة عادة والتحويلات المالية الضخمة التي حصلت عليها، بيد أن أهم ما شغل بال ناجي هو الأشخاص الذين حصلوا على أعضاء ابنه، خمسة أطفال لأسر غنية جدًّا بعضها من عائلة معروفة.. قدَّمت لمار عرضًا مُلخصًا للعائلات التي حصلت على أعضاء رائف:

- العيون حصلت عليها ابنة رجل الأعمال المعروف عادل رمز الدين أحد أباطرة الصناعة المعروفين والمرتبطة بعلاقات قوية جدًّا مع الأنظمة الحاكمة في عدة دول، وأمها الإعلامية والممثلة المعروفة ليلي عامر.. الكلى حصل عليها شقيقان لعائلة السياسي المعتزل المعروف زكريا فهمي والمعروف عنه عنفه الشديد.. الكبد حصل عليه ابن عائلة رمزي مقلد رجل صناعة الأدوية المعروف.. النخاع الشوكي حصل عليه ابن الإعلامي وصاحب صحف العدالة وقنواتها الشيخ سعد الفرجاني والمرتبطة بعلاقات مباشرة مع عدة تنظيمات سياسية داخل البلاد وخارجها.. القلب حصلت عليه ابنة أحد أخطر

الرجال وأكثرهم غموضًا رغم ارتباطه بجميع مراكز القوى في الدولة وهو رجل الأعمال علي الرمادي.. متوسط الأسعار كانت مليون فأكثر، النخاع والقلب بيعا بعشرة ملايين..
فريد:

- كم عملية مسجلة عندك؟
- تقترب من الألف عملية خلال السنوات العشر الأخيرة منذ بدؤوا نشاطهم، الغريب أن ثلثي هذا العدد تقريبًا جرى خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

"ناجي":

- بالتأكيد زيادة حالات الخطف لها دور كبير في ازدهار تجارتها الحقيرة، هل عادت عائلتها من الخارج؟

"لمار":

- ما زال ابنها وابنتها يدرسان الطبَّ في لندن، أمَّا زوجها أستاذ القلب المعروف فجدوله مشحون مدة عام مُقدِّمًا، ولا توجد أي أدلة على أنه يعلم أي شيء عن نشاطها.

"فريد":

- عجيبٌ جدًّا أمر هذه الحقيرة، حياتها مستقرة ماديًا واجتماعيًا وتمتلك أحد أكبر المستشفيات في الشرق الأوسط وأهمها، ثم تلجأ إلى هذه الأساليب البشعة لزيادة دخلها.

- أنت تتحدّث عن مليارات يا صديقي، بالإضافة إلى نفوذ قوي جداً في كل مكان لدرجة تجعل منصب الوزير موضوعاً على مكتبها في كل تغيير وزاري وهي ترفضه.

- المجاملات هي التي تحكم الحياة السياسية في مجتمعاتنا، يكلف الحاكم رجلاً من أهل الثقة بتولي رئاسة الوزراء، تشترط الأجهزة الأمنية عليه أن تكون الاختيارات تتسم بالولاء المطلق.. يبحث في دوائره ومعارفه وعلاقاته السابقة عن أهل الثقة، بالتأكيد شخصية مثل عادة خرفوش دخل الجميع تقريباً مستشفاهما وتربطهم بها علاقات مباشرة ستكون الاختيار الأول للمجاملات، بل ستكون الأكثر جدارة لأنها أستاذة جامعية.

"لمار":

- ما خطوتنا القادمة؟

"فريد":

- أمامنا جبهات مفتوحة لم تغلق بعد، ما رأيك يا ناجي؟

"ناجي":

- عندك حقّ، سنغلق ما في أيدينا أولاً، نستكمل اليوم محاكمات عادة وهند زوجة آدم، ثم نبدأ هجوماً شاملاً لإغلاق القضايا الحالية جميعها، في الوقت نفسه لمار تجمع لنا كل ما هو متاح من

معلومات حول كل هؤلاء لنحدد النقاط التي سندخل منها عليهم، بالمناسبة، هل تمكّنت من الوصول إلى حسابات آدم وغادة؟

- آدم لا يمتلك الكثير، سيارة وشقتين ومكتب المقاولات وحسابًا بأقل من نصف مليون في البنوك، أما غادة فحوت عملاق، تمتلك نصف شركة الأدوية الخاصة بمقلد وشريكة في معظم شركات الأدوية المحلية ولها أسهم في شركات عالمية إضافة إلى امتلاكها لمستشفى النجوم وتُنشئُ فرعين آخرين واحدًا في المغرب والثاني في البحرين لا تقل ميزانية المستشفى الواحد عن مئة مليون دولار.

"فريد":

- تفتح أفرعًا لتجارها القذرة في دول أخرى.

"ناجي":

- نريد أن نسيطر على كل هذه الاستثمارات بصورة هادئة، من السهل أن نحصل على توقيعها بالبيع والشراء، لكن كيف ستخلص من شكّ كل الحيتان الكبار، لا يمكن أن ننزل من السماء عليهم.

- نحتاج إلى واجهة.

- نحتاج إلى دخول هادئ ومتوازن عبر شخصيات قائمة بالفعل في السوق ولها اسمها وسمعتها.

"لمار":

- الوقت مهمٌ جدًا.

"ناجي":

- اسمعي يا لمار، البورصة منهاره هذه الأيام، راقبي لنا المجموعات التي تعمل في عدة أنشطة يكون منها الأدوية ومعروضة للبيع، سنجعل هذه الحقيرة نُحوّل كل أموالها إلى حساباتنا التي أنشأناها في دبي ولندن وجنيف.. ثم نشترى عن طريق إنشاء شركة وهمية في إحدى الدول التي تُقدّم تسهيلات كبرى مثل قبرص أو اليونان أو حتى بنما أو البرازيل هذه المجموعة بأموال هذه الحقيرة، ونستحوذ على كل ممتلكاتها العينية، ولتَمَرَّ الخطة بسلام لا بد من التخلص من كل من له صلة بها.

"فريد":

- تقصد زوجها وأولادها.

- ومحاميها والمقربين لها، كل من يعرف طبيعة عملياتها أو له صلة بها.

"لما ر":

- ستمسحها مَنْ فوق وجه الأرض؟

"ناجي":

- كأن لم تكن، أرجوك يا فريد خُذْ عادة واجعل الحفير هاني يعالجها، ثم اجعلها تُقدِّم حصراً بكل ممتلكاتها وحساباتها ونُحوها كما اتفقنا، لو نزلت معكم فسأقتلها بلا رحمة.

- ألن تحضر محاكمتها؟

- لن نحاكمها الآن، انتهوا منها وألقوها في أبعد زنزانة ثم جهزوا هند للاستجواب واستدعوني لأنني يجب أن أسألها بنفسني.

كانت عادة في حالة انهيار نفسي وصحي والرُّعب يسيطر عليها تماماً، أحضر فريد هاني مُقيّداً، وما إن شاهد عادة حتى ضحك في جنون ثم حدّثها شامتاً:

- أيتها الساحرة العاهرة، أيتها الأفعى السامة، جاءك مَنْ هو أقوى منك ليسيّط عليك، دمرتنا وضيّعت براءتنا، حولتنا إلى وحوش تعيش على جُثث الآخرين، غرتك قوتك واتصالاتك واعتقدت أنك فوق البشر كلهم.

طلب منه فريد أن يصمت ويعالجها، فعل ذلك مضطراً وهو يلقي عليها كلماته الحزينة الشامتة، بعد أن وضع الضمادات على عينها

المنزوعة أعاده فريد إلى زنزانته، بينما ساعدتها لمار في ارتداء الزّي الموحد
للسجن ونقلتها مُكبلةً إلى زنزانتها.

بعد تجهيز هند خرج فريد لاستدعاء ناجي الذي كان مُنهمكًا على
الكمبيوتر في عملية جمع أخبار كل ما يتعلق بالموجودين عنده في الغرفة
السرية.. ناجي:

- الدنيا مقلوبة على عادة، الباقون تقريبًا لا أحد يهتم بهم
"فريد":

- كلما كبر الصيدُ زاد الطَّمعُ فيه، لا بد أن نتحرَّك فورًا لنقلب
الحقائق عليها ونبينها كأنها هربت من الملاحظات.

- يجب أن نفضحها، أظنُّ أن لمار قد أنهت إعداد الملف الخاص
بها لتسلمه إلى ناصر عابد، يجب أن يبدأ التحقيق بـ: لماذا هربت
عادة خرفوش وزوجها؟

- زوجها؟

- نعم، يجب أن يختفي اليوم بعد أن نقوم بجميع عمليات
التحويل المالي.

- جيد، نُنهي الآن تحقيقنا مع هند، ثم نتفرغ لزوج عادة.

نزل ناجي مع فريد إلى الغرفة السُّفلية، كانت لمار قد انتهت من
تسجيل جميع حسابات عادة بعد أن أخذت منها التعريف الهاتفي

لحساباتها وكلمة السر لكل حساب ثم تركت ناجي وفريد وصعدت لإجراء عمليات التحويل عبر الخط المؤمن الذي جهّزه بمجموعة من الجدران النارية المعقدة لتجعل من المستحيل تتبعه.. سلط ناجي الضوء على هند العارية تمامًا من ملابسها مكبلّة وممددة على طاولة التعذيب النفسي.. ناجي:

- هل تعرفين الشيطان يا هند؟
- هند وقد تمكّن منها الرعب حتى بالت على الطاولة:
- أرجوك ارحمني، لا تغتصبني، حرام عليكم، عندي أولاد، أرجوك.
- هل تعرفين لوسيفير يا هند؟
- ليست لي علاقة به، ولو أخبركم شيئًا عني فهو كاذب فأنا لا أعرفه.
- على العكس، علاقتك به ممتازة، لقد تأكدنا أنك تخونين زوجك معه.
- صارخة:
- حرام عليكم، أنا لم أخن زوجي قط.
- ولكن لوسيفير أكّد لنا علاقتك به، والدليل أنك طلبت من زوجك أن يغتصب شقيقتك لتكسري عيناها.

بعد لحظات تردّد:

- هذه المعلومة لا يعرفها سوى آدم، ثم إني طلبتُ منه أن يخطفها ويصورها عاريةً لتهديدها هي وزوجها، لا يمكن أبدًا أن أطلب من زوجي اغتصاب شقيقتي، حتى حرام!
- "فريد":

- حرام! وماذا حدث بعد ذلك؟ لماذا اختطفتِ ابن شقيقتك إذن؟ وماذا فعلتُم به؟
 - أنا لا أعرف شيئًا، كل شيء اختلف منذ اختطاف رائف واختفاء والده بعد قتله شخصًا ما في الشرطة، انقطعت علاقتي بشقيقتي وانتهى الأمر.
- "ناجي":

- انتهى الأمر؟ دمّرت حياة شقيقتك وأضعتِ ابنها وزوجها وتقولين انتهى الأمر؟
 - لم أكن أقصد كل ذلك، ولم أفعل لها شيئًا، أرجوكم، ارحموني.
- سلّط فريد الضوء على زنزانة القاضي طالبًا منه أن يصدر حكمه عليها.
- حكمت المحكمة حُضورًا على المتهمّة أن يغتصبها كلب مُدَرَّب وتُصوّر وتُذاع التسجيلات في منطقتها، ثم تُصوّر

عارية وتلقى صورها في كل مكان يعرفها فيه أحد، وتقل عارية في أقرب صندوق قمامة لمنزلها مقطوعة الأنف والأذنين. رُفعت الجلسة.

صرخت هند في رُعبٍ، بينما نظر فريد لناجي ضاحكًا قائلاً:

- منحرف هذا القاضي، له عقلية إجرامية متميزة، بالمناسبة، مَنْ لوسيفير هذا؟

ناجي بعد أن خرجا من الغرفة:

- هل تعرف ما الذي حدث على الأرض قبل خلق البشر؟
- لم ندرسها في كلية الشرطة.

ضاحكًا:

- ولن تقرأها في أي مُقرّر دراسي في العالم، يُقال إن الجن كانوا يحكمون الأرض وعلاقتهم جيدة بالسماء حتى ظهر جيل فاسد أكثروا القتل والإفساد فحاربتهم ملائكة السماء وانضمّ لهم في الحرب المقدسة عزازيل أو لوسيفير فقرّبه الله عز وجل وجعله كبير الملائكة وصارت الأمور طبيعية حتى خُلِق آدم ورفضه السجود له تكبرًا فطرده الله من رحمته.

- آه، أنت تقصد الشيطان؟

- إبليس أو الشيطان وقف بالمرصاد للبشر حَقْدًا وحسَدًا وغِلًا ليلقيهم في التَّهْلُكَة، وبالفعل نجح مع أبينا آدم وأُمَّنا حواء وتسبَّب في طردهما من الجنة.
- لَعَنَهُ اللهُ، تسبَّب في كل هذا العذاب الذي نعيشه.
- الإنسان مخلوق من طينة الأرض ولذلك منها الخبيث ومنها الطيب، مزيج غريب عجيب لا يمكن التنبؤ به، ماذا سيطغى داخلنا؟ ما الذي سيتصر ومَن؟ الخير أم الشر؟ نحن في صراع لا ينتهي.
- أنتَ فيلسوف أيضًا.
- أنا إنسان عادي يعيش خارج مداره الطبيعي، الطفرات التي تحدث في كل شيء دائمًا تكتمل في الظروف غير الطبيعية، طرزان مثلاً قصة أسطورية عن طفل ربَّته القردة، هل كنا سنسمع عنه لو عاش حياة طبيعية؟ هناك رجل ما يزال حيًّا وقد تعدى الثمانين من عمره يعيش في مزرع بألمانيا يطلقون عليه الرجل الذئب؛ لأنه يعيش وسط الذئاب ويقاسمهم طعامهم، الذئاب التي لا تقبل أي دخيل وتتعامل بعنف شديد مع من يحاول اختراق مجتمعاتها، قسْ على ذلك كل شيء يا صديقي، إذا اضطرتك الظروف القهرية للخروج من مدارك ستموت في الغالب، أو ستتحول إلى كيان جديد لا تعرفه وتصبح أعجوبة زمانك، وغالبًا هذا الكيان سيأخذ أسوأ ما في

طينتكَ البشرية، الغضب، عدم الرحمة، العنف، الذكاء الخارق،
التخطيط الهادئ، اللامبالاة، ستكون ميتًا من الداخل لذلك
لن يُؤثّر فيك شيء.

- وكأنك تصفني الآن.

- لقد دخلنا اللعبة الخفية، سحبنا الأرض إلى العوالم السفلية،
نعيش الآن العالم الموازي بين الشياطين والهوام والوحوش، لا
أعرف إن كنا سنخرج من ظلال الشوارع الخلفية مرة أخرى أم
لا، لكنني أؤكد لك، أن الزمن لن يعود أبدًا إلى الوراء، لقد
أصبحنا كالذئب بعد أن تتذوق لحم الإنسان، لن ترضى
بغيره، أو كأسطورة مصاصي الدماء، لكي نعيش، لا بد أن
نجد ضحايا جددًا.

- أفهم من كلامك أنك لن تعود إلى أسرتك بعد انتهاء ما تسعى
خلفه؟

- حقيقة لا أعرف، ولا يمكنني أن أجيبك غدًا أو بعد غد،
مسنّي الشيطان بنار الغضب، واحترقت أطراف عقلي، إني
أسبح في الجحيم يا صديقي.

- أنت مُحيف جدًا، كنتُ أرجو أن أراك قبل أن تصبح ما أنتَ
عليه الآن.

أكملًا سيرهما إلى لمار التي بشرتهما بنجاح عمليات تحويل أموال
غادة جميعها، وستظهر العملية في اليوم التالي في جميع البنوك.

"لمار":

- ومن المتوقع أن يحدث اتصال من البنك للتيقن من عملية التحويل والاستفسار الروتيني عن سببها، لذلك فقد حولت الخط مؤمنًا على رقم إجابة على الحاسب أتحكم فيه وقد سجلت عليه صوت غادة، بالمناسبة، أشكرك يا سيد ناجي على الكمبيوتر الجديد، إمكاناته خارقة، لقد يسر علي كثيرًا من الأمور.

- هذا الجهاز قليل جدًا في البلد نظرًا لارتفاع ثمنه الذي تعدى الخمسين ألف جنيه، وكما تعلمين استغرق أكثر من شهر حتى تم توفيره بالمواصفات التي طلبتها.

"فريد":

- هل من أخبار جديدة حول الأشخاص الذين معنا.

"لمار":

- كما قال السيد ناجي لم يسأل أحد عن آدم وزوجته بعد الاتصال الذي قمت به من على هاتف هند لابتتها أخبرها أنها سيغيبان في رحلة عمل مدة أسبوع، لم يفتقد أحد هاني، غادة رغم الرسالة التي أرسلناها بأنها في رحلة عمل من هاتفها فإن زوجها يسأل في كل مكان عنها، وهدان أعتقد أن الجميع قد تأكد لهم موته بعد أن ترك السيد فريد ملابسه الملوثة بدمه

ومعها رسالة بأنه ذهب فداءً لابنه، جبهة فهد وسامي النوام
مشتعلة تمامًا، والتحقيقات السرية كلها تدينهما وعملياً انتهت
حياتهما.

"ناجي":

- نحتاج لإخلاء المكان المزدحم.

"لمار":

- هل سننفذ أحكام القاضي؟

"فريد":

- من الصعب جدًا تنفيذ هذه الأحكام المتطرفة.

"ناجي":

- سنوخذُ الأحكام عليهم جميعًا ونتركهم لمصيرهم، سنأخذ
عيونهم وسمعهم وأنوفهم وأذانهم وقدمًا ويدًا ثم نلقيهم بعد
علاج سريع أمام منازلهم، لن نقتل أحدًا فليس لنا الحق في أخذ
روح أي إنسان إلا دفاعًا عن النفس.

"لمار":

- أعتقد أن هذا العقاب أشد من الموت.

"ناجي":

- آخر عضو يتم نزعهُ هو عيونهم، بعد أن نستولي على جميع ممتلكاتهم العينية والمالية.

فريد:

- ولكن أليس من الخطر تركهم خاصة لو بعنا مثلاً ممتلكاتهم لنا؟

- نحن لا وجود لنا في الواقع، يبيعون للشركات الوهمية التي أنشأها لمار، وتستمرّ عمليات البيع لمرات لا نهائية حتى تستقر في شركة من شركاتنا الرئيسية في إحدى الدول البعيدة.. وعموماً لإبعاد الشُّبهات عنا سنمثل على أجسادهم علامات السحرة مثل النجمة السُّداسية أو نطبع بطابعة نارية شعار الماسونية العالمية وذلك ليفهم الجميع أن ما حدث لهم مجرد طقس سحري لجماعة متطرفة.

- لقد أجريتُ تحقيقاتٍ سرية كثيرة جداً حول الماسونية في السنوات الأخيرة قبل ما حدث لي بتكليف من أجهزة الدولة نظراً لظهورها في مجتمعاتنا بين الشباب بكثرة، فهي تعني هندسة باللغة الإنجليزية ويعتقد البعض أن في هذا رمزاً إلى مهندس الكون الأعظم. ومنهم من ينسبهم إلى حيرام أبي المعماري الذي أشرف على بناء هيكل سليمان، ومنهم من ينسبهم إلى فرسان الهيكل الذين شاركوا الحروب الصليبية، كما يرى بعضهم إنه إحياء للديانة الفرعونية المصرية القديمة،

وهناك العديد من المنظرين العرب الذين يُرجعون الماسونية إلى الملك هيروودس أكريبا عام ٤٣ م، الماسونية لها العديد من الرموز. أشهرها هي تعامد مسطرة المعمارى مع فرجار هندسي.. ولهذا الرمز معنيان: معنى بسيط يدل على حرفة البناء، معنى باطني يدل على علاقة الخالق بالمخلوق، إذ يرمز إلى زاويتين متقابلتين: الأولى تدل على اتجاه من أسفل إلى أعلى ويرمز إلى علاقة الأرض بالسماء، والأخرى من أعلى إلى أسفل ليدل على علاقة السماء بالأرض.. ونجمة داوود لها نفس المعنى الذي يرمز إلى اتحاد الكهنوت (السماء) مع رجال الدولة (الأرض)، كما يذكر البعض أن الحرف G يمثل كوكب الزهرة (كوكب الصباح)، وكوكب الزهرة عندهم يمثل العضو الذكري عند الرجل، وهو أيضا أحد أسماء الشيطان، وهو يمثل عند الماسونيين الإله "بافوميت" وهو الإله الذي اتهم فرسان الهيكل بعبادته في السر من قبل فيليب الرابع ملك فرنسا وهو يُجسّد الشيطان "لوسيفر" ملاك النور المطرود من الجنة.

- إذن تعرف لوسيفر يا صديقي؟
- حقيقةً كنت قد نسيْتُ هذا التحقيق ولم أذكره سوى الآن ونحن نتحدّث عن هذا الأمر.. وهناك عادة حرف G بين زاوية القائمة والفرجار، ويختلف الماسونيون في تفسيرها، فالبعض

يفسرها بأنها الحرف الأول لكلمة الخالق الأعظم "God" أو "الإله"، ويعتقد البعض الآخر أنها أول حرف من كلمة هندسة Geometry، ويذهب البعض الآخر إلى تحليلات أعمق ويرى أن حرف ͡ مصدرها كلمة "gematria"، والتي هي ٣٢ قانونًا وضعه أحبار اليهود لتفسير الكتاب المقدس في سنة ٢٠٠ قبل الميلاد.

- إذن نستخدم هذا التنظيم الدولي السري القديم جدًا الذي يحاول التحكم في العالم وسيلة غطاء لتحركاتنا.
- ذكي جدًا هذا التوجّه لأن لدى الحكومات في العالم كله تقريبًا فكرة عن أن الماسونية من أقوى التنظيمات السرية وتشارك فيها عائلات وتخدمها دول وتمولها بانتظام اشتراكات من أعضائها، ومن ثم لن يبحث أحد عن شبح أقوى من الشيطان نفسه. توجد مقرات عظمية ومحافل منتشرة في عدد من دول العالم، ومن أهم المحافل الماسونية المتخفية في شكل نواذ اجتماعية مثل نادي (the lions) أو الليونز الذي اتخذ من الأسد شعارًا له، والمركز الرئيس ولاية الينوي الأمريكية وكلمة الليونز تعني (حراس الهيكل)، وقد أسسه جونز عام ١٩١٥ م، وظهرت أندية الليونز لأول مرة عام ١٩١٧ في شيكاغو. والاسم مشتق من الأحرف الأولى للكلمة الإنجليزية:

(Liberty intelligence our nations safety).

ولا يستطيع أي شخص تقديم طلب انتساب إلى الليونز وإنما هم الذين يرشحونه ويعرضون عليه ذلك.. النادي الآخر هو نادي الروتاري وله فروع في معظم الدول العربية.. والروتاري كلمة إنجليزية تعني الدوران أو المناوبة، لأن الاجتماعات تُعقد في بيوت الأعضاء أو مكاتبهم بالتناوب.

- نحن نعيش في عالم له وجهان، لا نعرف حقيقة أيهما الصحيح وأيهما الخاطئ، كل شيء له لون رمادي وظل خيالي، يجب أن نغير طريقة رؤيتنا وتعاملنا مع هذا العالم.

"لمار":

- أحبُّ هذه الأشياء، ما رأيك أن نطبع كلمات ما أيضًا وسط الشعار.

"ناجي":

- اسمعي يا لمار، لقد شاهدتُ في داخل إحدى الموميאות الفرعونية شعارًا غاضبًا جدًّا لشخص اسمه سوميا على ما أظنُّ حسب الترجمة الإنجليزية للأحرف الهيروغليفية.

- أعطني صورة الشعار والاسم وسوف أُجري بحثًا شاملًا عنهما.

"فريد":

- الشعارات تُضعِفُ أصحابها وتجعلهم أكثر عُرضَةً للوصول إليهم .

- الشعار من وجهة نظري قوة مضاعفة لو أحسنا استخدامه، عندما تطبع على جسد الظَّلْمة شعارات الخطيئة الكبرى سيعلم من يبحث خلفهم أنهم ارتكبوا شيئاً ما، وحتى يتمكنوا من تحديد هوياتهم سيكون كل شيء في حياتهم قد انتهى .

- عندي اقتراح آخر .

"فريد":

- أخبرينا يا عبقرية؟

- لقد قرأتُ مرَّةً عن جهاز طبي يُسبَّبُ فقداناً للذاكرة، لماذا لا نستخدمه ونمسح تاريخ من معنا مع طبع الشعار على أجسادهم .

"فريد":

- الآن نتحول إلى السيد ويل سميث في فيلم رجال البدلة السوداء:

ناجي ضاحكاً:

- نستمع إلى الفتاة يا فريد، لماذا تسخر منها؟

- كما تحبُّ، لكن هناك مركبات موجودة فعلاً تساعد على النسيان، وربما كان هذا الجهاز موجوداً بطريقة أو بأخرى، وأنا

أعرف باحثاً عراقياً يدرس في لبنان قَدَمَ بحثاً حول موضوع
مشابه لنيل الماجستير في العلوم الطبية.

"ناجي":

- ليس عندنا وقت أو إمكانيات في الوقت الحالي، لكن هذا الأمر
ينهننا إلى ضرورة تبني مثل هذه الأبحاث في المنظومة الجديدة
التي سننشئها، أخبريني يا لمار، هل تتبعِ خطَّ سير الدكتور
رامي زوج غادة؟

- نعم، خط سير ثابت ومنتظم، في الصباح يذهب إلى المستشفى
حتى الثالثة عصرًا، يعود إلى منزله ثم ينزل في السادسة ليتوجّه
إلى عيادته في وسط البلد التي تعمل بين السابعة والعاشرة
يوميًا.

- إذن سنختتم به ليلتنا، هيا بنا يا فريد، لم يعد هناك وقت.
- فعلاً، لقد ضاع اليوم تمامًا، أكمل عملك يا لمار على طريقة
للتخلّص من ضيوفنا وإلا سنضطر إلى استخدام ما طرحه
ناجي.

- كل شيء سيكون جاهزاً حين تعودون.
خرج ناجي في سيارة فريد متوجهين إلى منطقة وسط البلد قرب
ميدان طلعت حرب حيث عيادة الدكتور رامي، ترقبوا نزوله كالعادة،
ولكن هذه المرة على مقهى قريب حيث إن المبنى قديم ولا يوجد به

جراج داخلي، نزل أخيرًا رامي ليركب سيارته، أسرع خلفه على مسافة قريبة بالسيارة، سار إلى شارع النيل الهادئ بالزمالك وركن سيارته، قبل أن ينزل من السيارة كان ناجي فوق رأسه بالصاعق الكهربائي الذي غيَّبه عن الوعي فورًا، بينما كان فريد إلى جواره بالسيارة فنقلوه سريعًا ثم أغلق ناجي سيارة رامي جيدًا وعاد مع فريد إلى سقارة.

اكتملت الزنازين وازدهرت بعمَّارها، سأل فريد لما إن كان هناك جديد.

- بحثتُ في الرمز الذي تركه لي السيد ناجي، حقيقة دار عقلي من كثرة المتناقضات التي قرأتها وشاهدتها، الحضارات والصراعات والعوالم العلوية والسفلية، ولا أنكر قد أصابني الرعبُ أيضًا.

- لقد قرأتُ وبحثتُ كثيرًا جدًا في هذه الأمور وكنتُ هاويا لها، العالم سرٌّ كبير لا يعرفه إلا القليلون، والتغوُّل في الغيب خطير جدًا، لقد قرأتُ بعض كتب التسخير وكسر النواميس واختراق الجدر الحاجبة والحواجز الوهمية.

"فريد":

- هل كنتَ تفكر في العمل كساحر لزيادة دخلك؟

- الأمر أكبر وأعمق من هذا بكثير، إن التعامل مع الحياة بصورة نمطية تقليدية يجعلك بالضرورة شخصًا بلا تأثير، لن أقول بلا

قيمة، ولكن تأثيرك يكون محدودًا جدًا لا يتعدى نطاق المربع الذي تعيش فيه.

- ولكنك كنت شخصًا عاديًا بلا تأثير!
- كنتُ أحاول أن أحدث موجة في المحيط الذي أعيش فيه،
أؤثر ولو على نطاق منطقة صغيرة ربما تتسع رُقعتها مع
الموجات الارتدادية الصادرة عنها.

"لمار":

- لا أفهم شيئًا.
- ربما كان داخلي كيان ينتظر الفرصة المناسبة ليصبح شخصًا
مختلفًا أكثر قوة وتأثيرًا، ولهذا كنتُ أستعدُّ.
- هل كنتَ تكره شخصية سامح؟
- وهل هناك مَنْ يكره نفسه يا فريد؟ على العكس، كنتُ
مُتعايشًا بأمان وسلام مع نفسي وجغرافيتي.

"لمار":

- ولكنك كنت تستعدُّ رغم ذلك.
- كان لديَّ إحساس دائم بالخطر، هاجس يشبه الوسواس لا
يفارقني. دائمًا يطلب مني أن أكون مستعدًا.

"فريد":

- لوسيفر أرسل لك أحد رجاله ليشكل عندك حالة من التردد والخوف وعدم اليقين.

"لمار":

- ولماذا لا تقول إنه كان يخشاه ولهذا حاول القضاء عليه؟

- جميل جدًا، أصبحت من مُريديه الآن؟

- ما قرأته اليوم جعل شعر رأسي يقف في مكانه، هل تعلم أن الجنَّ عدة أنواع؟

- نعم، تقريبًا، وهم شعوب وأمم مثلنا، وقد كانوا يحكمون الأرض آلاف السنوات قبل الإنسان لكنهم فسدوا فقامت حرب كبرى بينهم وبين الملائكة أسفرت عن هزيمتهم هزيمة ساحقة، ثم كان نزول البشر إلى الأرض وتحرشهم بهم حتى قامت حرب كبرى أخرى بين الملك مهلائيل الحفيد السابع لآدم وبين الجنِّ الأرضي أو التراي ويقال بقيادة الشيطان وأتباعه من الغيلان والمردة أسفرت عن هزيمتهم مرة أخرى وطردهم إلى الجبال والأودية والأماكن البعيدة عن سكن الإنسان.

- يقولون إن مهلائيل هو ملك الممالك السبع الذي حكم الجن والإنس وربما أماكن خارج الأرض.

"فريد":

- لا أحد يعلم شيئاً على سبيل اليقين، كلها اجتهادات وتفسيرات.
 - ما يهمني في كل هذا أن نصل إلى المنطقة الرمادية التي تفصل بين العوالم.
 - تقصد المنطقة التي نُوجَدُ فيها حالياً.
 - نعم، أريد أن نكون جزءاً من شيء أكبر وأكثر خلوداً.
- "لمار":

- الماسونية والجن والشيطان والملائكة والعوالم الخفية كلها حلقات في منظومة كونية متفاعلة ومتراصة.
- لا نفعل أشياء كثيرة في هذه الحياة بإرادتنا، هل الأفضل أن نكون بلا قيمة ونترك الآخرين يعيشون بنا؟ أم نفعل شيئاً يُغيّر الواقع، نحن بحاجة إلى الراحة من أجل التخطيط للمرحلة القادمة، أشعر أننا مدفوعون دفعاً نحو شيء أكبر بكثير مما نقوم به الآن، نكمل حديثنا غداً يا لمار.

دَخَلَ كُلُّ مَنْهُمْ إلى غرفته وقد أعياه الإرهاق البدني والعقلي للدرجة التي جعلتهم يذهبون في نوم عميق بمجرد وضع رؤوسهم على الفراش.. بدؤوا جميعاً يومهم كالعادة بالتدريبات الرياضية، نزل بعدها ناجي وفريد إلى المقر الجديد لمتابعة الإنشاءات واستلام المبنى الذي صمّمه ناجي ليكون مقراً للمومياوات.. اطمأنَّ ناجي مع فريد على

صلاحية المكان الجديد المكون من مستويين أحدهما واضح للجميع والآخر له باب سري خلف جدار وهمي ضخّم في أوسطه باب متحرك بينهما غرفة مكتب وسيطة وكأنه مخزن أو جراج للسيارات، استخدم ناجي سيارة الدفع الرباعي الجديدة التي اشتراها بعد سيارة فريد واستغنى تمامًا عن السيارات المؤجّرة، اتفق مع صبري على أن يقوموا بنقل المومياوات بعد إخراجها من المخبأ السري في القصر ليلاً بهدوء وحرص شديدين بعد التأكد من أن المكان مُؤمّن تمامًا ولا توجد أية شبهة لوجود مراقبة من أي نوع، وزيادة في الحرص اتفقوا على إطفاء الأنوار تمامًا والتحرّك بهدوء تامّ.. خرج ناجي للقاء سيد لنقل التعليقات الجديدة إليه التي اتفقوا عليها في جلسة الجيم.. وصل إلى شارع عماد الدين المزدهم أخيرًا، وركنَ سيارته حيث تعود في جراج قريب.. رحّب به سيد بشدة لاعتنا الظروف التي أبعدته عنهم.. ناجي ضاحكًا:

- يبدو أنك مفلس يا سيد.
- العملية أصبحت ضيقة جدًّا، لقد أُلقي القبض على فهد وفُتح تحقيق سري في جميع القضايا التي عمل عليها، وجرى إيقاف سليم والكثيرين عن العمل.
- أراك في صحة جيدة وتحمل سلاحك، ألم يجدوا شيئًا يدينك؟
- ليس من مصلحة أحد منهم أن يقول عني شيئًا، فأنا رجلهم وأعرف كل شيء عنهم وسيحتاجونني وهم في الداخل.

- واثق بنفسك جدًّا يا سيد، على العموم انتبه لنفسك واعلم أن طعنة الغدر لا تأتي إلا من الظَّهر.
- لا تخشَ عليّ، أنا أوّمن نفسي جيدًّا، أرجو أن يكون هناك عمل جديد لأنني في حاجة ماسة إلى المال، العملية أصبحت جافة جدًّا.
- هل تعرف رمزي مقلد.
- طبعًا، ومن لا يعرفه؟ السبب الرئيسي في ارتفاع أسعار الدواء.
- أريد كل شيء عنه.
- متى؟
- في الأمس، استعِنَ بأيمن وشبكة علاقاته في السجل المدني وكل مَنْ تريد أن تستعين به، جندُ نفسك لهذا الأمر، أريد المعلومات غداً، وخاصة - طبعًا - كل ما تعرفونه عن علاقاته المشبوهة وعملياته القذرة.
- ولماذا رمزي هذا؟
- منذ متى تسأل؟
- منذ أصبحت قريبًا جدًّا من جبل المشنقة.
- هذه عشرون ألف جنيه تخفف عليك آثار جبل المشنقة.

مبتسماً:

- اعتبر الموضوع قد انتهى.
- لو أعجبتني المعلومات سأكمل لك المبلغ إلى خمسين ألف جنيه.
- أنت رائع يا سيد ناجي، أحبك جداً.
- هناك شيء آخر أريده اليوم.
- أوامرك.
- محامياً يفهم في القانون.

سيد صاحكاً:

- وهل هناك محامٍ خريج كلية الطب؟
- افهم يا ذكي، أريد محامياً متمكناً وقوياً وفي الوقت نفسه يستخدم أساليبك غير القانونية.
- هناك المحامي الشهير سليط اللسان مهتدي بعروور.
- هذا شخص صدامي عنيف لا أحد يحبّه، ثم إنني لا أريد أحداً مشهوراً أو كبير السن.
- طلبك عندي، نجيب شاكر، محامي شعبي ذكي جداً ويخشاه الضباط ووكلاء النيابة، كما أنه كان يعمل لحساب وهدان.

- رائع جدًا، هل يفهم في إجراءات التسجيل والبيع والشراء وغيرها؟
 - ومن الذي كان يحلُّ لوهذان مشكلاته القانونية؟
 - أريد لقاءه اليوم، لا تخبره شيئاً عني، أريد أن أختبره أولاً.
 - سيطير من الفرع، منذ اختفاء وهذان والعملية شديدة الشح معه، سأتصل بك نهاية اليوم.
 - أكد على اللقاء في فندق النيل.
- فرحاً:

- رائع جدًا، نريد أن ننظف معدتنا من الطعام الفاسد.
- عاد بعدها ناجي إلى الأرض الجديدة في سقارة فتابع عملية إنشاء المرحلة الأولى من المقر الجديدة القائمة على قدمٍ وساقٍ.
- فاجأه سؤال من المهندس المسؤول عن طبيعة هذا المبنى الغريب في تصميمه الذي لم يشاهد مثله من قبل.
- نحن نؤسس لشركة تصدير وهذا التصميم هو الأحدث حول العالم في عمليات التعبئة والتغليف وما إلى ذلك.
- "المهندس":

- غريب جدًا فعلاً أستاذ ناجي، مجموعة الغرف الداخلية على بعد ثلاثة أدوار داخل الأرض مع تأسيس ثلاثة عملاقة

ووضع مولد كهربى ضخيم وغرف تحكُّم متعددة، كأننا ننشئ مبنى مخبرات.

- وهل أنشأت مبنى مخبرات من قبل؟
- لا، ولكن أجد التحصينات هنا من سُمْكِ الجُدران الخرسانية وعمقها غريبة جداً.
- أنت تعلم أن الآلات المستخدمة في عمليات التصنيع ثقيلة وتحتاج إلى جدران وأسقف وحوائط حاملة قوية جداً، سيكون المصنع تحت الأرض وفي الأعلى الأدوار الإدارية.
- تصميم عبقرى حقيقة.
- أنتم مسؤولون عن مرحلة واحدة فقط وهي تأسيس الخرسانات وصبها في المنطقة تحت الأرضية، لا تستطيع تكوين فكرة عن بقية المبنى، ورغم ذلك أعجبتني ملاحظتك وقدرتك على التوقع، قل لي: منذ متى تعمل في هذا المكتب؟ وما اسمك؟
- اسمي وليد عوني، متخرج منذ عامين ومتخصص في الإنشاءات، أعشق التصميمات المختلفة، مشروع تخرجي حصل على المركز الأول كابتكار، أعمل في هذا المكتب منذ عام تقريباً.
- جميل جداً يا وليد، نحن بصدد إنشاء شركة كبرى للمقاولات في المرحلة القادمة، وسنحتاجك معنا.

- رهن إشارتك يا سيدي، ولكن، مَنْ أنتم؟
- شركة عالمية متعددة الجنسيات تُحطّط لدخول السوق العربي كلها، سيكون لنا أعمال في كل مكان.
- سعيد جداً بالتعرف إلى حضرتك، وسأنتظر بشوق اتصالك بي.
- أنّه عملك هنا أولاً كما نحب، وقبل انتهاء العام سنبدأ العمل، فقط ننتهي من إجراءات الإنشاء.

عاد ناجي إلى الفيلا، وجد لمار في انتظاره مع فريد لتعرّف آخر ما توصلت إليه في بحثها عن أهدافهم في المرحلة التالية، وكذلك طُرق التخلص من المساجين..

لمار:

- أبشرك أولاً بإتمام عملية نقل جميع وأموال غادة خرفوش ووهدان وهاني أصولهم وكل من معنا هنا إلى حساباتنا والشركة الكبرى التي تم أنشئت عبر الإنترنت في اليونان، وقد رددت على استفسارات البنوك والشركات عبر الهاتف والإنترنت، الأمور تسير طبيعية حتى الآن.. هناك حل آخر للزبائن الموجودين عندنا في الزنازين، يمكن تركيب شرائح تتبع لهم لها خاصية التفجير الذاتي عن بُعد.

"فريد":

- لقد استخدمنا هذا الأسلوب كثيرًا في الشرطة لتتبع المجرمين أو العناصر السرية التي يجري زراعتها وسط العصابات، ولكن دون عملية التفجير هذه.

- هي شرائح صغيرة جدًا تشبه شرائح الهواتف المحمولة تُزرع في مؤخرة الرأس في منطقة محددة مزودة بدائرة كهربية تحتوي ذرة من مادة سي ٤ شديدة الانفجار، إذا احتجنا لتصفية العنصر المستهدف يجري توجيه إشارة معينة تعمل كمفجر عن بُعد، على الأقل يمكننا تسخير ٢٧ قمرًا صناعيًا للتحكم عن بُعد بأحد الأنظمة المعتمدة على Global Positioning

GPSSystem

"ناجي":

- رائع جدًا، ولكن كيف ستركب هذه الشرائح؟
- دعوا هذا الأمر لي، هناك طبيب عبقري يعمل في الطب الشرعي مُتخصص في هذه العمليات.
- ولكنه يعمل مع الشرطة، فكيف سنستفيد منه؟
- يا صديقي في هذه البلاد لا مكان للمبدعين، لقد أُلقي في مستشفى حكومي صغير بعد أن غضب عليه أحد الأطباء الكبار الأغبياء، ورغم توصياتنا فقد ضاع تحت وطأة غضب الكبار.

- هذا من حُسن حظنا يا صديقي، يجب أن نتصل به فوراً.
- سأعطيك عنوانه في إحدى الوحدات الصحيّة في الفيوم، وأيضاً علامات خاصة بيننا ليأمن جانبك ويحضر معك.
- سألتقي محاميّ اليوم ليجهز لنا عملية الاستيلاء على كل مؤسسات وممتلكات وهدان وغادة.

"لمار":

- بالمناسبة، لقد وصلت عملية البيع التي تمت إلى العاملين في مستشفى النجوم، وكذلك إلى رمزي مقلد وشركة الأدوية، ردود الأفعال مُتَعْجِبة وحذرة، وقد نقلت لهم عبر ميل رسمي من الشركة التي قامت بالشراء أن الدكتورة غادة موجودة في إحدى الدول الأوروبية، لكن رمزي في حالة ثورة وأرسل ميلات كثيرة يستفسر عن كل شيء.
- هل سنختطف رمزي يا ناجي؟
- ليس الآن، هو في حالة رعب بسبب أعماله المشبوهة، ولهذا نحن في حاجة إلى طمأنته، اسمعي يا لمار، أرسل لي ميل شخصياً تخبريه أن ممثلي الشركة التي استحوذت على أعمال غادة سيجرون لقاءً معه بداية الأسبوع القادم، نهدئه قليلاً ونأخذ فرصة لجمع المعلومات عنه، الآن علينا أن ننقل المومياوات، سأذهب للقاء سيد والمحامي، وعندما أعود سيكون صبري في انتظارنا، يجب ألا تستغرق العملية وقتاً.

الفصل الثامن

التقى سيد ومن معه في مطعم الفندق كعادة سيد الذي كان قد طلب الطعام فعلاً، الضيف متوسط العمر يبدو في الأربعينيات، يرتدي بدلة رخيصة الثمن، ملامحه شاردة إلى حدٍّ ما.. سيد:

- نجيب شاكر، محامي عبكري، جار عليه الزمن.
- تشرفت بمعرفتك أستاذ نجيب، سيُعيد الزمن لك قيمتك الحقيقية، قل لي: هل لك خبرةٌ بأمر تسجيل الشركات وقضايا المنازعات الاقتصادية؟
- يا باشا لقد أسستُ أكبر الشركات في البلد، لكن ماذا تقول للحظ، لم يأتِ بعدُ!
- هل عملت في قضايا دولية مع مجموعات عمل مختلفة؟
- انظر يا سيدي، القانون لُعبتي، أستطيع التعامل مع أي مشكلة في أي مكان، فقط أعطني الوقت اللازم لدراسة القضية وقانون تلك الدولة، أما عن القانون الدولي فأنا أعرفه جيداً.

- نحن مجموعة دولية، بصدد عمل مشاريع في جميع الدول العربية، وسنبداً من هنا من مصر، نريد محامياً يتولى عملياتنا القانونية.
- ولماذا لم تذهبوا إلى مكاتب الكبار؟
- لأننا نريد من يكبر معنا، كما أننا عرفنا أنك على دراية بدهاليز القانون والطرق غير المباشرة لاستغلال الثغرات فيه.
- أنا علاقتي جيدة بالشیطان، أحياناً أدعوه عندي في المنزل وتبادل أطراف الحديث، ثق بقُدراقي وسألبي لكم كل طلباتكم، لو أردتم حل مشكلة مع خوفو نفسه فلا مشكلة، ولو أردتم تسجيل الهرم باسمكم فأنا مستعدٌ لذلك.
- لا أحبُّ المبالغات، يجب أن نكون منطقيين، أماننا عمل بالغ الأهمية والخطورة والدقة، ليس لدينا وقت نضيعه في مهارات الموافقات الحكومية على أنشطتنا.
- يا سيدي لن تقف أمامكم أي معوقات، ما لا تنجزه الأوراق ستمرُّه النقود، والذي يركب رأسه نحطمه له.
- ثقتك بنفسك لا توضح حقيقة وضعك الحالي، هل أتجاوز لو سألتك عن سبب عدم وصولك إلى القمة في وظيفتك.
- لقد كنتُ دائماً أقفُ عند فوهة الزجاجة، في هذا البلد هناك خط وهمي قوي جداً تحرسه أحدث الأسلحة وأكثرها فتكاً

يفصل بين الطبقة العليا وبقية الشعب، هناك مقاييس صارمة لا تسمح لأحد باجتياز هذا الحاجز إلا من ترضى عنه الطبقة العليا. لقد حاولت، كما حاول غيري، ودُهِسْتُ بالأحذية كما فُرمَ غيري، سرْتُ بجانب الحائط كيلا يطحنوني، عندما يحتاجون إلى خدماتي يرسلون لي عظمة مع كلبٍ وسيط.

- أنت الآن معنا، سنساعدك على اجتياز هذا الحاجز.
- وأنا يا باشا، ألن يكون لي دور معكم؟
- أنت بالذات يا سيد لك مَعَزَّة خاصة جدًا في قلبي، اصبر على رزقك.
- أعلم أنك لم تنسني، أنا أحبُّك يا كبير.

وصل عندها طعام العشاء فانقض عليه نجيب وسيد، بعد انتهاء الطعام طلب ناجي لقاء نجيب في اليوم التالي في مكتبه، اتفقوا على اللقاء في وسط النهار ثم خرج ناجي ليكمل ليلته في عملية نقل المومياوات..

وصل إلى سقارة فوجد فريد وصبري في انتظاره وكانا قد بدأ في إخراج المومياوات من مخبئها إلى قرب الباب، قضوا أكثر من نصف الليل في نقل المومياوات بحرصٍ شديد وهدوء حتى أُديت المهمة بنجاح أخيرًا.. بدأ فريد مع ناجي في فحص كل تابوت على حدة.. قال فريد:

- الآثار تتعرض لعملية نهب منتظمة خلال السنوات الماضية، قبضنا على عدة عصابات ومعهم قطع شديدة الندرة والأهمية، لكننا نعرف أن هناك الكثير الذي لم نتمكن من الوصول إليه، وهذه المومياوات أكبر دليل على ذلك يا ناجي.
- كيف تجري عملية تهريب الآثار؟
- عملية معقدة لها جوانب متعددة، ولكنها يجب أن تجري من خلال مسئول كبير، ولعلمك، معظم عمليات التهريب الكبرى تجري من خلال المطار.
- غير معقول! كيف ذلك؟
- من خلال الطرود الدبلوماسية والشركات العالمية الناقلة للطرود، ولكن أيضًا يجب أن يجري ذلك بتنسيق من جهات ومسؤولين في مراكز قيادية.
- المنظومة قوية جدًا ومتغلغلة في كل مكان في العالم، الذي يشغلني في هذا الموضوع أن هذه العمليات تُدمر التاريخ، عمليات سرقة منظمة تتسبب في إخفاء حلقات بالغة الأهمية في التاريخ القديم، انظر ما حدث في العراق وسوريا واليمن، وعمليات السرقة والنهب المنتظمة التي تحدث في مصر.
- حققتُ في قضايا كثيرة دائمًا كانت تنتهي عند جدار كبير لا يمكن اختراقه، وإذا أحطنا بهم وضيّقنا عليهم يتركون لنا

بعض التماثيل الحجرية الثقيلة أو المكررة التي لا قيمة جديدة لها، بالمناسبة، أنا لم أفهم تصميمك للمبنى الجديد الذي تنشئه هنا حتى الآن، ملامحه غير واضحة لي.

- هل تعرف هرم سقارة؟
- طبعاً، ومن لا يعرف أول هرم في التاريخ!
- لقد كنتُ معجباً جداً بعقريّة تصميمه من خلال المهندس المتفرد بمحتب، التكوين الداخلي والبناء السداسي والمعابد التي تخدم الهيكل الرئيسي، مَنْ يصدق أن هذا المبنى العظيم بُني منذ حوالي خمسة آلاف عام وظلّ صامداً طوال هذه المدة!
- لكن ألم تُسرق محتوياته في عصر محمد علي؟
- ليست سرقة بالمعنى المفهوم، اكتشفَ مجمع هرم سقارة لأول مرة في بداية القرن التاسع عشر حيث قام القنصل العام الألماني مينوتولي بالتزامن مع المهندس الإيطالي سيجاتو بفحصه، واكتشفا مدخله.. وعثرا في ممراته الداخلية على بقايا مومياء عبارة عن جمجمة مغطاة بالذهب وكعبي قدمين مغطاة أيضاً بالذهب، وظنَّ مينوتولي "أنها تنتمي إلى مومياء زوسر، مينوتولي حصل بتفويض من القيصر الألماني وموافقة من محمد علي باشا حاكم مصر في ذلك الوقت على تصريح بأخذ تلك الآثار مع مجموعة آثار أخرى إلى ألمانيا.. ولكن السفينة وتسمى سفينة جوتفريد غرقت بسبب إعصار شديد بالقرب

من ميناء هامبورغ في ألمانيا، وضاع تقريباً كل ما كان عليها من آثار، وتبيّن فيما بعد أن ما وجدته مينوتولي في ممرات الهرم المدرج لم تكن إلا لمومياء أخرى وُضعت في المقبرة في وقت لاحق في العهد القديم.

- لقد درست تاريخ الهرم جيداً.
- أنا مُنبهر بهذا التصميم منذ دراستي في كلية الهندسة، وقد كان أحد مشاريعي المتخصصة، ولذلك عرفت الكثير عنه.
- تريد أن تقول إنك تستخدم تصميم إحتب الذي يبلغ عمره خمسة آلاف عام اليوم؟ غريب جداً!
- نعم، وهناك سبب آخر لهذا الأمر.
- ما هو؟
- أنت تعلم أن من أهم رموز الماسونية المتطرفة هرم في قمته عين.
- نعم، ويقال إنها عين المسيح الدجال.
- سأجعل رمز منظمتنا الجديدة هرم زوسر وفي قِمَّتِهِ عين حورس، وأسميها سقارة.
- ولكن هذا تشبُّه بالماسونية.
- على العكس، هرم زوسر مدرج، ورغم قَدَمِهِ فإن مقصورته ما زالت موجودة، كما أنه أول ما اكتشف فيه متون الأهرام.

- قررت إذن إنشاء منظمة كونية توازي الماسونية؟
- انظر حولك، العالم يموج بصراعات عصية على السيطرة، يموت كل يوم المئات بسبب حروب لا منطق فيها في الظاهر ولكن في الحقيقة هي حروب الشوارع الخلفية للعالم لمنظمات كونية تسعى للسيطرة على العالم.
- لا أفهمك؟ كيف تتحوّل من مجرد مهندسٍ عادي يعيش حياة طبيعية بلا أية علامات ظاهرة على الاختلاف، إلى محاولة تأسيس منظمة عالمية تعيش في الظل وتوازي وتنافس أخطر المنظمات العالمية على الإطلاق.
- وماذا كان نابليون قبل الثورة الفرنسية؟ وهتلر قبل الحرب العالمية الأولى؟ وديجول قبل الحرب العالمية الثانية؟ ماذا كانت إسرائيل قبل وعد بلفور؟ وأمريكا قبل اكتشاف كولومبوس؟ والعالم كله قبل طوفان نوح وبعده؟ يا صديقي، الأحداث العظيمة في هذه الدنيا تُشكّل وقائع عظيمة ومستقبلاً مختلفاً.
- أحاول فهمك حقاً، ولكن ما تفكر فيه مختلف جداً وشديد الخطورة أيضاً.
- ساعدني يا صديقي في محاولة تغيير مستقبل هذا العالم سنعتمد على العباقرة المهمّشين من أمثال وليد عوني وطبيب الوحدة الصحية ولمار، سنبنّي كيئناً صلباً يصمد كما صمد هرم زوسر في مواجهة الزمن.

- أنا معك بالتأكيد، كأن مسًا شيطانياً قد أصابك، لا يمكن أن تتغير شخصية سامح التي حكيت عنها كثيرًا، لتصبح على نقيضها تمامًا بشخصية ناجي التي لا أعرف غيرها، لقد انتهى زمن الأنبياء.

- الدلالات الكبرى في حياتنا موجودة طوال الوقت، المهم أن تجد مَنْ يكتشفها.

كانت نسائم الفجر قد بدأت في الهلّ وهما مندمجان في حوارهما الذي استمرَّ بين أشجار المزرعة في المسافة بين مخزن المومياوات والمبنى الهرمي الذي يؤسسه ناجي، عادا أدراجهما بعد أن اتصلت بهما لمار تريدتهما في أمر مهمٍّ.. عادا إلى الفيلا فوجدا لمار متلهفة عليهما ساهرة غير قادرة على النوم.. قالت:

- أحداث متلاحقة منذ أذاع ناصر عابد ما يحدث في مستشفى النجوم، قامت الدنيا ولم تقعد، هرب رمزي مقلد في طائرته الخاصة إلى لندن، حالة من الثورة الهائلة في الرأي العام، والمهم في هذا الأمر أن قيادات مهمة في الدولة متهمة بمساعدة عادة وزوجها على الهروب يا ناجي

- رائعة جدًّا هذه التطورات، كل مَنْ له صلة بهم سيختبئ داخل صومعته وقد تنهار إمبراطوريتهم.

- ألح ناصر إلى قيام عادة ببيع ممتلكاتها مما يؤكِّد نيتها في الهرب، وهذا ما يعطينا شرعية الإدارة، أرسلتُ ميلات جديدة إلى

مديري المستشفيات والمتعاملين مع مجموعة عادة أطلب منهم
تسيير الأعمال حتى صدور تعليمات جديدة، متوسط إيراد
المجموعة الشرعي والمُعلن إجمالاً أكثر من مئة مليون دولار
شهرياً، أرباحها تزيد على الأربعين في المئة.

- عملاق حقيقي.
- فعلاً يا فريد مكاسب شركات الأدوية الكبرى هائلة، بالطبع
إضافة إلى المستشفيات وبعض التدفُّقات النَّقدية غير الواضحة
لي.
- ما زالت هناك عمليات مشبوهة إذن، من المهم أن نُنهى
القضايا المعلقة قبل أن نظهر للعلن، سنستعين ببعض
الواجهات من أمثال نجيب شكري ووليد عوني في هذه
المرحلة، نحتاج إلى التحكم المطلق فيمن سيقع عليه الاختيار،
قلت لي يا فريد: ما اسم الطبيب؟
- حسن فهمي يا ناجي.
- نحتاج إلى وجود حسن فوراً، سأُنهي اجتماعي مع نجيب غداً
ثم أذهب إليه لإحضاره.
- تقصد اليوم، الشمس قد أشرقت يا صديقي.
- نحن في حاجة إلى التخلص من ثقل الجسد وضعفه.

فريد ضاحكًا:

- نحضر مُنومًا مغناطيسيًا، أو نحضر أرواحًا تساعدنا.
- أو نُسخرُ الجن في خدمتنا.
- رائع جدًّا، أتمنى رؤية الجن.

ناجي ضاحكًا:

- أعدك يا لمار، بمجرد انتهاء المبنى الجديد سوف أحضر لك مُحضَّرًا للجن وتختارين ما تشائين.
- لقد قرأتُ أن منطقة سقارة مشهورة جدًّا بالمقابر الفرعونية المرصودة.
- منطقة سقارة كان اسمها منف أو ممفيس، أسسها نارمر أو مينا وهي من أقدم المناطق في التاريخ، ظلَّت عاصمة لمصر طوال الدولة القديمة وحتى الأسرة الفرعونية السادسة، فترة طويلة جدًّا، ومن ثمَّ دُفِنَ هنا ملوك وأمراء ونبلاء وحكام والطبقة العليا، بالطبع تعرفون أن كل من يموت كانت تدفن معه كنوزه كلها.

"فريد":

- أكثر من ثلاثين كيلومترًا مربعًا كانت عاصمة الحضارة مئات السنين.

- أَتَحَيَّلُ الآنَ كميةَ الكنوز التي من الممكن أن توجد في هذه المناطق.

- من المعروف يا لمار أيضًا أن الدولة القديمة كانت متقدمة جدًا في السحر واستطاعوا تسخير الجن ورصدوهم على مقابرهم لحمايتهم، وكان الرِّصد يتراوح حسب أهمية المقبرة وقوة الساحر.
"فريد":

- تريد إحياء منف وتجعلها عاصمة إمبراطوريتك الجديدة؟

- أنا لا أريد عمل إمبراطورية، الفكرة أكبر من ذلك بكثير.

- هل حدَّثته عمَّا تريد أن تفعله في المرحلة القادمة يا فريد؟

- هل كنتَ تعرفين؟

- لقد وهبتُ حياتي لخدمة هذه الفكرة، نريد تكوين منظمة قوية متماسكة تحمل مبادئ الإنسانية كما جاءت في جميع الرسائل السماوية.

- يوتوبيا أفلاطون؟

- بل مجتمع متوازن يا فريد لا يطغى فيه الظُّلم وتنهار القيم.

- هل سننام قليلًا في يومنا هذا؟ أماننا يوم حافل.

لم تستمر راحتهم لأكثر من ساعتين، قامت بعدها لمار بإعطاء ناجي الملفات التي أعدتها للقضايا التي لفق لها فهد تُهمًا، إضافة إلى

ملف متكامل يحتوي على جميع بيانات المجموعة الجديدة التي استحوذت على شركات غادة وبقية الاستحواذات باسم مجموعة (سقارة) كما اتفقوا جميعاً.. وصل إلى مكتب نجيب في شقة متواضعة بمنطقة بين السرايات بالجيزة، رَحَّب به كثيراً وقَدَّم له ما هو مُتاح.

- الوقت مُهمٌ جدًّا لنا، أنت تعرف فهد رئيس قسم التحقيقات الفاسد الذي أُلقي القبض عليه.

- كان حبيبي.

- كان حقيراً فاسداً.

- وأي فساد! لقد كان يتهم الطهارة نفسها بالعُهر.

ناجي مبتسماً:

- أول تعاون بيننا سيكون في عشر قضايا تسبَّب هذا الفاسد في تدمير مستقبلها، أريد البراءة لها جميعاً من أول جلسة.

- لن تكون مشكلة، كل مَنْ قُبض عليهم من حقهم رفع قضايا وطلب البراءة.

- وهذا ملفُّ مجموعة سقارة التي استحوذت على بعض الشركات في البورصة، جَهَّز الشكل القانوني وأعد اجتماعاً لمجلس الإدارة الجديدة بعد ثلاثة أشهر، وهذا ظرف أخير به مُقدَّم الأتعاب.

تناوله نجيب بلهفة فإذا به مئة ألف جنيه، حدث له ذهول مُؤقَّت كسره ناجي بتسليمه ملفاً به توكيلات منه ومن لمار وفريد بأسمائهم المختلفة.

- سأقلب الأرض تحت أقدام الجميع، هذه القضايا براءة من أول جلسة.

كان يُقلب في الملفات فلاحظ اسم فريد فابتسم:

- غريب جداً أمر القدر، هذا الرجل كان شريفاً ويعمل بجِدٍّ ونشاط وأمانة، له أفضال كثيرة عليّ، ظلّمه فهد ودمّره، يبدو أنكم مجموعة شريفة فعلاً.

- متى تظنُّ أنه يُمكن عَقْدُ أول جلسة للمحكمة؟

- بعد المستجدات الجديدة يمكن طلب فتح التحقيق في القضايا مع تعيين قاضي تحقيقات لتسريع الإجراءات، أظنُّ خلال شهر يمكن بدء التحقيق.

- في أسرع وقت ممكن، استخدم كل الوسائل الشرعية وغير الشرعية، لا وقت لدينا.

خرج بعدها متوجّهاً ناحية الفيوم التي وصلها بعد أقل من ساعة ونصف، بعد ساعة أخرى وصل إلى الوحدة الصحية الفقيرة التي يعمل بها الدكتور حسن.. اقتحم عليه مكتبه وسأله مباشرة عن اسمه، ارتعد قلب الفتى، فقد ظنَّ أنه فعل شيئاً ما أغضب قياداته.. ناجي:

- اهدأ يا دكتور حسن، أنا قادم لك من طرف صديق.
- وهل طلب منك ذلك الصديق أن تُفزعني هكذا؟
- نعم، طلب مني ذلك، ويقول لك: هل تذكر يوم قال لك لا تلعب مع الحيتان؟
- فريد باشا، الرجل الشريف العظيم الذي دمَّره الفاسدون.
- ألم تسمع بما حدث مع فهد؟
- سمعتُ، وأيقنتُ أنه ما زال يوجد أمل في هذا العالم.
- السماء لا تُمطر ذهبًا ولا فضة، ولا عدلًا أيضًا، والخير يحتاج إلى نفس قوة الظلم لكي يقف أمامه ويهزمه.
- لا أفهم شيئًا.
- نحن نساعد فريد وغيره على الحصول على حقه، ونريدك معنا.
- مَنْ أنتم؟
- جمعية افعَل الخير وارمِه في البحر.
- لم أسمع بها من قبل!
- ولن تسمع بها من بعد.
- وما المطلوب مني؟

- كثير جداً، لقد اشترينا مستشفى كبيراً، ونريد أن نستفيد من خبراتك في الإدارة، ألم تحصل على الماجستير وتحضر حالياً للدكتوراه في الطب الشرعي.
- أنتم تعلمون عني كل شيء! وما ذلك المستشفى؟
- منذ مولدك وحتى اليوم، ونُقدّم لك فرصة عمرك بترشيح من السيد فريد، وهو مستشفى النجوم.
- هل اشتريتم أكبر مستشفى في البلد! متى أبدأ العمل؟
- اليوم لو أردت.
- سأقدّم طلبَ إجازة من العمل هنا ولو رفضوها سأقدّم استقالتني، أعطني يومين وأحضر إليكم.
- لا تتأخر علينا، نحن نعيد ترتيب المستشفى إدارياً، لا وقت لدينا.
- غداً أكون عندكم.

أعطاه ناجي عنوان المقر المؤقت الذي استأجروه في مبنى إداري فاخر بمنطقة الحصري بمدينة ستة أكتوبر لعمل اللقاءات المختلفة.. عاد سريعاً إلى القاهرة فأحضر لمار ثم توجه مباشرة إلى المقر الإداري الجديد حيث بدأ في استقبال المرشحين للوظائف التي يحتاجونها في المرحلة الأولى لإدارة المكتب، كانت لمار في حاجة إلى شباب متخصص

في الكمبيوتر بمواصفات خاصة جدًا حددتها بوضوح في الإعلان، تسعى لتكوين نواة لمنطقة التحكم الإلكتروني التي سيجري إنشاؤها في المقر الرئيسي للمنظمة بسقارة، بينما حدّد فريد احتياجاته في أصحاب الخبرات الأمنية من مختلف الأعمار، ناجي أراد أن يبدأ باختيار متخصصين في الهندسة والحسابات.

بعد يوم مرهق من اللقاءات عادوا إلى الفيلا بسقارة لتحديد مَنْ سيُختار بعد تتبّع سيرته الذاتية، كان فريد في انتظارهم بعد أن رسم خطة مُحكمة بناءً على المعلومات التي وفّرتها له لمار من مراقبة زكريا فهمي.

خرج مع فريد إلى لقاء أعدته لمار عبر الهاتف مع زكريا بعد ابتزازه بمعلومات عن صلته بالوزير سامي النوام، كان الاتفاق على اللقاء في مول العرب بعد التاسعة مساءً في أكتوبر، زكريا لا يتحرك بدون حارس شخصي يقود سيارته و ينتظر فيها عادة حتى ينهي لقاءاته.. كان فريد مع ناجي في الانتظار بجراج المول، وصل زكريا كعادته مُتخفياً في زي رياضي وقبعة ضخمة مع نظارة نظر سوداء تُخفي معالم الوجه.

دخلا على الحارس الشخصي في السيارة فصعقه ناجي بقوة بعد أن تصنّع فريد سؤاله عن نوع سيارته، وضعوه في حقيبة السيارة ثم جلس فريد مكانه في انتظار حضور زكريا الذي حضر بعد أكثر من ساعة وركب مباشرة في الجزء الخلفي من السيارة، انطلق فريد وهو يسمع المتعالي المتكبر يتحدث في الهاتف مع شخصٍ ما ويطلب منه تتبّع الاتصال وقتل صاحبه فوراً.

توقّف فريد بالسيارة قبل الطريق الصحراوي بقليل حيث كان ناجي في الانتظار، صعقه بعنف في رقبتة فور أن فتح الباب ثم وضعه مع سائقه في حقيبة سيارة ناجي، أكمل فريد السير في قلب المنطقة الجبلية وخلفه ناجي، ثم كالعادة وضع البنزين في كل أرجاء السيارة وحرّقها وهو يتعدّ بحيث لا يمكن معرفة أية بيانات عنها بعد اكتمال حرقها.. عادوا إلى مقر الفيلا وأنزلوا زكريا وحارسه إلى الغرفة السرية، قيّدوا الحارس في المقعد جيداً بينما وضعوا زكريا على طاولة التعذيب النفسي وبدؤوا التحقيق الفوري معه.. اتخذ الثلاثة وضعيتهم المعتادة وسلطوا الضوء على الحارس أولاً، أمره ناجي بالتحدّث عن علاقاته وتحركات رئيسة والعمليات التي قاموا بها معاً، ولإثبات جدية الأمر نزلت نقطة من الحامض المركّز على وجه الحارس الشخصي فصرخ من الألم، وبدأ بالاعتراف على زكريا ببعض عمليات القتل التي قام بها لحسابه أثناء وجوده بالسلطة لبعض خصومه ومنافسيه، كما اعترف بمسؤوليته المباشرة عن عمليات تهريب الآثار مقابل عمولات ضخمة للغير.. كان زكريا يصرخ في حارسه يطلب منه التوقّف وإلا سيقنتله، قام فريد فكّمه بإحكام حتى انتهى الحارس وهو يبكي من ألم النقطة الثانية من حديثه، ناجي:

- الآن قد حصلنا على اعترافات كاملة من مساعدك عن عملياتك القذرة، ونحن نعلم أن هناك الكثير غيرها، كما نعلم بصلاتك بشخصيات مهمة داخل الدولة سواء كانوا في الحكم

أو خارجه، ستخبرنا بكل شيء عن ممتلكاتك العلنية والسرية وعلاقاتك وجميع عملياتك التي يجب أن نعرفها.

- اذهب إلى الجحيم أيها الحقير، ستقلب البلد عليكم وسيخرجونكم من أي جحر تعيشون فيه، وسأكون حريصاً على تعذيبكم بنفسك قبل دفنكم أحياء.

"فريد":

- لا فائدة في أمثالك، مُقيّد من رأسك حتى قدميك واستمعت إلى اعترافات حارسك عليك بخلاف ما نعرفه عنك ورغم ذلك تُهدّد وتتوعّد، غرور لا نهاية له، سينال منك القانون أخيراً.

- القانون يطبق عليك وعلى أمثالك من الضعفاء والحقراء، نحن نصنع القانون ونسير فوقه ولا يمكن أن يطالنا أبداً.

"ناجي":

- مرحباً بك فوق القانون يا سيد زكريا، من محاسن المصادفات أننا فوق القانون أيضاً، ولكنك بين يدينا، ممدد على طاولة التعذيب لدينا، ستري ما لم يره أي شخص عذبتّه من قبل، سنقطع جسدك قطعة قطعة، ستأكلك الديدان حياً، لكن قبل ذلك، سنزرع الكليتين اللتين حصل عليهما أبناؤك.

ثم عرضت لمار على شاشة عرض مثبتة في سقف الغرفة عملية نقل الكليتين إلى أبنائه من تسجيلات هاني.. لأول مرة يصمت زكريا قليلاً ثم يصرخ بصوتٍ مرتعد:

- أيها الجبناء، لا دخل لكم بأولادي، مَنْ يقترب منهم سأحرقه حياً.

"فريد":

- نريد كل شيء عن ممتلكاتك العينية والمادية العلنية والسرية، اعترافات كاملة بجميع جرائمك أثناء خدمتك للأنظمة الحاكمة التي عملت معها، كل ما تعرفه عن الفاسدين الكبار في الوقت الحالي.

- نحن نعرف كل شيء عنك، نريدك أن تقول كل شيء بنفسك، أي لف أو دوران سنحضر عائلتك كلها ونحرقها فرداً فرداً أمام عينيك.

صرخ زكريا:

- سأقول كل شيء، أبعادوا عائلتي عن هذا الأمر.

قام فريد وناجي بوضعه مُكبَّلاً على مقعد أعدوه أمام الطاولة ليكتب وهو يتحدث للكاميرا كل شيء، ومعها نماذج بيع لجميع ممتلكاته وأرقام حساباته البنكية في الداخل والخارج، ناجي:

- احذري هذا الحقير يا لمار وأنت تتبعين حساباته وممتلكاته، مثله يمتلك أساليب شيطانية للحماية وحسه الأمني متفوق جدًا.
- لقد راعيتُ ذلك منذ اللحظة الأولى، أنا أراقبُ تحركاته واتصالاته هو والأربعة الآخرين منذ اتفقنا على ذلك، له اختفاءات مُريبة تستمرُّ عدة أيام، في الأرجح تكون في كشف أثري جديد، لهذا استغللتُ هذه النقطة وأرسلتُ رسالة على هاتف زوجته أنها عملية كبرى جديدة وقد تستغرق عدة أسابيع.
- جيد، ولكن أكرّر تحذيري، أنا لا أثق بما سيكتبه لنا، حاولي أن تتوصلي إلى وسائل آمنة لتحويل أمواله، هو مُهدّد طوال الوقت، وربما كان يتوقَّع خلافًا مع أحد عملائه يؤدي إلى اختطافه.
- أنا أرى أن يقوم بعمليات التحويل بنفسه أضمن يا ناجي.
- وكيف يحدث ذلك يا لمار؟
- سأخذ البيانات التي سيكتبها وأتبعُها دون إجراء عمليات التحويل، سأحاول ملاحظة أي خُدعٍ وضعها لنا.
- جيد، غدًا من المفترض أن يحضر الدكتور حسن كما سألتقي بمجموعة جديدة للتعينيات في إدارة المجموعة، المقرُّ الجديد

في أكتوبر أجّرناه مدة ستة أشهر حتى انتهاء مقر سقارة الذي سننقل إليه الصفوة فقط، خلال هذه الستة أشهر سنبلور عملنا ونتخلص من كل العوالق في المرحلة الانتقالية.

- لقد أعددتُ قائمة مختصرة مبنية على مجموعة من الدراسات العقلية العالمية للتحكُّم العقلي، سنستخدم أساليب مختلفة للسيطرة مُجَرَّبَة من قبل وأثبتت نجاحها حتى نبدأ نحن في تطوير أساليب السيطرة العقلية على الموظفين من أجل تجنيدهم لخدمة أهداف المنظمة.

- نعم، سوف نختار في النهاية مَنْ يمكن السيطرة عليه، شباب مغرب ليكون تحت أعيننا طوال الوقت، العمر أقل من ثلاثين، طموح، مادي، يتيم، ذكي، يفضل من ليس له عائلة، يجتاز اختبارات المرحلة الثانية للشخصية بحيث تكون شخصية منقادة سهل السيطرة عليها، حاقد على شيء ما، حانق، غاضب، صامت، سيكونون تحت سيطرتنا طوال الوقت.

- هل حددتَ نوعية أساليب السيطرة التي ستطبق عليهم يا لمار؟

- سنضطر إلى استخدام الأساليب المُسَرَّبة من المخابرات الأمريكية والألمانية والروسية وغيرها للسيطرة العقلية في المرحلة الأولى، مثل استخدام أسلوب التحكم الماركوني يا فريد.

- نسبة إلى العالم ماركوني مخترع تردد الراديو؟
- نعم يا ناجي، ماركوني مبتكر إرسال الراديو في العام ١٩٣٦ من خلال أبحاث تتناول ترددات تتميز بشدة الانخفاض ELF وبعد اختبارها أثبتت هذه الموجات الإشعاعية قدرتها على اختراق الحواجز المعدنية وتعطيل المحركات والتجهيزات الكهربائية المختلفة بمجرد التعرض لها، وقد طور هذه الأبحاث الدكتور "أندريجا بوهاريتش" بين الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، لكنه كان يدرس مدى تأثيرها على الدماغ والجسم الإنساني.. وقد توصل هذا الرجل إلى اكتشاف أن مزاج الإنسان يتغير عند تعرّضه لموجات ELF، فعندما يتعرض مثلاً إلى تردد ٧.٨٣ Hz يشعر بالسعادة والانسجام مع الطبيعة المحيطة.. أما إذا تعرّض إلى تردد ١٠.٨ Hz يؤدي ذلك إلى مزاج عدواني وسلوك تخريبي، وعندما يتعرض إلى تردد ٦.٦ Hz يشعر بالاكتئاب والاحباط، واستطاع بوهاريتش أيضًا أن يحدث تغييرات في تركيبة الـ DNA في الجسم الذي تعرّض لهذه الترددات وكذلك التأثير في الجراثيم والخلايا السرطانية والفيروسات، أي إنه يستطيع التحكم بصحة الإنسان إما سلباً أو إيجاباً.
- رائع جدًّا، هذه وسيلة تضاف إلى الرُّقاقات الإلكترونية.
- وهناك وسائل أخرى يا فريد للتحكم سنستخدمها ونطورها بخلاف ما سنبتكره في المرحلة القادمة.

- سوف أحصل الآن على ما كتبه زكريا وأتبعه.
 - كوني على حذر كما اتفقنا، بالمناسبة، هل تقوم عادة بعمليات النظافة بانتظام؟
 - لقد أثبتت مهارةً فائقةً في هذا السياق، هل تُصدِّق أنها تلقي بدلو كل سجين مُحَمَّلًا بنفاياته البشرية دون أن تعترض؟ بل تَمْسُح الأرض وتعمل حمامات لكل السجناء وتُغيِّر ملابسهم وتغسلها.
 - نعم يا فريد..الصاعق الكهربائي وسيلة فعالة مع أمثال هذه الحشرات، وما زال هناك الكثير من الواجبات يجب أن تفعليها، هيا بنا الآن لنكمل استعداداتنا واختياراتنا.
- قامت لمار بتطوير برنامج تتبَّع بالغ التقدُّم وبدأت في محاولة اختراق حسابات زكريا، وكما توقعوا، فوجئوا بإنذار من البرنامج يخبرهم أن هذه الأرقام السرية مزودة برقم إنذار دولي يعمل على غلق الحسابات ويعطي إنذارا بمحاولة الاقتحام ومكانه.. قرر ناجي عدم التعامل مع زكريا بهذه الطريقة، سيقوم بتصوير أبنائه الذين قاموا بأخذ كُليتي ابنه ثم عمل مونتاج لتشويهم ببرنامج الفوتوشوب، وتركه يتعذب عدة أيام على طاولة التعذيب النفسي حتى ينهار تمامًا.
- في اليوم التالي أكمل فريد وناجي عملية استقبال المتقدمين للوظائف المختلفة في المقر الجديد بأكتوبر، في منتصف النهار حضر

الدكتور حسن وعرف نفسه لموظفة الاستقبال التي عيّنها ناجي، خرج له فريد فلم يتعرف إليه حسن بسبب تنكُّره المحكم أدخله إلى ناجي الذي رَحَّب به كثيرا ثم طلب منه الانتظار حتى انتهاء مقابلات اليوم، نجحوا في اختيار عدة عناصر تناسب شروطهم.. خرج في نهاية اليوم ناجي وفريد مع حسن وتوجهوا إلى فندق الماريوت ميراج بأول طريق السويس بعيداً تماماً عن وسط البلد، تناولوا عشاءً فاخراً في المطعم الإيطالي ثم تحدث أخيراً ناجي بعد إلحاح من حسن:

- كيف حالك الآن يا دكتور؟
- حقيقة في أفضل حال رغم أنني لا أفهم شيئاً.
- نريدك أن تعمل معنا.
- ولماذا أنا هنا؟! لقد تقدمت باستقالتني وقبلوها فوراً بعد أن رفضوا إعطائي حقي في إجازة.
- وهل يستحق راتبهم أن تضحي بمستقبلك من أجلهم!
- وماذا أفعل؟ لقد اضطهدوني أثناء عملي في الطبِّ الشرعي، خاصة بعد حصولي على ماجستير متخصص، بدلاً من تشجيعي دمروني، ورغم ذلك ما زلتُ أقاوم ومستمراً في الدكتوراه، وليس لي أي مورد مالي سوى عملي، لقد أغلقوا في وجهي أبواب جميع المستشفيات الخاصة.

- هل تستكمل أبحاثك السابقة في الماجستير في التحكُّم العقلي والنفسي لدى المجرمين؟

- نعم، ولكن للأسف أعاني بشدة بسبب رفضهم دخولي السجون أو أقسام الشرطة وتخصيص حالات لي بحجة خطورة ذلك على الأمن القومي.

- "فريد":

- نحن نريد أن نُؤمن لك كل ما تحتاجه لاستكمال دراستك، في مقابل أن تعمل معنا في محاربة الجريمة.

- صوتك ليس غريباً عليّ، هل أعرفك؟

- "ناجي" .. المفترض أن تكون أكثر قدرة على الملاحظة.

حسن صائحاً:

- سيد فريد.

وضع ناجي يده سريعاً على فم حسن الذي تدارك الموقف وصمت، لكنه لم يمنع نفسه من احتضان فريد بقوة.. بعد أن هدأ الجميع تحدّث حسن:

- لا أصدق، حقاً إنه أنت، يا لغبائي! كيف لم أفهم الإشارات؟!

- لأنه شيء لا يخطر على بال أحد، أنا سعيد أنك بخير وما زلت صامداً مُصمماً على تحقيق أحلامك.

- لقد عانيتُ كثيرًا جدًّا، وكدتُ أَيْأس وأعود إلى قريتي في محافظة البحيرة وأقبل بالعمل في أي مستشفى صغير بعيدًا عن سطوة الكبار.
- نحن سعداء أننا قد لحقنا بك قبل أن تخسر البشرية عبقريتك.
- نظر إليه حسن طويلًا، ثم لم يتمالك دموعه.. ربت عليه فريد ليهدأ فغيَّر حسن اتجاه الحديث قائلاً:
- لقد سمعتُ خبرًا جيدًا عن قضيتك، أَلْقِيَ القبض على فهد اللعين وانهارت معه كل قضاياها الملفقة.
- وَمَنْ تظنُّ الذي فضح فهد وأسقطه؟
- ابتسم حسن:
- أنا غبي مرة أخرى، يبدو أن عقلي في إجازة اليوم، فعلاً، تنكر السيد فريد والغموض المحيط بالسيد ناجي وهذا الجو الغريب.
- نريدُك معنا يا دكتور لمحاربة الظلم والجريمة في هذا العالم.
- يُشَرِّفُنِي ويسعدني ذلك يا سيد ناجي، أنا مُستعدُّ أن أَهَبَ حياتي لهذا الهدف النبيل.
- "فريد":

- وهذا ما توقّعتَه منك بالضبط، ما أخبار أبحاثك الخاصة بالرقاقات الإلكترونية؟ هل طورتها؟
- حقًا! أريد أن أعرف منك آلية عمل هذه الرقاقات.
- الرقاقات الإلكترونية هوايتي، أجريتُ عليها أبحاث تحكم كثيرة جدًّا، تعطينا فكرة جيدة عن السلوك البشري، ويمكن عن طريقها التحكم فيه وحتى التنبؤ بالسلوك المستقبلي، إن الشكل الأمثل للسيطرة الشاملة على البشرية سيكون عن طريق تزويد الناس برقاقات إلكترونية دقيقة ومن ثم وصلها بكمبيوتر مركزي، وسيتم التخلي عن استخدام النقود على أن تكون كل التحويلات المالية عن طريق رقائق إلكترونية تُزرع تحت الجلد وتُستخدم بنفس طريقة استخدام بطاقات الائتمان والبطاقات المصرفية الذكية، حيث يكفي أن تُمرّر معصمك أو ساعدك فوق الجهاز الكاشف كي تدفع ثمن مشترياتك، وفي حال رفض الكاشف التجاوب مع معصمك لأي سبب من الأسباب ونظرًا لعدم وجود النقود بديلًا فمن الممكن أن تُمنع من شراء أي شيء، وربما تُقصى من المجتمع الاستهلاكي تمامًا.. ومن أشهر من عمل في هذا المجال هو الدكتور والمخترع كارل ساندرز الذي أمضى 32 عامًا وهو يطور تقنيات رقائق الكمبيوتر من أجل استخدامها في المجال الطبي، ونتيجة لعمله فقد توصل إلى رقاقة يصفها بالوحش، وهي

رقاقة صغيرة يجري شحنها بالكهرباء عن طريق حرارة الجسم؛
ولذا فإن الموقع الرئيسي لوضع هذه الرقاقة سيكون في الجبهة
تمامًا أو تحت خط الشعر أو في مؤخرة الرأس.

- أنا أعرف أنك قد طوّرت رقاقة خاصة بك.

- وهي سبب كل ما حدث لي يا سيد فريد، فقد اضطهدني
رؤسائي واتهموني بالعمل على قلب نظام الحكم والجاوسية،
حتى أن أحدهم اتهمني بالزندقة والكفر لأنني أسعى إلى تغيير
خلق الله.

- ناجي ضاحكًا:

- هذا من حُسنِ حظنا، وأنا أظنُّ أن للموضوع أبعادًا أخرى،
خصوصًا من اتهمك بالجاوسية، علم النفس يخبرنا أن العقل
الباطن يجب أن يرمي الآخرين بأحقر صفاته.

- هل يمكنك معاودة تجاربك مرة أخرى؟

- طبعًا يا سيد فريد، بالتأكيد، لكن الأدوات اللازمة كانت
تُوفّرُها لي أجهزة خاصة، وتحتاج إلى تصاريح كثيرة جدًا.

- ألا يمكن توفيرها بأي طريقة من السوق المحلية؟

- لقد حاولتُ كثيرًا يا سيد ناجي، ولكن ذلك غير ممكن، نحن
نصدر المواد الأساسية خامًا، لكن المنتج النهائي غير موجود
هنا.

- هل يمكنك تصنيعه؟
- بالتأكيد يا سيد فريد، لو توافرت المواد الأساسية التي تُباع في بعض الدول الأوروبية.
- أنا في حاجة لزيارة إنجلترا لأنني أمورًا عالقة، هل نجدها هناك؟
- نعم بالتأكيد يا سيد ناجي.
- إذن نسافر معًا فور انتهاء التصاريح والأوراق اللازمة، أنت من اليوم رئيس قسم التطوير والأبحاث في مستشفى النجوم براتب ثلاثين ألف جنيه، تحضر لي مبكرًا غدًا في أكتوبر لأنني لك عملية نقل الإقامة واستخراج جواز السفر بالوظيفة الجديدة.. ستبقى هنا في الفندق تنسى الدنيا وتستجم حتى السفر الذي قد يكون بعد أسبوع.
- لم يصدق حسن نفسه، راتب خيالي، فندق عالمي، سفر إلى لندن، والأهم، استكمال أبحاثه وتمويلها، لم يستطع أن ينطق، كل ما فعله هو أن أومأ برأسه ملتزمًا بأمر فريد ألا يتحدث مع أحد حتى من أهله حتى العودة من السفر.

الفصل التاسع

عاد فريد وناجي إلى سقارة فأخبرتهما لما ر أن زكريا قد انهار أكثر من مرة بعد أن شاهد عملية تقطيع أولاده على الشاشة المقابلة له في سقف الغرفة، وتكرار نفس المشاهد بصفة مستمرة، ولم ينتبه إلى أنها فوتوشوب، كذلك درست ملفات جميع المرشحين لعضوية المنظمة واختصرت القائمة.. فريد:

- إذا كنا فعلاً نُخطط لعمل تنظيم عالمي يتوغل في ثنايا المجتمعات المختلفة ويعيش بعدنا ولا يرتبط بأشخاص بعينهم، فيجب أن نجد من يهب نفسه لهذا العمل في المرحلة الأولى.

- يُقال إن الماسونية هي أكبر منظمة سرية في العالم وأقدمها، البعض يقول إن مَنْ أسَّسها هم بُناة المعابد الفرعونية، وهناك رأي آخر يقول إن التأسيس الأول للماسونية التي جعلت مرادفها (القوى الخفية) بدأ سنة 43 م عندما اجتمع الملك "هيردوس أجريبا" ومستشاريه "أحيرام أبنودا"، و"مؤاب

لافي" وتآمروا فيما بينهم على المسيح الذي أخذ يُبشِّر بزوال الهيكل، بحيث لا يبقى فيه حجر على حجر إلا ينقض، وأنشؤوا جمعية سرية باسم "القوة الخفية" مهمتها: التخلُّص من المسيح وأتباعه.

- على هذا الرأي كانت منظمة سياسية دينية.

- نعم يا ناجي، ويزعم أنصار أسطورة ظهور الماسونية مع بداية بناء الهيكل، بأنه عندما تقرر بناء الهيكل، قُسمُ البنّاؤون إلى ثلاث طبقات: المتمرنين، أبناء المهنة والأساتذة، وتشمل الطبقة الثالثة (الأساتذة) ثلاثة أشخاص فقط هم سليمان، وحيرام ملك صور، وحيرام الأب.. وكانوا ينادونه بابن الأرملة، أو صانع النحاس تمييزًا له عن حيرام ملك صور.. وتقول الأسطورة الماسونية إنه قبل تمام بناء المعبد تأمر بعض الأشخاص من أبناء المهنة بغية اكتشاف أسرار الأساتذة وقرروا أن يعدوا كمينًا لحيرام (ابن الأرملة) عند باب المعبد.. ولكن بعضهم تراجع في اللحظات الأخيرة، ولم يتبقَّ من المتآمرين سوى ثلاثة هم الذين نفذوا المؤامرة.. وقد طلبوا في البداية من حيرام أن يُطلعهم على الأسرار، وهددوا بالقتل، وعندما رفض البوح لهم بما يعرف قتلوه بثلاث ضربات على الرأس، ضربة من كل واحد منهم، ثم حملوا جثته ودفنوها خارج الهيكل، وتضيف الأسطورة أنه بعد تمام بناء الهيكل تفرَّق البنّاؤون الذين بَنَوْه، فهرب بعضهم إلى أوروبا، واستقرَّ البعض الآخر في روما، حيث أنشؤوا جمعية الصنّاع الرومانية

التي نقلت نظمها ورسومها فيما بعد إلى جمعيات الصُّناع في إنجلترا وفرنسا وألمانيا في العصور الوسطى.. والذين يقرون ظهور الماسونية بالحملات الصليبية، يقررون بأنها نشأت في زمن حكم بلدوين الأول لمملكة القدس، حيث اجتمع الفارس الفرنسي هيودي باين وثمانية من الفرسان، وأقسموا فيما بينهم على تشكيل جمعية منهم تهدف إلى حماية الحجاج وحراستهم من الساحل حتى المدينة المقدسة.. وحين سمع بلدوين بهذه الجمعية منحهم دارًا قريبة مما عُرف عندهم بهيكل سليمان أو معبد سليمان؛ ولهذا عرفوا بفرسان المعبد، وفي تلك الفترة نفسها ظهرت نشاطات مُربية لجمعية إسلامية شبيهة وحليفة لجمعية فرسان المعبد، وهم الإسماعيلية الذين يصفهم وليام الصوري رئيس أساقفة صور بأنهم لا يلتزمون بالشرعية الإسلامية، ويرتكبون المحرمات الدينية، فهم يشربون الخمر ويأكلون لحم الخنزير، وقد وضع الإسماعيلية أسسًا ومبادئ لجمعيتهم السرية تلك، على نظام دقيق للغاية، فقد رتبوا أصول الدعوة السرية ترتيبًا محكمًا على أساس استعداد الناس، فللعامة تعاليم وللخاصة أخرى، وللخاصة الخاصة تعاليم سرية لا يعلمها إلا الخاصة، ولا يعلم أسرار الجمعية إلا رؤساؤها وزعماءها، ولا يصل الفرد منهم إلى مرتبة الزعامة إلا إذا اجتاز امتحانًا قياسيًّا، وأقسمَ بأغلظ الأيمان على الوفاء للجمعية والكتان الشديد.

- رائع جداً، الماسونية لها أكثر من أب؟
- نعم يا ناجي، وما زالت هناك طائفة إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث أو الرابع الهجري والعاشر الميلادي بالبصرة اتحدوا على أن يُوفَّقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك أكثر من خمسين مقالة سموها تحف إخوان الصفا، خرجت جماعة إخوان الصفا من فكر مذهب الإسماعيلية، وكانت اتهامات هذه الجماعة متنوعة بين العلوم مثل الرياضيات والفلك والسياسة.
- أنا أعرف أنهم كانوا يحاولون إدخال الفكر الفلسفي في الفكر الإسلامي، وكانوا مجموعة سرية يُقال إن ابن المقفع ينتمي لها يا لمار.
- أخرجت لمار ورقة:
- بالفعل يا ناجي، وقد وضعوا شروطاً وتقسيماً صارمة لمن يشترك في منظمتهم، وقسموا العضوية في حركتهم إلى ٤ أنواع، ثم قرأت:
- "مَنْ يملكون صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور.. ولا يقلُّ عمر العضو فيها عن خمسة عشر عاماً؛ ويُسمَّون بالأبرار والرحماء، وينتمون إلى طبقة أرباب الصَّنائع"

"مَن يملكون الشفقة والرحمة على الإخوان، وأعضاؤها من عمر ثلاثين فما فوق؛ ويُسمَّون بالأخيار الفضلاء، وطبقتهم ذوو السياسة".

"مَن يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدِّي إلى إصلاحه.. ويمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر، ويُسمَّون بالفضلاء الكرام، وهم الملوك والسلطين".

المرتبة الأعلى هي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً. وهي قوة الملكية الواردة بعد بلوغ الخمسين من العمر، وهي الممهِّدة للصعود إلى ملكوت السماء؛ وإليها ينتمي الأنبياء.

- من الغريب جداً أن يُنسب إنشاء هذه المنظمة إلى بعض أتباع الأديان السماوية الثلاثة عبر رحلة تاريخية طويلة، هناك حلقة مفقودة لا أستطيع فهمها، لماذا السرية؟ التاريخ مليء بصراعات مستمرة بين مختلف القوى في العالم، ينتصر الخير أحياناً، وينتصر الشرُّ أحياناً، وتستمرُّ الحياة، فلماذا السُّرية؟

- يا فريد... ولماذا نجتمع نحن اليوم؟ ولماذا أرسل الله أنبياءه للبشر؟ وما النتيجة النهائية؟ الشيطان أكبر قوة منظمة في تاريخ الإنسان، عصى الله ثم استأذنه ليغوي الإنسان حقداً وحسداً وغلاً، كَوَّن إمبراطورية عظيمة هدفها الأساسي تدمير البشرية، فماذا فعلنا؟ استسلم أغلبنا لمداخله المختلفة، وتوالى نجاحاته على جميع الأصعدة، بنى عرشاً على الماء، يُقال إنه في

منطقة مثلث برمودا، أطلق جنوده وأبنائه يفسدون النفوس
ويشعلون الحروب، نحن في حاجة إلى تنظيم قوي يقف
بوضوح ضد الشيطان وأعوانه.

- لسنا أنبياء ولا نملك دعم السماء يا ناجي.
- ومَن قال لك إننا في حاجة إلى قوى خارقة لكي ننجح، ألم
تجتمع كل الاتجاهات الماسونية تحت راية واحدة في النهاية؟
- نعم يا ناجي، بدأت عام ١٦٠٠ في إسكتلندا.. وفي نهاية القرن
السابع عشر، كانت الحركة مقتصرة على الأرستقراطيين،
والطبقات المهنية العليا، وفي ١٧١٧ تقرّر توحيد الماسونية في
لندن في تنظيم واحد سُمي الاتحاد الأعظم، ولا يزال موجودًا
حتى اليوم ينشر فكره في مجلة دورية وُلِدَت معه تحمل الاسم
اللاتيني. Aro Buarteyr Conorium. وفي سنة ١٧٢٣ ظهر
أول كتاب في الماسونية باسم القوانين ألفه القس جيمس
أندرسون وقد جاء فيه: "إن الماسوني كان يلحق ألا يكون كافرًا
عبدًا، وألا يكون مفكرًا حرًا غير متدين، وأن يحترم السلطات
المدنية، وألا يشترك في الحركات السياسية..!" وقال أندرسون
في كتابه هذا إن الأستاذ الأكبر للماسونيين، الذي أنشأ المحفل
الماسوني الأول هو النبي موسى.. وأن الملك سليمان كان
الأستاذ الأعظم للمحفل الماسوني في القدس! واليوم هناك
نوعان من الماسونية في الغرب " الماسونية التقليدية وهي

الموجودة في بريطانيا وألمانيا والدول الإسكندنافية والولايات المتحدة الأمريكية، وليس لها نشاطات مُعارضة للحكومة، والماسونية الحديثة وهي الموجودة في فرنسا، وجنوب أوروبا، وأمريكا اللاتينية، ولها نشاطات سياسية متعددة.]] والماسونية في بداية ظهورها في إسكتلندا كانت تُعرف باسم الماسونية الحرة، أما الماسونية الألمانية فكانت تُعرف بالماسونية النورانية.

"ناجي":

- نحن نريد مواجهة تهديدات قيام الحرب العالمية الثالثة والصراعات الفكرية والسياسية والسيطرة الاقتصادية لمجموعات محددة على الاقتصاد العالمي، لقد استولى روكفلر وروتشيلد أبرز أعضاء الاتحاد الاقتصادي على بنك إنجلترا فامتلكا حق صك العملة وحولا الولايات المتحدة إلى سلاحهم الأعظم لتحقيق أهدافهما الحديثة، الفوضى الخلاقة والحروب المحدودة الموجهة والتمهيد لحرب عظمى ثالثة، المبادئ الاقتصادية الرأسمالية التي جعلوها وسيلة للسيطرة على الاقتصاد العالمي واستعباد الدول الصغيرة والفقيرة أو إفقارها بحصارها وتهديدها ووضع قياداتها تحت الضغط المستمر.

- نحن في حاجة إلى الثورة الحقيقية على النظام العالمي القائم.

- وصلتك الفكرة أخيراً!

- التنظيمات التاريخية الكبرى بدأت بفرد واحد أو عدد قليل من المؤسسين.

- سنستفيد يا لمار من التقدم العلمي في تسخير الجميع، ستسلك إلى جميع الدول، سنحاربهم بسلاحهم حتى ننزع الفتيل من القنبلة التي يملؤها كل يوم بالبارود، سنحارب الفساد والمفسدين، سنغير وجه العالم على طريقتنا.

"فريد":

- التحولات الكبرى تحدث في حياتنا كل يوم، من كان يصدق أننا اليوم نناقش مشكلات مستقبل العالم بعد أن كان كل همنا انتهاء دوام العمل والعودة إلى المنزل؟

"لمار":

- رغم أننا ناقشنا ذلك مُسبقاً، فإنه وفق قولك من كان يصدق أن تتحول ساحات العالم الهادئة إلى كل ما نراه اليوم من قتالٍ وموتٍ ودمارٍ لا ينتهي، حروب جيل رابع وخامس وربما سادس، هجوم إلكتروني وعقائدي ومنهجي على كل شيء، حرب الشيطان بلا شك بصورة تناسب العصر.

"ناجي":

- نحتاج إلى بلورة مبادئ محددة قبل عقد الاجتماع التأسيسي الأول لمنظمتنا في سقارة، كما نريد ضمَّ مسئولين يؤمنون

بالفكرة ويضحون من أجلها، وسنُجند عبر السيطرة الإلكترونية كل الشباب الذين وقع الاختيار عليهم للعمل معنا.

- نحن نقرب من منطقة مواجهة، لا أظن أن مثل هذا النشاط الذي ستنضمُّ له جنسيات مختلفة ستغفل عنه أجهزة المخابرات النشطة، كذلك لا بد أن المجموعة التي ستغطي أنشطتنا ستخضع للتساؤل عن مصادر تمويلها وأنشطتها.

- تمامًا يا فريد، ولهذا لا نريد أن نظهر للعلن الآن، نثبت قليلاً أقدامنا في عدة دول، ما تفعله لمار من توزيع مصادر التمويل على عدة دول يجعل لنا جذورًا سوف نحتاجها بالتأكيد، ولا بد في هذه المرحلة أن ندخل في شراكات مع شركات متعثرة لها قيمتها التاريخية لتضفي علينا الشرعية، وبالتأكيد سنبتعد تمامًا عن السياسة والإعلام.

- ولكن الإعلام مُهمٌ جدًا في منظومات حروب الجيل الرابع والخامس!

- نعم بالتأكيد، سوف نشترى أو نُؤسِّس مجموعة إعلامية كبيرة جدًا تعمل في جميع الأنشطة الفكرية والنشر، مع مجموعة قنوات تغطي القطاعات الجاذبة للمشاهدين مثل الرياضة والسينما وغيرها، نشترى الدوريات المحلية وحقوق بيع بعض المباريات العالمية الشهيرة، ندخل في التمويل السينمائي عبر

إنشاء شركة إنتاج كبرى، لن نترك مجال تأثير عقلي دون أن ندخله.

- أيضًا سنعمل على السيطرة على أسواق الإلكترونيات في منطقتنا، ونحاول عقد شراكة مع شركات عالمية لفتح خطوط إنتاج لها هنا.

- الإلكترونيات يا لمار تتحكم في كل صناعات العالم الجديد، وهدفنا الأول سيكون الدخول فيها ومحاولة السيطرة عليها في منطقتنا، السلاح والحاسوسية وأساسيات البيوت العصرية والصناعات الثقيلة ومنظومات التتبع كلها تخضع لسيطرة العقول الآلية.

"فريد":

- أظن أن العالم الحديث كله يخضع لسيطرة العقول الآلية.

"لمار":

- بالفعل، ولهذا يجب أن تكون على رأس أولوياتنا.

- المولود الصغير يحتاج إلى الهدوء الشديد والرعاية الدائمة طوال الوقت من الأم والأب، ولا يجب أن يتدخل في هذه المرحلة أي غريب حتى لو كان ذا خبرة كي يكبر الصغير وولائه المطلق لوالديه فقط، سأسافر إلى لندن لأغلق ملف رمزي مقلد.

- ستصفيه يا ناجي؟
- ليس أمامنا حلٌّ آخر، وجوده شديد الخطورة علينا، ثم سأراقبُ أبناءَ غادة وردود أفعالهم على ما حدث لوالديهم، خاصة بعد الرسالة التي أرسلتها لمار لهم من هاتف غادة تطلب منهم الحفاظ على كل قرش في حساباتهم بسبب هروبهم.
- هل ستصفيهما؟
- بل نحن في حاجةٍ ماسّةٍ إليهما، سأتقرب إليهما وأستغل حالة الرعب والغضب التي يعيشانها وأجندهما، ما زالت في دراستهما عدة سنوات ولم يعد لديهما تمويل، ولذلك وجودهما الشرعي في لندن سيفيدنا تمامًا، في مقابل التعاون معنا بأبحاث متخصصة.
- ستكون رحلة مهمة، لكن يجب أن تكون حذرًا، فأنت وحدك هناك.
- لا تقلق عليّ، الحذر أصبح جزءًا من تكويني، ثم إن لندن كل شيء فيها قابل للشراء، لا تنسَ أن إنجلترا هي مقر الماسونية الحديثة، ولندن تستقبل أي فاسد يسرق بلاده، أو حتى أي حاكمٍ ظالمٍ يطاردُ شعبه بالترحاب كجزء من المخطط الأكبر في اعتقادي.

- ماذا سنفعل في السجناء؟
 - لقد اتفقنا من قبل على تحنيدهم يا لمار، سيكونون نواة لتجارب حسن في السيطرة، لكل منهم دور محدد، ولن يروا الشمس مرة أخرى، لقد وسعت مساحة المنطقة السرية في هرم سقارة الخاص بنا، وألحقت مبنى جديد على مساحة تتعدى الأربعة آلاف متر بجوار الدور الثالث تحت الأرض، هذه المنطقة مُنفصلة عن الهرم وفي نفس الوقت مرتبطة عن طريق مدخلٍ سريٍّ واحد لا يعرفه أحد، سيوضع فيه أمثال هؤلاء وستجري فيه جميع عمليات السيطرة.
 - رائع جدًّا، في فترة غيابك في لندن ستتابع عمل المحامي والتعيينات الجديدة، وإدارة المجموعة الناشئة عبر التحكم عن بُعد.
 - قبل أن أسافر أريد حسم موضوع زكريا، غدًا نجلس معه مرة أخرى ونرى.
- "لمار":
- لا أعتقد أنه سيقاوم هذه المرة.
 - اجتمعوا على طاولة القضاء الخاص في الصباح، بدأ ناجي بالحديث مباشرة عبر جهاز تغيير النبرات.
 - هل لديك شيء تقوله يا سيد زكريا؟

- أرجوكم ارحموني، لم أكن أعلم مع مَنْ أتعامل، أنا مخطئٌ ومستعدٌّ للتكفير عن كل أخطائي، ارحموا أولادي، أرجوكم.

"فريد":

- كنا وما زلنا نعلم طريقتك الحقيرة في التعامل مع غيرك، لا يهملك سوى تحقيق مطامعك التي لا تنتهي، لا ضمانات منك الآن، نريد شيئاً ملموساً.

- سأخبركم بشيء ملموس، في قصري بالمنصورية توجد خزانةٌ سرّيةٌ بها خمسون مليون دولار نقدية، وجميع المتبقي من الآثار الذهبية التي لم يتم بيعها، وبها أيضاً تسجيلات صوتية وصوت وصورة ومستندات تدين الكثيرين من المسؤولين الحاليين والسابقين، وتحتوي أيضاً خرائط لمناطق الآثار المحتملة والحالية.

- كمين آخر أيها المتذاكي، بأي صفة تريدنا أن نذهب إلى هناك؟ مثلك يتوقع كل شيء.

- يا سيد ناجي خذوني معكم وأنا أفتحها لكم.

"فريد":

- لا فائدة من هذا الحقيق، يجب أن نقتل عائلته الآن أمام عينه، ثم نرميه للكلاب لتنهي عليه.

زكريا صارخاً:

- أرجوكم، القصر مُغلق ولا يعرف أحد عنه شيئاً ولا تحرسه سوى الكلاب.

"ناجي":

- ومن يطعم الكلاب أيها المتذاكي؟

- كنتُ أذهب لها كل يوم وأطعمها بنفسي في طريقي إلى المنزل.

"فريد":

- وكيف ندخل إلى القصر؟ وأين توجد تلك الخزانة السريّة؟

- المفتاح الرئيسي موجود في سلسلة مفاتيحي، وهو الكبير الأبيض، مفتاح القصر موجود أسفل التمثال الصغير المُواجه للباب الرئيسي، الخزانة الكبيرة توجد في الدور السفلي خلف المدفأة القديمة.

"ناجي":

- هذه فرصتك الأخيرة، لا شفاعة لك أو لعائلتك بعد اليوم، سنرسل فريقاً خاصاً إلى هناك، أي معلومات خاطئة لن نرحمكم، وبعد أن نقتل عائلتك سنحرق كل شيء له صلة بك.

خرجوا على صوت بكائه بعد أن بدأت نقاط المياه في اللعب مع عقله مرة أخرى.. ناجي:

- ما رأيكم؟

"لمار":

- حقير لا ثقة به.

"فريد":

- لا يمكن الثقة بحديثه، ولا بد أن نكون حذرين إذا قررنا الذهاب إلى هناك.

- سنُقدِّم بلاغًا بوجود أعمال مريبة في ذلك القصر ووجود إرهابيين، نراقب ما ستفعله الشرطة، وبالتأكيد لن تصل إلى الخزانة السرية، مثل هذا الحقير بالتأكيد له خطط دفاعية متعددة المراحل.

- حلُّ جيد يا ناجي، ونحن سنُراقِبُ من هنا عبر موجات الشرطة كل ما يحدث، ننتظر يومًا بعدها ثم نتحرَّكُ.

خرجَ فريد مع ناجي إلى منطقة القصر التي وصفها لهم زكريا، منطقة هادئة على ترعة المنصورية المشهورة بالقصور والفلل الفاخرة، كل قصر محاط بأسوار عالية وأشجار من كل الجهات، سور القصر يبلغ طوله أكثر من خمسين مترًا والأشجار تمنع الرؤية الداخلية.. من نفس المكان اتصلَ فريدَ عَبْرَ هاتف مدعم ببرنامج تغيير الصوت وخط يستخدم لمرة واحدة بأحد أعوانه الذي أصبح رئيسًا للتحقيقات في مديرية أمن الجيزة بعد القبض على فهد ليلبلغ عن العملية الإرهابية التي

ستنفذ الليلة ومكانها بالتفصيل.. أغلق الهاتف سريعاً ثم حطّمه ومزّق شريحة الاتصال وألقى بهما معاً في المنصورية أثناء عودتهما إلى سقارة.. تابعت لمار تتابع الاتصالات على تردد موجات الشرطة، تم الإعداد لخطة هجوم عاجلة وضخمة تحركت بعد زوال الشمس.. تابعوا جميعاً باهتمام تطورات عملية الاقتحام، كانت المفاجأة حين حدث من الداخل عملية تبادل إطلاق النار بكثافة كبيرة مما استدعى مُحاصرة المكان وتعزيز القوات واستمرار العمليات حتى صباح اليوم التالي.. جاء البيان النهائي للعملية بتصفية خمسة عناصر واكتشاف كمية كبيرة من السلاح والآثار.. بعد تعيين الحراسة اللازمة عليه حتى معاينة النيابة كانت الأنباء تنتشر بسرعة في الإعلام باكتشاف عصابة كبرى للاتجار في الآثار، أرسل فريد رسالة شخصية على الهاتف المحمول للإعلامي ناصر عابد أخبره فيها بأن الفيلا تخصّ زكريا الذي هرب خارج البلاد..

ذهب فريد وناجي إلى المقر الهرمي الجديد والذي أوشكت الإنشاءات تحت الأرضية فيه على الانتهاء، التقيا المهندس وليد عوني الذي اتفق معه ناجي على الانتقال إلى المجموعة الجديدة فور انتهاء الإجراءات التأسيسية لها خلال ثلاثة أشهر، طلب من صبري عرض شراء الأراضي المحيطة بالمقر الجديد بأكثر من سعر السوق.. عادا بعدها إلى مقر أكتوبر لاستكمال مقابلة المتقدمين لوظائف المجموعة فوجد المحامي نجيب في الانتظار حسب طلبه، طلب منه إنهاء إجراءات استخراج جوازات السفر في أسرع وقت ممكن، ثم استقبل ناجي

الدكتور حسن وخرج معه إلى أحد البنوك الدولية فحوّل إلى حساب جديد أنشأه له مئة ألف دولار، ثم ذهبوا إلى شركة سياحة كبرى لترتيب رحلة سياحية إلى إنجلترا خاصة وسريعة..

عاد حسن إلى الفندق بينما عاد فريد وناجي إلى سقارة لمتابعة تطوّر الموقف، أخبرتهم لما ر أن الداخلية في حالة استنفار بعد وفاة بعض أفرادها وتجري حاليا التحقيقات مع مَنْ أُلقي القبض عليهم ولا بد أنهم سيترفون ضد زكريا.. قال ناجي:

- لا أعتقد أنهم يعرفون زكريا، لا بد أن يكون هناك وسيط.

"فريد":

- الحارس الشخصي؟

نزلوا جميعاً إلى الغرفة السرية وأعاد فريد سؤال حارس زكريا.

- سوف تشهد اليوم تقطيع بعض أجزاء رئيسك، وأنت مُرشح للحاق به.

- كنتُ أعرف أنكم أذكى وأوسع حيلة من هذا الغبي المغرور، القصر استولى عليه هذا اللعين منذ سنوات طويلة بأوراق مزورة بعد وفاة أصحابه، يتخذة مقرّاً لرجاله وتخزين الآثار والسلاح، وهم لا يعرفونه، فقد كنتُ أنا حلقة الوصل بينه وبينهم، لكن ما أستطيع أن أوكد لكم هو أن الخزينة موجودة في مكان سري لا يستطيع الوصول إليه غيره في الدور السفلي.

"ناجي":

- وكيف يترك كل هذه الأموال والآثار في مكان يوجد فيه مَنْ لا يعرفه؟

- هذا رَجُلٌ بلا قلب، مَنْ كان يحاول عصيان أوامره يُقتل فورًا ودون تردد، لو حفرت في حديقة القصر الخلفية ستجد العديد من الجثث المدفونة.

سلَّطَ فريد الضوء على زكريا الذي كان في حالة شِبْهِ إغماء قال له ناجي:

- لقد حكمتَ على أسرتك بالموت حرقًا.
ثم شَغَلْتَ لمار صورًا لمنزله الحقيقي تشتعل فيه النار بخدعة فوتوشوب.

أخذ زكريا في الصراخ والعيول مرة أخرى:
- لم يفعلوا شيئًا، أنا الذي حاولتُ خداعكم، ما ذنبهم.
"فريد":

- لقد حذرناك في المرة السابقة.
- صدقوني، لقد قلتُ لكم الحقيقة، الخزانة بها الكثير.
"ناجي":

- الكلاب الجائعة قُتل بعضها وأُلقي القبض على البعض الآخر، الإعلام أكَّد صلتك بها، ونحن على يقين أن من تعمل معهم يبحثون عنك في كل مكان لإسكاتك بعد أن يحصلوا على أموالهم، أنت وعائلتك وكل من يعمل معك في كل الأحوال ميتون، ولكن لنخفف عنك العذاب قليلاً أخبرنا بحقيقة مكان أموالك.

- صدَّقوني، لن أخدعكم مرة أخرى.

"ناجي":

- مثلك أصبح الكذب جزءاً من ثقافته وتكوينه، كذبت حتى أصبحت شخصية مهمة في الدولة، كذبت على الشعب حتى أصبحت نائباً في مجلس الشعب، كذبت على نفسك واتهمت العاملين في الحكومة بالفساد وأنت أحد أسبابه، نحن مجرد كذبة صغيرة في سلسلة طويلة متصلة، حتى بعد خروجك إلى المعاش الإجباري، استمرت في الكذب وسرقة الأموال بعد أن ضاقت عليك من الأحياء، أنت ومنظومتك كلها ستسقطون سقوطاً مُدوياً.

سمعوا ضحكة ساخرة مجنونة من زكريا الذي قال متلعثمًا:

- أنتم واهمون، مهما تكن قوتكم هناك من هو أقوى منكم، منظومة عالمية محكمة ومغلقة لن تستطيعوا اختراقها، وما أنا إلا حشرة صغيرة في الغابة الكبيرة.

أيقنَ ناجي أنه لا فائدة من التعامل مع هذا المدعي الحقير، اتخذوا قراراً بتصفيته فور انتهاء عملية اقتحام قصره وحرقه حتى تنتهي آثاره.. اطمأنوا من تتبع مكالمات الشرطة إلى عدم وجود أي تحركات ناحية قصر زكريا في هذا اليوم، خرج ناجي وفريد مبكراً وتركوا السيارة في أقرب مكان ممكن وأكملوا سيرهم باستقلال سيارة أجرة، ثم ساروا قليلاً حتى وصلوا إلى باب القصر، فتحه ناجي بمفتاح زكريا ثم دخلوا عبر الحديقة الصغيرة المهملة كثيفة الأشجار، وجد المفتاح الداخلي أسفل التمثال الذي تبدو عليه بوضوح آثار إطلاق النار.. تلمسوا طريقهم بهدوء وحذر بعد أن فك فريد بطريقة فنية الشمع الأحمر.. دخلوا مباشرة إلى الطابق السفلي عبر باب المطبخ، أوقد ناجي مصباحاً كهربائياً ونزلاً يتحسسان طريقهما، وجدا المدفأة القديمة فأزاحاها بحذر شديد، ظهر خلفها سرداب آخر سارا فيه حتى آخره فوجدا الغرفة الأخيرة التي يسميها زكريا بالخزانة الحديدية، وجدا عدة حقائب فتح أحدها فريد، فإذا هي مليئة بالدولارات، بحذر شديد بدأ في فحص كل حقيبة بحثاً عن أجهزة تتبع أو أي شيء غريب، صدق توقعهما في إحدى الحقائب حيث وجدا قبلة صغيرة معدة للتفجير بمجرد تحريكها. بحذر شديد نقلوا الحقائب إلى خارج الغرفة ومعها التماثيل الخفيفة الذهبية، بينما أخرجوا جميع محتويات الغرفة التي تعدت المئة قطعة إلى إحدى دواليب غرف الطابق الأرضي، كانت عشر حقائب ممتلئة بالمال والآثار.. ذهب فريد مسرعاً لإحضار السيارة بينما جهز ناجي الحقائب بإلقائها من فوق نهاية السور في منطقة ممتلئة بالأشجار

المهملة، حضر فريد أخيراً بالسيارة فحملاً الأموال ثم انطلقا إلى أقرب منطقة آمنة، فرَّغا فيها كل حقيبة في جوال كبير بعد فرزها مرة أخرى بدقة، ثم وضعوا الحقائب معاً وأشعلوا فيها النار.

عادا إلى سقارة فأخبرتهما لما بالحدث الصادم، لقد حُرقت بالفعل فيلا زكريا وقُتل جميع أفراد عائلته! رد ناجي:

- من الواضح أننا أمام تنظيم قوي وعنيف جداً.

- يقولون إنه توجد آثار تعذيب على الضحايا الذين لم تطلهم النار، مجزرة حقيقية.

- هذه عصابة كبرى، وربما يوجد في السلطة هنا أو في الخارج من يريد إسكات الجميع.

- وأظنُّ يا فريد أنهم لن يهدؤوا حتى معرفة مصير الآثار والأموال، لا بد أن نتخلص منها، ربما كانوا قد سجلوا أرقامها، خاصة أنها مرتبة ومسلولة.

"ناجي":

- اتركوا تصريحها لي، كل شيء ممكن مقابل عمولة جيدة، المهم الآن أن نهدأ تماماً ونبتعد عن الساحة قليلاً حتى تهدأ صدمة هذه العصابات، فنحن قد سيطرنا على ليب من قبل واليوم زكريا.

- تقصد ليب تاجر الآثار الشهير؟

- أنت تعرفه، لقد أخبرتك عنه من قبل.
- لقد كان واحداً من أشرس رجال العصابات وأقواهم أيضاً، حاولنا كثيراً إسقاطه أثناء عملي في الشرطة، وكل مرة يُلقى القبض عليه يخرج بعد اختفاء الآثار التي أمسكنا بها.
- وهذا مكنم الخطورة، هناك أفاع ضخمة جداً في العالم تشر أفاع صغيرة في كل دولة وتستهدف حضارات الدول القديمة، أريدك أن تتأمل خارطة حضارات العالم القديم جيداً، أين الدول الوارثة للحضارات اليوم؟
- فعلاً، اليونان مُفْلِسة تماماً وتعيش على المعونات، إيطاليا تعاني اقتصادياً بشدة، في المنطقة العربية سلاحظ أن دول الحضارات القديمة وأصولها في العالم هي التي تقع اليوم في خط النار.
- العراق بحضاراته السومرية والبابلية والإسلامية، مصر بحضارتها الفرعونية، سوريا وحضارة الكنعانيين، اليمن وحضارة سبأ.
- نعم لمار وهذه الدول هي تقريباً الوحيدة التي استمرت منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى اليوم، ولو نلاحظ المخطط العالمي المستمر منذ فترة طويلة والذي اتضح تماماً بعد الحرب العالمية الثانية أن المُستهدف هو تدمير التاريخ القديم وتغيير ملامح المستقبل.

- هذا حوار سيطول، يمكن في وثيقة إنشاء المنظمة أن تكون من أهدافنا حماية الحضارات القديمة.
- رائع جدًا يا سيد فريد، سنعطي منظمتنا بُعدًا حضاريًا وثقافيًا مُهمًا، التدفقات النقدية المستمرة ستتيح لنا الدخول في المزايدات السرية والعلنية لتتاج تلك الحضارات الذي تم ويتم نهبه بالحروب أو السرقات المنظمة، نعيد تربيته واستكمال حلقات التاريخ التي يريدون طمسها ونعلن ذلك للعالم كله.
- ما رأيك أن نبدأ هجومنا على همام الرومي الآن؟ أظن أنه مرتبط بلبيب وزكريا بطريقة أو بأخرى، ولا بد أن سقوطهما جعله الآن مهتزًا مُرتعدًا.
- ولكنه بالتأكيد سيضع لنفسه خطط حماية أقوى وأكثر عنفًا، ولا بد أنه الآن أكثر حذرًا.
- أظن أن أمثال هؤلاء سيسارعون بنقل أموالهم إلى الخارج، وهناك محاصرتهم ونقل أموالهم أسهل بكثير.
- عندك حق يا لمار، نجعل همام هدفنا القادم، مهمتك يا سيد فريد مع لمار في فترة غيابي بلندن، نريد أن نعرف كل شيء عنه.
- لقد أعطاني السيد فريد بياناته من فترة ونجحت في اختراق اتصالاته والميل الشخصي له، ولهذا لدينا فكرة جيدة عن معاملاته وتحركاته.

- جيد، ننتهي الآن من مسألة زكريا.
- نزلوا إلى الغرفة السرية فوجدوا زكريا لا يتحرك.. جسّ فريد نبضه فلم يجده.
- لقد رَجَمَهُ الْقَدَرُ.
- لا بد أنه لم يتحمل رؤية منزله يحترق يا ناجي.
- والغريب أننا كنا نخدعه، بينما الحريق يحدث في الحقيقة.
- الجريح يكون أكثر شراسة واستعدادًا للقتل يا لمار، الذي يراه يكون أكثر حذرًا وقلقًا وخوفًا، الخوف والاندفاع يقودان إلى الخطأ وهي فرصتنا.
- أخذ فريد وناجي جثة زكريا إلى الخارج، وضعها في جوال موتى ثم في جيب سري داخل السيارة، توجهوا ناحية قصر زكريا في المنصورية فوجدوا حركة مُريبة حوله، استمروا في السير حتى نهاية السور وألقوا بالجوال في منطقة أشجار كثيفة، أرسل فريد رسالة لناصر عابد يخبره فيها بالجثث الموجودة في القصر وحوله وأن هناك مفاجأة مُدوِّية سيجدها فيهم، وكالعادة دَمَّرَ الجهاز والشريحة ثم انطلقا إلى مقر أكتوبر للحاق بالمقدمين للوظائف الذين ينتظرون منذ الصباح.. أنهموا يومهم الطويل وأخذوا طريق عودتهم فقال فريد:
- ألن تمرّ على أولادك اليوم؟

- ليسوا في المنزل، هناك حفل لأحد أولاد شقيقة زوجتي وذهبوا جميعاً إليه.
- شقيقتها هند؟
- رانيا قلبها كبير يسعُ العالم كله، رغم أن لما أرسلت لها تسجيلاً باعترافات آدم وهند وهروبها خشية السجن، فإنها أصرت على أخذ أولاد شقيقتها لتربيتهم.
- غريب جداً، المتأمل في هذه الحياة يرى العجب، زوجتك تأخذ أولاد شقيقتها التي كانت سبباً في حرمانها منك ومن ابنها، وزوجتي تحصل على الطلاق وتزوج بآخر.
- لم تخبرني عن هذا الأمر من قبل.
- لم أكن أعرف حتى فترة قريبة، حكمت لها المحكمة بعد هروبي وتزوجت فور انتهاء العدة.
- وأين أولادك الآن؟
- حسب القانون مع والدتها حتى يبلغوا السنَّ القانونية لحضانة أمهم.
- هل ستنتقم منها؟
- أنا لا أريد منها شيئاً، علاقة وانتهت، المهم بعد أن تنتهي هذه الأزمة أن أضمَّ أولادي إليَّ.

- وهل تعتقد أن ذلك في صالحهم؟
- ماذا تقصد؟
- هل تنوي العودة إلى حياتك الطبيعية بعد تبرئتك؟
- حقيقة لا أعرف، سيحدث تضارب كبير بين ذلك العمل والمنظمة، أفكر في طلب الخروج إلى معاش مُبَكَّر ثم فتح مكتب للمحاماة.
- رائع، غطاء مثالي، وهذا سيعطيك فرصة للتحرك بحرية.
- وماذا عنك؟ ماذا ستفعل؟
- كل شيء سيتغير، سامح مات، والأموات لا يعودون في هذا العالم، إنها سُنَّة الحياة، قلبي الآن معلق بشيء واحد فقط.
- وصلا إلى المقر على آخر كلمات ناجي، سمعتهما لمار:
- وأنا قلبي مُعلَّق بمنظمتنا يا سيد ناجي، بعد وفاة والدي لم يعد لي أحد في هذا العالم الظالم، أشقائي سيتمكنون من الاستمرار، أنا أراقب حساباتهم على الفيس بوك، تجاوزوا الأمر واستمرت حياتهم.
- ولكنك صغيرة السن، لم تكمل الحادية والعشرين بعد؟
- أمامنا سنوات كثيرة ليستقر هذا التنظيم، عمر واحد لن يكفيننا، وأنا وهبْتُ عمري لخدمة الفكرة.

- سنُرسِي قواعد النظام العالمي الجديد، ستمتدُّ أذرعنا في كل مكان، سنسَلِّ إلى كل بيت، سنحدِّثُ إلى كل قلب، سنُحيطُ بكلِّ روح.
- لن أترككم بالتأكيد، كل شيء في حياتنا تغير، بعد أن تستقر الأمور وننتهي من الأمور العالقة، سنجلس معاً ومعنا النخبة التي ستؤسس معنا منظمتنا ونضع الأسس والقواعد الرئيسية.
- السلام والأمان والحضارة، رسالات السماء والأنبياء، الحكماء والفلاسفة، الشيطان وذرائعه وخطواته، الجن وممالكه وأمرأؤه، النبوءات الكبرى، سندرس كل شيء لنستخلص دستورنا التأسيسي.

الفصل العاشر

هدأت تحركاتهم تمامًا في الأيام التالية، كان التركيز الأساسي على متابعة العمليات الإنشائية للمقر الجديد واستمرار اختيار العناصر التي تحتاجها إدارة المجموعة، واستمرت لمار في إدارة الشركات التي تم الاستيلاء عليها عبر الميالات مع استقرار الأوضاع حتى حدوث الاجتماع المنتظر بعد أقل من ثلاثة أشهر.. بعد عشرة أيام انتهت عملية استخراج تصاريح السفر للرحلة السياحية التي من المفترض أن تستمر أسبوعين، اصطحب ناجي الدكتور حسن وسافرا مباشرة إلى لندن..

وصلا إلى مقر إقامتهما في فندق قُرب المطار، تحركا فورًا في جولة سياحية فردية إلى أماكن محددة مسبقًا من بعض أصدقاء حسن الذين يعملون ويدرسون في بعض الدول الأوروبية، مروا على عدة أماكن واشتروا من كل محل كميات قليلة من المواد التي يريدونها حسن كيلا يلفتوا الانتباه، عادا إلى الفندق فتناولا طعامهما ثم خرج ناجي بعد أن أكّد لحسن عدم الخروج منفردًا.. توجه مباشرة نحو شقة رمزي التي رصدتها لمار من خلال تتبع مكالماته وتحركاته، حي هادئ في الضواحي

تقلُّ فيه الحركة بوضوح.. أشعل النار أسفل سيارة صغيرة متوقفة في الجانب المقابل من الطريق، خرج رجل الأمن ليستطلع الأمر فتحينَّ الفرصة وتسَلَّلَ إلى شقة رمزي في الدور التاسع، صعدَ على السُّلم مُخْفِيًا وجهه ورأسه بردائه الأسود المميز ولتجنَّب تركيز كاميرا المصعد عليه، وصل أخيرًا إلى شقة رمزي في منتصف الرواق الصغير، ضرب جرس الباب فأجابه رمزي من الداخل، أخبره أنه رجل أمن ويريد مفاتيح سيارته لكي ينقذها من الحريق المندلع، أسرع رمزي بفتح الباب فعاجلَه ناجي بصعقة كهربية قوية ومركزة غيبته عن الوعي فورًا.

أفاق رمزي ليجد نفسه مُقيَّدًا في غرفة النوم، حاولَ حَلَّ وَثاقٍ نفسه لكنه لم يستطع، انتبه على صوت يحدثه:

- لا تحاول يا رمزي بك، المادة المصنوع منها هذا الوثاق أقوى من الحديد، ولكن العلم الحديث تمكَّن من جعلها لينة قابلة للنفث، جميل العلم، أليس كذلك؟

حدثه رمزي بعنف:

- فُكَّ وَثاقي أيها الحقير وإلا...

- وإلا ماذا؟ الغرور لا يترك لكم فرصة للتفكير العقلاني، وبالتأكيد القوة التي تستمدونها من أموالكم الملوثة بدماء الناس تزيد من هذا الغرور.

ساخرًا:

- أأنتَ مبعوث السماء لإنقاذ البشرية؟ المسيح يعود من جديد؟
 - لستُ مسيحًا ولا يمكن أن أكون، ولا تقحم السماء في حواراتك أيها الفاسد.. ابحث في ذاكرتك عمّن يريدك ميتًا.
 - الحاقدون والفشلة هم من يريدون رؤية أمثالنا أمواتًا.
 - كيف حال كبد ابنك؟ هل يعمل بكفاءة؟ هل أُنقذَ من الموت؟
امتقع وجه رمزي وارتعدت أنامله:
 - من أنت بالضبط؟
 - هناك فرصة واحدة فقط أمامك، وهي أن تقول لي الحقيقة التي أعرفها مُسبقًا، هل كنتَ تعلم المصدر الذي حصل منه ابنك على كبده؟
 - طفل مُتوفّي في حادثة تبرع أهله بكبده، ورغم ذلك دفعت لهم ثمّنه كاملاً.
 - وهل اقتنعتَ بهذا الكذب؟ اسمع يا سيد رمزي، أنا أعرف أنك شريك غادة، ولا يمكن أن تدعي أنك لا تعرف التفاصيل وأنها تتاجر في الأعضاء.
 - أنا بالطبع أعرف أن في المستشفى فرعًا سرّيًا للجراحات الأعضاء، ولكن تأتي من تبرعات وعمليات شراء وبيع شرعية
- ساخرًا:

- شرعية؟ تستحلون كل شيء في هذه الحياة وتُهدّثون ضمائركم بعبارات شيطانية، لا يهم، أنت على اتصال بأبناء غادة؟
- حسام وشيرين؟ قليلاً جداً.
- أنا أحمل لك رسالة صوتية من غادة، اسمعها ونفّذها.
- أسمعه رسالة من غادة تطلب منه فيها أن يعطي ناجي أرقام جميع حساباته السرية والعلنية، وأن يبيع نصيبه في مصنع الأدوية مقابل الإبقاء على حياته، وأخبرته أنها بخير وأمان في منطقة بعيدة من العالم.
- لا يمكن، هذا ليس طبع غادة؟
- عندما تكون مُهدّداً أن تُحرقَ أنت وأولادك وتُزالوا من فوق وجه الأرض سيكون عليك تغيير كل تصرفاتك القديمة، أنت مثلاً، لو رفضت التعاون معنا، ستسمع خبراً بعد قليل يقول لك إن أولادك وزوجتك الموجودين الآن في بوسطن قد احترقوا في ظروف غامضة.
- ارتعد رمزي من الخوف والغضب، ثم استسلم سريعاً لضغوط ناجي الذي أحضر له جهاز الكمبيوتر الشخصي له وأدخل عليه نظام تتبّع جهّزته له لمار، ثم طلب منه إجراء عملية التحويل حسب خطوات محددة مسبقاً وحسابات مختلفة عن الحسابات القديمة في دول جديدة أوروبية وآسيوية. ومعها وثائق بيع لجميع ممتلكاته لشركات جديدة تعمل في مجاله نفسه، بعد أكثر من ساعة وصلت رسالة برموز متفق

عليها من لمار أن عملية التحويل تمت بنجاح تام، بعد اطمئنان ناجي قام بإرغام رمزي على شرب علبة عصير صغيرة ثم قال له مبتسماً:

- لا بد أنك فعلت شيئاً جيداً في حياتك لتموت بهذه الطريقة البسيطة والسريعة، لن تشعر بشيء، هذا المركب الموجود في العصير سيصيبك بأزمة قلبية حادة يتوقف بعدها عن العمل، وسأضطر إلى حرق الشقة فتحترق أنت وكلُّ أثرٍ لك، وعندما يجري تشريحك سيكتشفون أنك ميت بأزمة قلبية وأنت السبب في كل الكارثة التي حدثت.

رمزي وقد بدأ جسده في الارتعاد:

- ولكنني نفذتُ لكم كل طلباتكم، وأعطيتكم كل ما أملك، من أين سيعيش أولادي بعدي؟

- من أملاكك في بوسطن التي لم تذكرها لنا، من حساباتك السرية، مثلك لا يضع كل الكرات في سلة واحدة، أرجو منك أن توصل لعناتي لمن سبقوك إلى الجحيم، أخبرهم أن الأرض ستتغير كثيراً.

غاب رمزي عن الوعي وقلبه ينبض بشدة، بدأ ناجي عملية مسح هادئة وشاملة للشقة استمرت حتى الصباح، وجد بعض المستندات المهمة ومبلغاً مالياً، أخذها جميعاً، نقل جثة رمزي إلى المطبخ ووضعها على مقعد صغير مواجه لجهاز الميكروويف، وضع قطعة لحمٍ مُغلّفة

بورق ألمنيوم وقليلًا من الماء في إناء صغير مُحْكَم الغلق داخل الميكرويف لينفجر مُحدثًا شرارة إشعال الغاز بعد أن تصل حرارته إلى الغليان، أحكم إغلاق كل منافذ الشقة لتصبح كلها قنبلة موقوتة، ثم فتح الغاز.

استغلَّ الحركة التي دبَّت في الشارع ونزل عبر الدَّرَج بعد أن غيَّر وجه الجاكت الذي يرتديه إلى اللون الأحمر كما غيَّر طريقه تحرُّكه ليليدو شخصًا مختلفًا لو حدث تفريغ لأشرطة الكاميرات.. انتظر قليلًا في نهاية الشارع بمنطقة تسمح له بمشاهدة شقة رمزي، دَوَّى صوت انفجار هائل هَزَّ المنطقة منطلقًا من الشقة التي خرج اللهب من نوافذها.

عاد ناجي إلى الفندق هادئًا بعد أن انتهى من تصفية حسابه مع الجاني الثاني، اتصل بحسن فوجده قلقًا متوترًا؛ لأنه لا يردُّ على اتصاله الداخلي ولم يستجب لطرقاته على بابه، طلب منه ناجي أن يلقاه بعد ساعتين في بهو الفندق، رغم امتعاض حسن فإنه وافق في النهاية حتى لا يُغضب ناجي.

في سقارة كانت لمار تواصل عملها في ترتيب نقل الملكيات ومتابعة الأفعال وردود الأفعال، شعرت أن بعض التحقيقات والاتجاهات المنطقية للمحللين في التقارير التي يتم تداولها عبر رسائل الميل التي نجحت في اختراقها لبقية المستهدفين قد بدأت في التحدث عن ضرورة التوحُّد ضد الهجمات المحتملة بعد سقوط إمبراطوريات قوية، كما اتفقوا ضمنيًا على ضرورة كشف هذا الكيان الجديد الذي يدخل السوق ويستولي على بعض الشركات الكبرى في ظروف غامضة.. استدعت لمار فريد الذي كان في طريق خروجه إلى أكتوبر:

- هناك أمر مُريبٌ يحدث.
- خيرًا يا لمار؟
- ما يُشبه الاتحاد غير المنظم ضد المجموعة التي دخلت السوق واشترت مستشفى النجوم ومصنع النجوم للأدوية.
- مجموعتنا؟ ماذا تقصدين؟
- تساؤلات مُربية حول الشركة المالكة الجديدة ومَن يقف خلفها.
- أظنُّ أن هذا أمر طبيعي، خاصة مع الخدمات التي كانت تقدمها عادة ورمزي لمجتمع رجال الأعمال، وتزامن اختفائها مع ما حدث لذكريا ووهدان ولييب، والأخطر طبعًا عندهم سقوط سامي النوام.
- هناك ضغوط هائلة رسمية وغير رسمية تُمارَس على ناصر عابد ليخبرهم عن مصادر معلوماته.
- لا تقلقي على ناصر، هو أقوى من الجميع، ولن يجدوا شيئًا يُدينه لأنه يناصر الحق، والكشف عن الفساد أكسبه شعبية هائلة، وفئران الظلام لا يمكن أن تهدد القطط التي تعيش في النور.
- لا أعرف، ولكنني لستُ مطمئنة.

- لا يجب أن نطمئن أبدًا، نحن نشئ تنظيمًا مهمته الأولى محاربة الفساد في عالم أصبح الفساد فيه هو القاعدة.
- أظنُّ أن تنظيمنا أكبر من مجرد منظمة لحرب الفساد، الفكرة ممتدة لإصلاح المستقبل قبل أن يدمره الحاضر، ثم إننا لسنا تنظيمًا لاهوتيًا سماويًا، سنعامل البشر بطريقتهم التي يفهمونها.
- أنا لا أؤيد المنظمات المسلحة.
- أنت مُتردِّدٌ يا سيد فريد بعد كل النجاحات التي حققناها؟ وبعد أن أوشتك براءتك المستحيلة على التحقق!
- لستُ مترددًا، وإلا ما اشتركتُ في كل ما حدث، ولكني أتخفظ على فكرة مقابلة الدم بالدم.
- لو ضاع ابنك بالبشاعة التي ضاع بها ابن السيد ناجي، أو مات والديك حرقًا مثلما حدثَ مع والدي بالتأكيد كان رأيك سيختلف.
- أنا أقدر كل ما حدث ويحدث، لكن عندي مبدأ منذ كنتُ طالبًا في كلية الشرطة، لا يجب أن نقابل العنف بالعنف، هناك طرق أخرى كثيرة أكثر سلمية.
- الآن فهمت كيف استطاع شخص مثل فهد أن يُوقِعَ بك، رغم أنك كنتَ واحدًا من أهم أعضاء منظومة محاربة الجريمة الرسمية في دولة كبيرة، فإنك - واسمح لي فيما سأقول - كنتَ

رقيقاً أو مثاليًا، وهذا دليل على شرف مَنْ أوصلك للمنصب ومنهجيته، ولكن أيضًا يدلُّ على وجود خللٍ ما.

- تريد أن تقول إنني ضعيف؟
- التعامل مع المجرمين يتطلب القوة والشدة.
- لكن ليس العنف؟
- بل العنف، لو واصلك خبر الآن أن قاتلاً أو مجموعة من القتلة يتوجهون ناحية شخص ما أيًا كان ماذا ستفعل؟ ستقول لهم بحق الإنسانية تراجعوا أيها الأوغاد؟

باسمًا:

- تسخرين مني؟
- نحن نتناقش.
- من حقك، أنا أحترم وجهات النظر المختلفة، دعيني الآن أتحرك، ولا تقلقي، كل ما يحدث طبيعي ومنطقي، وعندما يعود السيد ناجي سنتحدث بوضوح في هذا الأمر.

على الجانب الآخر وصل ناجي وحسن إلى مقهى صغير في شارع إدجوار التابع لبلدية وستمنستر والمشهور بتمركز الجالية العربية في جزئه الجنوبي.. التقيا أحد أصدقاء حسن حسب موعد مسبق.. بعد أن أخذ حسن صديقه في حضنه وتبادلا السلام والأشواق قدّمه إلى ناجي..

- صديقي الجميل وائل، الأول على دفعتنا الذي يكمل الدكتوراه في ألمانيا بعد أن حصل على الماجستير في لندن.
- تشرّفت بمعرفتك يا دكتور.
- لقد حضرتُ خِصِّصِي للقائكم بعد أن أخبرني حسن صديق عمري بأنك انتشلت من مقبرة العلماء التي ألقوه فيها.
- أسعدني لقاءك، ولكن لماذا لم تُكمل الدكتوراه هنا؟
- موضوع التخصص مُتاح أكثر في ألمانيا.
- وما هو؟

نظر وائل إلى حسن الذي أوماً له برأسه ليطمئنّه فقال:

- الماجستير كان في التحكُّم النفسي لدى المجرمين، ولكن في الدكتوراه تطوَّرَ هذا الأمر إلى محاولة التحكُّم العقلي، ونحتاج إلى بناء بعض النماذج الهندسية المتاحة أكثر في ألمانيا.
- حسب ما فهمت فهذا موضوع الدكتوراه نفسه الخاصة بحسن!

وائل مبتسماً:

- ظاهرياً، أما في الحقيقة فمشروع حسن مختلف تماماً عن مشروعي، هو يُطوِّر رقاقة إلكترونية للتحكم العصبي، أنا أبني نموذجاً للتحكُّم في الذاكرة.

- رائع، وهل هذا ممكن؟
- لا شيء مستحيل في العلم، وقد أجريتُ بعض التجارب على الحيوانات وأثبتت نجاحًا مُذهلاً.
- وماذا ينقصك؟
- التمويل، والتطبيق على البشر.
- أليس في هذه الدراسة خطر على حياتك؟
- بمعنى؟
- أنت تفهم ما أقصد.
- الحقيقة أنني أشعر أنني تحت المراقبة منذ وصلتُ أوروبا، ولهذا أخفي نتائج دراستي الحقيقية، وقد حصلت على الماجستير لمجرد الفكرة، وفي الدكتوراه أبني نموذجًا سرّيًا مختلفًا تمامًا عن النموذج التجريبي الذي سأقدمه في الرسالة.
- ولماذا هذا اللّف والدوران؟
- أنت تعلم أكثر مني، ولولا هذا ما سألت، والآن دوري، ماذا ستُقدّم لي في مقابل أن أستكمل أبحاثي معكم.
- أخبرني أولاً: لماذا تفعل ذلك؟
- العالم يتقدّم بسرعة مذهلة، رأيت أبحاثًا يقوم بها بعض الزملاء من دول مختلفة غير طبيعية، أنا أظنُّ أننا إذا تحكّمنا في ذاكرة

المجرمين ومسحناها أو عدّناها فستمكن من تغيير السلوك
المستقبلي لهم.

- ولكن التحكم في الذاكرة وحدها لا يكفي.
- وهنا يأتي دور حسن، أبحاثه مكملة لأبحاثي في السيطرة،
ولهذا أتمنى أن نكملها معًا.
- وأنا سأعطيكم هذه الفرصة، كم بقي لك لتُنهَي الدكتوراه.
- أقل من عام.
- جيد، بعد عدة أشهر سيتم إشهار المجموعة التي أمثلها،
سنكتب معك عقد أبحاث تُوفّر لك من خلاله ما تريد، لكن
بشرط واحد.
- ما هو؟
- لا يوجد مخلوق على وجه الأرض يعرف شيئًا عن أبحاثك
الحقيقية أو اتفاقنا.
- أنتم جهاز مخبرات ما؟
- نحن لا نهتم بالسياسة، ولا نتبع أي تنظيم سياسي أو ديني،
نسعى فقط لتنمية بلادنا وتطوير مجتمعاتنا.
- كلام مطاط يحمل كل الاحتمالات.
- ما أحلامك؟

- أن أحمق فكري وألاحق العالم.
 - دعنا نكن محترفين أكثر، نحن بصدد بناء مجمع علمي نجمع فيه العباقرة من أمثالك لتنفيذ أبحاثهم، سنوفر لكم كل شيء في سرية تامة، لا نريد صراعاً مع مخبرات الدول القوية ونحن في هذه المرحلة، بالتأكيد أنت تعرف أن الدول المتقدمة تريد احتكار العلم، ولم يفلت من هذه القبضة سوى الصين والهند، المستقبل يتحدد اليوم، ولا بد أن يكون لنا دورٌ فيه، ولهذا سيكون الإطار الرسمي لهذا المجمع العلمي هو إنشاء جامعة للعلوم والتكنولوجيا ذات طبيعة خاصة.
 - هذه نظرة أخرى أحترمها وأضحى بحياتي من أجلها، سوف أكون معكم بالتأكيد.
 - لا تحدث حتى نفسك في هذا الأمر، نريد سرية كاملة، كما يهمننا جداً المحافظة على حياتك.
- حصل حسن من وائل على بعض المكونات التي يحتاجها لبناء نموذج، واتفقا على اللقاء في القاهرة بعد ثلاثة أشهر.. عاد ناجي وحسن إلى الفندق، ارتاح ناجي قليلاً ثم طلب من حسن عدم النزول وحده كالعادة وخرج للقاء حسام وشيرين.. حسب اتفاق مسبق من خلال رسالة على الميل الشخصي لحسام، كان اللقاء الذي رتبت له لمار مع ناجي بصفته ممولاً للأبحاث العلمية في الهايد بارك بوسط لندن..

عرفه ناجي فوراً هو وشقيقته التي تجلس معه، جلس قليلاً على بعد يراقب كل ما حولهما، بعدما اطمأنَّ نسبياً توجَّه نحوهما بخطوات هادئة متزنة بردائه المميز ونظارته التي تخفي نصف وجهه والمحتوية على أجهزة تسجيل وإرسال ورؤية ليلية قال ناجي:

- أهلاً بالشقيقين العالمين.

"حسام":

- أهلاً بك يا سيد برتراند، أليس هذا اسمك؟

"ناجي":

- اسم الشهرة، نعم، دعونا ندخل في الموضوع مباشرة، نحن منظمة تمويل دولية تهتمُّ بالأبحاث المتميزة، وقد رُشِّحَ بحثكما حول عمليات نقل الأعضاء من قبل بعض المراقبين.

"شيرين":

- وهل هناك مَنْ يُراقب عملنا؟

- كل شيء مُراقَّب في هذا العالم، نريد أن نمول بحثكم ونُطوِّره.

"حسام":

- هل تعرف مَنْ نحن؟

- نحن نعرف كل شيء عنكما، ولا يهمنا سوى أبحاثكما، خاصة الجزء الخاص بتطوير الأعضاء الصناعية.

"شيرين":

- ولكن هذا الجزء بالذات لا يعرف عنه أحد شيئاً تقريباً.
- وما لا يعرفه أحد هو بالضبط ما نريده، أمامكم هنا عام تقريباً لينهي حسام الدكتوراه وتنهي شيرين الماجستير، سنُجهّز لكم معملاً خاصاً في مكان سنبلغكم به بعد التوقيع على عقود الاتفاق، لتطوير أبحاثكم فيه كل ما تحتاجونه.

- عقود؟!

- أنتم لاعبان هاويان يا سيد حسام، ونحن نعرض عليكم الاحتراف.

"شيرين":

- لا بد أن نوافق أولاً على بنود العقد.

ناجي باسمًا:

- عقد احتراف محدد المدة، لو نجحتم ستستمررون، فشلتكم سيتم الاستغناء عنكم، بسيطة جداً.

تركهما على وعد بلقاء متجدد بعد أن طلب منهما الرد على الميل الدولي الذي استغل وجوده في لندن لإنشائه.. تركهما وهو متيقن من قبولهما للعرض بعد توقف التمويل من والدتهما، استمرّ على مدار اليومين التاليين مع حسن في عملية استكمال المستلزمات المطلوبة

لمشروعه البحثي، أرسل من لندن العديد من الرسائل التمهيدية لإدارة مستشفى النجوم ومصنع الأدوية تأكيدًا على أن عملية الاستحواذ قامت بها مجموعة دولية.. عادا أخيرًا إلى القاهرة بعد أن وزعا المكونات الرئيسية على الحقائق بطريقة لا تُثيرُ الانتباه.. استقبلهم فريد بحفاوة في المطار ثم توجهوا بحسن إلى سقارة للمرة الأولى والرهبة تملكه.. رحبت به لمار فانبهر بجملها الأخاذ من الوهلة الأولى ابتسمت له قائلة:

- أهلاً بك دكتور حسن في عالمك الجديد.

- يبدو أنه سيكون عالمًا جميلًا.

ناجي ضاحكًا:

- وأي جمال! هيّا يا حسن، نحن لم نَنَمْ منذ الأمس بعد أن أنهينا جولاتنا وأعددنا الحقائق لتجاوز التفتيش، لا وقت لدينا لنضيعه، سترتاح ساعتين.

أخذه إلى الغرفة الكبيرة التي جرى تجهيزها له بالأجهزة التي طلبها بُهرَ بها تمامًا ولحداثة كل مكوناتها، خاصة أن ناجي قد اشترى له من لندن بعض الأجهزة الصغيرة التي لم تكن موجودة في مصر.. تركه ناجي ليرتاح وعاد إلى غرفة التحكم الرئيسية وسأله فريد:

- ألن ترتاح قليلًا؟

- لقد غفوتُ في الطائرة، ولا وقت لدينا.

"لمار":

- هل صارحته بطبيعة التنظيم؟
- بعد أن يُجري أولى تجاربه عندما يعدُّ شرائحه.
- تريد أن تضمن ولاءه المطلق أولاً.
- لو كان هناك احتمال نصف في المئة لرفضه لا بد من التعامل معه، ما الأخبار؟
- هَذَا أنا تحركاتنا كما اتفقنا.

"لمار":

- سنستعرض الآن على الشاشة كل البيانات عن همام الرومي.
- وُضِعَتْ صورته على شاشة العرض الكبرى، رجل خمسيني تبدو عليه ملامح الثراء، نظرتة حادة وواثقة:
- يمتلك عدة توكيلات لماركات عالمية شهيرة، مواد غذائية وسجائر وكحوليات وأراضٍ، يمتلك قناة فضائية تتحدث بلسان الحكومة، يتنقل بين مصر وفرنسا باستمرار، يتحرَّكُ بحراسة مشددة، وحارسه الشخصي أمريكي الجنسية لا يفارقه في أي مكان.
- شخصية صعبة جداً وحريصة جداً، أنت تعلم صدامي معه الذي كان سبباً رئيسياً فيما حدث لي.

- ما زال لدينا سلاح السرية والمُباغِة يا فريد.
- هناك محاولات لربط الأحداث ببعضها البعض في الأيام الماضية، خاصة المرتبطة بتجار الآثار، كما أن ما حدث لرمزي مقلد آثار بعض ردود الأفعال وستزيد خاصة بعد أن يتسرب خبر بيعه لنصيبه في مصنع الأدوية.
- لن يجري الإعلان عن ذلك الآن بالتأكيد يا مار.
- ولكن الموضوع يتعلّق بورثة وتوزيع أملاك، لا بد أن يُعلن استحواذ المجموعة الجديدة على ممتلكاته.
- المحامي نجيب يُنهي الإجراءات القانونية للاستحواذ هنا، وقد كلفْتُ مكتب محاماة إنجليزي بإجراءات نقل الملكية.
- لقد أرسلتُ إلى زوجته ميلاً من حساب زوجها قبل موته يخبرها أنه باع المصنع وصفّى كل أملاكه ونقل أمواله إلى حسابات سرية غير قابلة للتتبع، وأنه في طريقه للذهاب حيث توجد عادة، وأن عليهم ألا يتحركوا أو يتصلوا بأحد لأن في ذلك خطراً شديداً على حياتهم من عصابات دولية كان يعمل معها.
- ناجي:
- رائع جداً، ولكننا يجب أن نُؤمن أنفسنا للنهاية، لا اتصال مباشر مع أي عنصر في هذا الوقت، ولن نفتح أي جبهات جديدة، كل مرة نصطاد حوتاً واحداً فقط.

- لقد اتصل بك الأمين سيد عدة مرات في الأيام الماضية.
- ولكنني أغلقتُ جميع الهواتف يا فريد!
- هل نسيت أن برنامج تتبّع المكالمات ينطبق على هواتفنا أيضًا؟
- حقًا يا لمار، سوف أرى ماذا يريد.
- أعتقد أنه في خطر وسيطلب منك المساعدة.
- لماذا؟
- أظنُّ أن الضابط سليم قد اعترف بدوره في عمليات خطف الأطفال، وأظنُّ أنه الآن يبحث عن أي منفذ.
- ما دام سليم قد اعترف، فلن يتوانى هو عن الاعتراف عليك وعلى كل من ارتبط بهم في مقابل صفقةٍ أو تخفيف العقوبة.
- هذا هو الوقت المناسب لاختطافه، اختفاؤه سيفسر بأنه هروب واعتراف ضمني بكل جرائمه، لا بد أن نفعل ذلك الآن، سأُتصل به من هاتف استخدام مرة واحدة وأُحذّره أنه مُراقبٌ وألّقيه ليلاً في أول الطريق الصحراوي، يشرب العصير المخدر وأحضره معي.
- أعددتُ خطةً للسيطرة على همام الرومي.
- السيطرة أم التدمير يا لمار؟
- السيطرة عليّ أنا، والتدمير عليكم، نجتمع في المساء لنشهد تطبيق أولى تجارب حسن في التحكم.

- سيجري تطبيق التجربة الأولى على هاني كما اتفقنا، لو نجحت سنعيده إلى المستشفى مديرًا منطقيًا لا يُثير الشبهات، لو فشلت انتهينا منه.
- لقد أنهيتُ المرحلة الأولى من اللقاءات في أكتوبر وجرى تصفية جميع المتقدمين بعد أن راجعت لمار ملفاتهم وبياناتهم المسجلة وجرى الاستقرار على أحد عشر شابًا وست فتيات.
- جيد يا فريد، هل سيغطون جميع التخصصات؟
- جميعهم لديه دراسات متقدمة جدًا في التعامل مع الكمبيوتر إضافة إلى تخصصهم الأصلي، وهم مقسمون بين الحسابات والشؤون الإدارية والتحكُّم عن بُعد والهندسة.
- لقد اتفقنا على أن تكون مهمتهم الأساسية يا لمار هي التحكم في المجموعة من سقارة بعد انتهاء المقر الإداري، وسيُحفظ بجميع العاملين في المصنع والمستشفيات وتسير الأمور بصورة طبيعية، ولن نظهر نحن أبدًا في الصورة.
- والأهم أن ظروفهم الاجتماعية تُناسب توجهاتنا، كلهم بلا أب أو أم أو يتيم الأب والأم وليس له أشقاء، من محافظات مختلفة، عمرهم تحت الثلاثين، أظهروا تفوقًا ملحوظًا في اختبارات الذكاء، غاضبون من شيء ما، يرفضون المجتمع وبعضهم يتمنى الهجرة.

- رائع جداً، نريد الإسراع في عملية الإنشاءات، سأدخل عدة شركات في المبنى فوق الأرض بعد أن انتهت عمليات الإنشاءات تحت الأرضية، واليوم لدينا موعد مع شركة جديدة للتشطيبات.
- كيف ستُبرّر لهم المبنى؟
- لا مشكلة يا فريد، لقد اتفقت مع وليد قبل السفر على أن يتفرغ لإنجاز المشروع لحسابنا، وهو يعرف التصميم الداخلي على أساس أنها شركة عالمية متعددة الأنشطة؛ ولذلك فإنها تبني مقرّاً سريّاً لإدارة أنشطتها، أما للباقيين فسنقول إنه مَرَكز تحكّم لعلميات الاستيراد والتصدير.
- وهل تثق به؟
- الوعود التي حصل عليها بأن يكون مدير الإدارة الهندسية للمجموعة التي ستدخل بقوة إلى سوق العقارات العربية عموماً كفيلة بالسيطرة عليه، بالإضافة إلى أنه أظهر حماسة شديدة لفكرة التغيير السلمي للشّر في العالم.
- بالمناسبة، هناك موعد اليوم مع الدكتور وسيم شعلان أستاذ المصريات والمتخصص في مصر القديمة، والمعروف عنه علاقاته بعصابات التنقيب والتهريب.
- جيد يا لمار، لقاء مُهمّ جداً، سنمرّ على المبنى الجديد ثم ننهي موضوع سيد وبعدها نلتقي وسيم.

التقيا وليد واطمأنَّا على انتهاء العمليات الأساسية، ثم التقيا ممثلي شركة التشطيبات عالية الجودة وشركة التركيبات الإلكترونية فعاينوا الموقع وتم الاتفاق على إنهاء جميع العمليات الفنية قبل استكمال المباني فوق الأرض والعمل على مدار الساعة لإنهاء التأسيس في أسرع وقت ممكن.. التقيا بعد ذلك سيد الذي ركب في السيارة سريعاً وعلى وجهه علامات القلق. أعطاه فريد العصير ليهدأ قليلاً ثم قال سيد:

- أخيراً، لقد ظننتُ أنك تركتَ البلد أو أُلقيَ القبض عليك.
- يبدو أنك لا تعرفني بعد يا سيد، المهم، ماذا حدث بعد أن اعترف سليم عليك؟

سيد متعجباً:

- إذن تعرف كل شيء! ولماذا تركتني؟ لقد أوقفوني عن العمل، ومن الممكن أن يُلقى القبض عليَّ في أي وقت.
- لا تقلق، ولكن أخبرني أولاً: لماذا اعترف سليم عليك؟
- لقد اعترف عليَّ وعلى المنظومة كلها، هناك حالة ثورة حقيقية ضده، أظنُّ أنه عقد صفقة هو وفهد مع الداخلية مقابل تخفيف الحكم عليهم وربما اعتبارهم شهوداً، يُضحون بنا نحن الصغار بلا ثمن.

"فريد":

- أو هناك تدخلات من حيتان كبيرة مثل همام الرومي لإنقاذ رجاله.
- لقد سمعت أنه بالفعل تدخل بقوة لصالح فهد ويفعل المستحيل من أجل خروجه.
- نظر فريد إلى ناجي بينما كان سيد يغيب عن الوعي ثم قال ناجي:
- لا بد من التخلص من همام فوراً، ولا بد أن تكون عملية كبرى يسمع بها الجميع ليتراجعوا عن مساندة فهد وسليم ومن معها.
- نعم، معنا جميع تحركات همام وخارطة لمنزله وشركته، أرى أن نُفخَّحَ سيارته.
- وأنا معك، ولكن يجب أن نُحدِثَ ضرراً أكبر في منظومته.
- سنحتاج إلى تنفيذ عملية كبرى تشمل مقره الإداري ومنزله في الوقت نفسه، وأقترح استخدام سيارات مفخخة.
- سيارات مفخخة؟ ولكن من أين سنحضر هذه الكمية الكبيرة من المتفجرات؟ وفي مدة قصيرة؟
- دع هذه المهمة لي، لقد اتفقت خلال الأسبوع الماضي مع صديق قديم على توفير أي كمية نحتاجها.
- غريب أمرك، ألم تكن ضد العنف طوال الوقت؟

- ضد العنف نعم، وقد قلت ذلك بوضوح للمرار، ولكني ضد الظلم أيضًا وله الأولوية المطلقة عندي، وقد اقتنعت بوجهة نظركم، القوة يجب أن تقابلها القوة، والظلم يُقابل أيضًا بالقوة، ويجب أن تكون قوة مدمرة، لأن الظالم عادة يكون حليف الشيطان.
- أنا سعيد بتغير وجهة نظرك.
- ستسَلِّم غداً طن من مادة التي إن تي ونصف طن من مادة السي فور.
- مواد خام؟! وكيف سنصنعها؟
- أنت لا تعرفني، لقد كنتُ لمرحلة طويلة من حياتي في فرقة مكافحة المفرقات، وحصلتُ على دورات كثيرة في فكِّ القنابل وتركيبها.
- ونُخفي عنا كل هذه المهارات؟ أنتَ رائع يا سيد فريد! هكذا سنُفخِّخ سيارتين ونضع قنبلة صغيرة في سيارة همام تفجر عن بُعد.
- المهم ألا يُصاب أبرياء.
- سنطلق تحذيرًا لكل الموجودين في المنزل والمبنى الإداري قبل خمس دقائق من التفجيرات.
- رائع جدًّا!

وصلا إلى سقارة فأنزلا سيد إلى الغرفة السرية وكبّلاه جيّدًا ثم خرجا للقاء الدكتور وسيم في فندق موفنيك الهرم المكان المفضل له.. وجداه في بهو الفندق في انتظارهما، بعد الترحيب الأوّليّ توجّها إلى إحدى القاعات الهادئة وبدأ ناجي الحديث:

- الحقيقة يا دكتور أننا طلبنا لقاءك اليوم لما سمعناه عن إمامك بكل ما له علاقة بالحضارة الفرعونية.
 - لقد فهمتُ أنكما مهتمان بزيارة علمية للأماكن السياحية.
- "فريد":

- أهذا ما فهمته فقط يا دكتور؟
- نظر إليه وسيم مطوّلًا ثم قال:
- أنا لا أعرفُكما، كل ما بيننا رسالة على الميل الشخصي ثم مكالمة هاتفية من فتاة تحدد الموعد.
- ولكنها أوضحتُ لك في المكالمة اهتمامنا بمعرفة كل شيء عن منف قديمًا أو سقارة حديثًا.
- اسم سقارة يعود إلى إله مصري قديم اسمه سقر أو سوكر كما ينطقه علماء المصريات الغربيون، كان سقر يُعبد على حافة الصحراء بالقرب من منف، وربما بدأ تقديسه بوصفه إله الأرض والخصوبة، وفي أثناء الاحتفال بالعيد الخاص به كانت

صورته الطقسية عبر الحقول في القارب مُثَبَّتَةً على زخارفه بينما يتبعه العديد من الناس وهم يضعون أكاليل البصل حول أعناقهم، فأصبح سقر إلهًا جنائزيًا لأن مركز عبادته كان قريبًا من الجبانة وأصبحت المعبودات في مكانه مُتساويةً مع الملك؛ ولهذا اتخذ سقر هيئة الصقر المقدس ومثل عندئذ جالسًا على حجر، وفي متون الأهرام فإن سقر الكائن فوق رحاله أقام في كهف سري يُسمى (إمحت) في العالم السفلي وقد ظهر في شكل آدمي ولكن برأس صقر، وفي العصر المتأخر اتخذ سقر إلهًا مع بتاح وأوزيريس بوصفه سقر أوزيريس.

- وما رحلة العالم السفلي هذه؟

- هناك مقطوعات أدبية نفيسة جدًا يا سيد ناجي تتحدث عن العالم الآخر وما يحدث في رحلة الحساب وصلت إلينا عبر نقوش المعابد، مثل متون الأهرام من الدولة القديمة، ومتون التوابيت من الدولة الوسطى، ومتون الموتى من الدولة الحديثة، ويكاد يكون كتاب "أمدوات، ما يحدث في العالم الآخر" الكتاب الوحيد الذي لم يُعطه علماء المصريين اسمًا من عندهم، فقد كان هذا اسمه كما حدده المصريون القدامى أنفسهم، يترجمه البعض نصيًا "كتاب الغرفة الخفية"، ويعُدُّ أقدم كتاب من نوعه ونموذجًا لنوع مكتمل من الأدب، أخذت منه كتب أخرى مثل كتاب البوابات وكتاب الكهوف، واقتصرت مقابر عدد من ملوك الدولة الحديثة على انتقاء

بعض أجزائه، لكن "تحتمس الثالث" الذي بلغت حدود الدولة المصرية في عهده أكبر اتساع لها من الشلال الرابع على النهر العظيم "النيل" جنوباً وحتى النهر "الذي تجري مياهه بالعكس" الفرات في الشمال الشرقي اختصّ في مقبرته بالنص الكامل للكتاب، وكذلك وزيره "أوسر آمون"، وهو يضمُّ بشكل عام النصوص والمشاهد المصوّرة التي تصف رحلة الليل وتجديد إله الشمس في العالم السفلي، ويوجد سقر في مرحلة ما من هذه الرحلة ودوره في الحساب بالغ الأهمية.

- هذا حوار سيطول.
- لنا لقاءات أخرى بالتأكيد يا فريد، ولكنني كنتُ أريد أن أعرف أكثر عن أسطورة الصقر الحارس يا سيد وسيم.
- اعتقد قدماء المصريين أن سقر إله الأرض وحامي عمال التعدين مما جعله قريباً من الإله بتاح إله العمال وأعطوه نفس الصفات.. ولهذا كانوا يسمونه أحياناً بتاح-سقر، كان يُمثّل بجسم إنسان له رأس صقر، وكان له دور في طقوس فتح فم الموتى، وتلك هي أيضاً من خصائص بتاح، وكان له احتفال يحتفل به في منف منذ أقدم العصور كونه إله الموت.
- إذن سقر كان مسئولاً عن حماية حقوق العمال أو يمكننا القول: يُمثّل الشعب بصورة أشمل ضد ظلم أعضاء الطبقة الحاكمة وكبار رجال الدولة وفسادهم.

- بالضبط، ولهذا ارتبط في العصور المتأخرة ببتاح وأوزوريس وهما المسئولان عن العدالة واللذين نُسجت حولهما أساطير شعبية في الحضارة المصرية.

نظر ناجي لفريد الذي فهم ما يدور في رأسه فابتسم:

- لقد جئنا هنا مِنْ أَجْلِ أَخْذِ رَأْيِكَ فِي مومياء يعرضها علينا أحدهم ونريد أن نعرف إن كان لها قيمة مادية.

أعطى فريد وسيم صورة لإحدى المومياوات.. تغيّر وجه وسيم تمامًا ونظر إليهم في توتر وترقّب:

- من أين حصلتم على هذه الصورة؟

"ناجي":

- لقد أرسلها لنا أحدهم على الميل وطبعناها لنُريك إيّاها.

- لا أستطيع أن أحكم عليها دون أن أراها.

- نحن نسأل سؤالاً مُحدّداً: هل لها قيمة؟

- ربما كانت اكتشاف العصر، وربما لا تساوي شيئاً.

- ماذا تعتقد؟ هل هي مومياء ملكية فعلاً؟

- كم تريد ثمنًا لها؟ وأفتحت المقبرة كلها أم لا؟

"فريد":

- أنت غير صريح معنا، ومن الواضح أنك لن تفيدنا في شيء.
- همّ ناجي بالحركة مع فريد إلا أن وسيم استبقهها:
- هذه الأشياء شديدة الخطورة، وفي الوقت نفسه هناك مَنْ هو مُستعدٌّ لدفع ملايين الدولارات مقابل مقبرة مغلقة، وأنا لا أعرفكما بعد.
- "ناجي":
- إذن لا فائدة من الحوار، هيا يا صديقي.
- اسمع أيها السيد المنفعل المتعجرف، هناك علامات غير واضحة على المومياء تُشير إلى أنها من الممكن أن تكون ملكية، ولكن لا يمكن أن أحكم دون أن أراها عن قُرب، وأنا متأكد أنها بحوزتكما.
- "فريد":
- أنت أستاذ معروف للحضارة، وتولّيت مناصب حكومية سابقة، بل كنتَ المسئول الأول عن الآثار في البلد، كيف تتحوّل إلى تاجر يبيع تاريخ بلده مقابل بضعة دولارات لن تُقدّم أو تُؤخّر؟
- أنا لا أُتاجر في آثار البلد، بل أحميها من اللصوص الحقيقيين الذين يدمرون التاريخ في مقابل بضعة دولارات، لو أخبرْتُكَ

بحجم الكارثة لن تُصدّق، هناك عصابات متخصصة في بناء قطع أثرية طبق الأصل وتنتهز أي فرصة لتغيير التماثيل الأصلية، والأدهى والأمر أن هناك عمليات سرقة منتظمة للآثار المسجلة من موظفين وحراس وخفراء.

"فريد":

- بالتأكيد يقلدوكم، فأنت رب البيت.
- أنتم لا تعرفون شيئاً، أنا أحرص على بيع القطع المكتشفة لمتاحف عالمية عن طريق علماء أثق بهم، الآخرون يبيعون لتجار يقومون بإذابة الذهب أو بيعه للأثرياء وتخفي القطع للأبد.

ناجي ساخرًا:

- هدفٌ نبيل فعلاً.
- وماذا تظنون أنفسكم؟ مجموعة من لصوص المقابر.

"فريد":

- الآن وقد جعلناك تنفعل، هل ستكون صادقًا معنا وتخبرنا عن المومياء الموجودة في الصورة؟ نريد أن نخبرك أننا لا نهدف للربح، بل نحن مثلك نريد الحفاظ على تاريخ هذا البلد وحضارته.

- إذا كان هذا حقيقياً فقد أرسلكم الله لي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل أن يضيع كل شيء.

"ناجي":

- ماذا تقصد؟

- الأمر أصبح خارج السيطرة، هناك العديد من العصابات التي تعمل بانتظام في البحث عن الآثار، والكارثة أن هناك مسئولين كبار يتغيرون ولكنهم مستمرين في مساعدة هذه العصابات، وسأوضح لك أسباب خطورة الموقف، الأمم تمرُّ بعصور ضعف وعصور قوة، ونحن بلا شك في عصر من عصور الضعف الواضح على كل المستويات، عملية السرقة مستمرة عبر التاريخ، لكن مشكلة هذا العصر أن هناك أجهزة مُتقدِّمة تستطيع كشف المعادن في باطن الأرض، ولهذا نحن نمرُّ بحالة خطيرة جدًّا، التاريخ القديم به حلقات كثيرة مفقودة، ولا يمكن وصل هذه الحلقات إلا عن طريق هذه الاكتشافات.

- ما المطلوب من الآن؟

- أريد رؤية واضحة للموميا.

- سنطلب منهم شريط فيديو تفصيلياً.

- سأبحث في الواضح من هذه الصورة وسأنتظر بقية البيانات، ولكنني أحب أن أقول لكم إن ظني لو صدق فنحن أمام اكتشاف كبير.
- بالطبع لا يجب أن نؤكد لك أن الأمر سري جدًا.
- وضع السيف مرات كثيرة على رقبتني، لا تقلق، لا أحد سيعلم شيئًا.
- حقًا نحن نسير على طريقك نفسه، نريد إنقاذ ما يمكن إنقاذه.
- خرجنا بعد أن اتفقا معه على موعد جديد، ما إن خرجنا بالسيارة من الفندق حتى خلع ناجي نظارته الكبيرة وألقى ببعض مكونات الماكياج التي غير بها هيئته على المقعد الخلفي:
- لا أعرف كيف تتحمل التنكر بهذه المواد ووضعها على وجهك طوال اليوم.
- فريد ضاحكًا:
- لكي تُقدّر التعب والمعاناة التي أمر بها، ما رأيك في الدكتور وسيم؟
- يبدو صادقًا وعنده منطق يمكن تقبله، أنت ترى العشوائية والأنانية والمادية التي أصبح يتعامل بها الجميع، هذا بخلاف الغوغائية والسلبية.

- نحن في حاجة إلى ثورة تصحيح للقيم.
 - هذا الأمر سيحتاج أن تبدأ المنظومة كلها من سن دخول الحضانة، يجب أن نضحي بجيل أو جيلين لتستقيم الأمور.
 - وهل نُلقي الأجيال الحالية خاصة الشباب في البحر؟
 - العود الأخضر من السهل تقويمه، أما من اشتدَّ مُعوجًا فتقويمه يعني كسره، لا بد من كسر من لا يستجيب لمحاولات التقويم.
- كان موعدهما في المساء مع أولى تجارب حسن الذي كان قد أعدَّ نموذجهُ الأول، جرى تخدير هاني ونقله إلى غرفة العمليات المجهزة الملحقة بغرفة حسن، عملت لمار كمساعدة لحسن الذي أسعده ذلك بوضوح، حتى يغيب تمامًا هاني عن الوعي بدأ حسن في شرح النموذج:
- كما تشاهدون الشريحة في حجم حجر الساعة الصغير، تكتسب طاقتها من حرارة الجسم، بها جهاز تحكُّم متصل بالأقمار الصناعية ويجري التحكم فيه عبر برنامج خاص بكل شريحة يجري تنزيله على الكمبيوتر المركزي، هذه الشريحة سترَكَّبُ أسفل النخاع الشوكي عند نهاية الأعصاب المركزية، وستتحكم تمامًا في السلوك وستراقبُ جميع التحركات.
 - ستحوّله إلى إنسان آلي، كنتُ أتمنى أن يكون الدكتور وائل معنا لنستغل فكرة التحكم في الذاكرة.

- لن تفوتنا هذه يا سيد ناجي، لقد بنينا نموذجًا مشتركًا للتحكم .
- رائع جدًا! إذن سيمكننا محو ذاكرته أو التحكم فيها.
- حقيقة ستكون هذه التجربة الأولى التي سيجري تطبيقها على البشر، ولا نعلم كيف ستعمل، من المفترض أن يكون هناك تحكم جزئي وتحكم كلي.
- وهل هناك وسيلة دفاع لو حدث تمرُّدٌ مثلاً؟
- الرقاقة سترَكَّبُ في أخطر منطقة في الرأس، لو حدث تمرّد فستنطلق شرارة تُسبِّب انفجارًا صغيرًا كافيًا لتدمير منطقة النخاع الشوكي ومن ثمَّ الشلل الكامل مع فَقْد جميع الحواس أو الموت المباشر.
- وهل تسجل الشريحة جميع تحركاته؟
- بل ستسجل انفعالاته بكل أنواعها عبر خريطة بيانية لها ترجمة خاصة، كل شريحة لها رقم محدد يُتَابَع مَرَكِزِيًّا من خلاله.
- لقد نفذت لك كل ما طلبته في منطقة التحكم الإلكتروني المركزية بالمبنى الإداري الجديد، وهناك بعض الأجهزة سيتم استيرادها خِصِّصِي لَنَا.
- بدأت العملية الجراحية والجميع في حالة تَرَقُّب، بعد ثلاث ساعات طويلة أخيرًا انتهى حسن ومساعدته لمار، خرجا منهكين تماما

بعد أن نجحت العملية حسب تقديرات حسن، ومن المفترض أن تظهر النتيجة خلال الأيام الثلاثة التالية، ذهبوا جميعاً لنيل قسط من الراحة، استيقظ فريد وناجي مبكراً فمارسوا الرياضة اليومية، ثم خرجوا إلى طريق الواحات للقاء مُورّد المتفجرات الذي سلمهم سيارة مغلقة مبردة تحمل في النصف الخارجي منها لحومًا مجمدة، وخلفها براميل المواد المتفجرة الخام، أعطوه الثمن المتفق عليه، أخبرهم أن اللحوم هدية منه، بينما السيارة مسروقة.

سار السائق خلفهم حتى المقر الإداري في أكتوبر حيث سلّمهم السيارة في الجراج، بدأ فريد من فوره في إعداد مستلزمات إعداد السيارات المفخخة والقنبلة التي ستوضع في سيارة همام.

خرجاً معاً مُتخفين وترصّدا سيارة نقل صغيرة مغلقة حتى عثرا على ضالتهما في سيارة تقف قرب مسجد الحصري وقد نزل سائقها لشرب الشيشة على قهوة قريبة.. بعد فتحه السيارة اقترب منه فريد ليسأله عن عنوان في المنطقة الصناعية، تسلّل خلفه ناجي بهدوء وصعقه في رقبته فخرّ مغشياً عليه، وضعوه بينهما في السيارة وابتعدا قليلاً إلى منطقة هادئة وضعوه فيها على جانب الطريق ثم عادا سريعاً إلى المقر الإداري لإخفاء السيارة في الجراج.. صعد ناجي إلى الشقة التي يوجد بها الإداريون المؤقتون فرحّبت به السكرتيرة، ووجد نجيب في انتظاره حسب موعد مسبق، هنّأه على سلامة الوصول، ثم أوضح له ما انتهى إليه الموقف القانوني للقضايا ضد فهد وأعوانه..

"نجيب":

- للأسف هناك شبه مؤامرة تجري في الخفاء، محاولات مستميتة من جهات مجهولة لإنقاذهم، ولكنني ثبتُّ موقفنا وهو قوي أيضًا، وربما تحدث صفقة ما تُرضي جميع الأطراف.
- ومن في ظنِّك الذي يمارس هذه الضغوط؟
- من الواضح أن فهد مُرتبَط بعدة شبكات داخل الحكومة وخارجها، لكن ليذهبوا إلى الجحيم جميعًا، ما يهمنا هو أن نحصل على البراءة.
- ألم يعترف فهد على أحد؟
- حسب ما سمعت فقد اعترف تفصيليًا في إطار صفقة معينة، ولكن كما تعلم فقد مَنَعَ قاضي التحقيقات النشر، ورغم أنني وغيري محامو المتضررين من فهد فإنهم يرفضون أن نعرف ما قاله فهد وسليم وغيرهم.
- وكيف يصمت الإعلام أمام قضية كبرى بهذا الحجم؟
- يا باشا كلها مصالح، احملني اليوم أحملك غداً، لا بد أن أحد الحيتان الكبار متورط في القضية ولهذا يجامله أصدقاؤه.
- ولكن القاعدة لها استثناءات، بالتأكيد هناك إعلاميون لا يُذعنون لهذه الضغوط.

- إعلام الدولة ينطق بلسان الحكومة والنظام لأنه يتبعه مباشرة، الإعلام الخاص يتحرك حسب التوجهات الأيديولوجية لرأس المال الذي يملكه، وسيُذعنون في النهاية لضغوط النظام أو حتى تهديداته، الحلقة مغلقة تمامًا يا باشا.
 - حتى لو أرادوا عقد صفقات، لا مشكلة، المهم هو تبرئة ساحة الجميع.
 - الإجراءات الإدارية لإنشاء المجموعة تسير جيدًا، أُنهينا أربعين موافقة وتبقى مثلها تقريبًا، المال يفعل المستحيل في هذا البلد.
 - خذ من الخزينة مئتي ألف جنيه وأنت خارج لمصاريف إنهاء الإجراءات، وصف حساباتك مع رئيس الحسابات.
- نجيب:

- ألن يكون لي مكتب في هذا المقر الرائع؟
- سبقتني، كنت سأطلب منك أن تستقر هنا معنا.
- رائع جدًا! الآن لا تنقصني سوى السيارة وشقة هنا لتكتمل العملية.
- يمكن أن تأخذ شقة هنا في المقر الإداري مؤقتًا، وسنشترى عدة سيارات لرؤساء القطاعات سيكون لك واحدة منها.
- حقيقة لا أعرف ماذا أقول، أغرقني خيراتكم.

- هذا عمل يا سيد نجيب، ومثلك لن يشبعه شيء، لذلك ما دمتَ أحد رجالنا فسوف تكون حياتك أفضل وأيسر كثيرًا، لا نحتاج سوى الولاء والإخلاص فقط، وأتمنى ألا نرى منك غيرهما.

- يا باشا أنا رهن إشارتكم، ولن يكون لي ولاء لأحد آخر.

خرج نجيب مُتوجِّهًا ناحية رئيس الحسابات الجديد الذي اختير بعناية وعُيِّن لمراقبة الحسابات الظاهرية، طلب منه أن يُدقّق تمامًا في كل قرش أخذه نجيب لكن لا يخفقه، ويرسل له أولًا بأول على الميل جميع التفاصيل.. أنهى يوم العمل ونزل إلى فريد الذي كان قد أنهى تجميع القنبلتين في السيارتين وعلى وشك تجهيز القنبلة الصغيرة.. وقف يُراقب عمله حتى انتهى منه وهو يتعجَّله لكي يلحقوا بهما في مدينة الإنتاج لأنه ضيف البرنامج الرئيسي في قناته، بعد أن يترك السيارتين الملمعتين أمام مكتب مجموعته الإداري وفيلته.. ركب كل منهم سيارة وأوصلها إلى هدفها، عاد كل منهما منفردًا إلى أكتوبر فركبا سيارة ناجي وتوجها إلى مدينة الإنتاج الإعلامي، انتظرا قُربها حتى خرج همام بسيارته، اصطنع فريد حادثًا بسيطًا باحتكاكه بالسيارة الأخرى ثم نزل يسب ويلعن، نزل السائق والحارس الأمريكي لتقييم الموقف فوجداها إصابة خفيفة لا تستحق تحرير محضر، تبادلا السباب واللعنات ثم ركب كل منهما في سيارته.

نظر فريد إلى ناجي الذي ابتسم له احتفالاً بنجاح المهمة، سارا على بُعد مناسب وفي مكان تقل فيه حركة السيارات ليلاً على المحور فجّر فريد السيارة التي ارتفعت في الهواء ثم انقلبت عدة مرات وفي النهاية سقطت من فوق الطريق المرتفع.. صرخ فريد مع ناجي مُحْتَفلين بنجاح المهمة الأولى.. ناجي:

- لقد وضعت القنبلة أسفل مقعده تمامًا حتى لا تكون له أية فرصة للنجاة.

- ستحتفل جهنم بدخوله مُشتعلًا الليلة.

اتصلت حينها لمار تخبرهم أنها قد أرسلت رسالتي تحذير حسب الاتفاق المُسبق بوجود القنابل ويجري حاليًا إخلاء الشركة والمنزل.

انتظر فريد خمس دقائق ثم اتصل بالرقمين في كل سيارة اللذين استخدمهما كبادئ للاشتعال، بعد تأكد حصول الانفجارين دمّرنا الهواتف وقطّعنا شرائح الاتصال، وألقياها من نافذة السيارة، ثم عادا إلى سقارة لمتابعة تطور الموقف.

الفصل الحادي عشر

وصلا سقارة فأخبرتهما لما ر أن حالة استنفار قصوى قد حدثت في الشرطة بعد التفجيرات، وقد وصلوا إلى سيارة همام لكنهم لم يتعرفوا إلى مَنْ فيها بسبب احتراقها بالكامل، ولم يَجْرِ الربط بعد بين التفجيرات الثلاثة فقال ناجي:

- المهم أن نعرف اتجاه التحقيقات بعد أن يجري الربط بينها لو نجحت عملية هاني نريد أن يكون التالي هو القاضي.
- جمعت كل المعلومات اللازمة عن ليلي عامر الممثلة والإعلامية زوجة عادل رمز الدين والتي حصلت ابنتهم على قرنية رائف.
- ثم عرضت على الشاشة صورة ليلي في أعمالها السينمائية وفي برنامج التوك شو الذي تقدمه أسبوعياً فقال فريد:
- أقترح أن تُستدْرَج عن طريق تقديم عرض لإنتاج فيلم سينمائي.

- نختر رواية منشورة تناسب ميولها ونعرض عليها إنتاجها، ثم ندعوها هي وزوجها لسهرة في مكان هادئ وننهي المسألة.
- هل ستخلص منهما يا ناجي؟
- سنصفيهما تمامًا ماديًا.
- أنت تعلم أن اختطاف ليلي سيثير ضجة كبرى.
- الاختطاف ليلة واحدة أو ليلتين، تكون لمار قد حوّلت أموالها واستقرت في أحد البنوك المستحيل تبّعها.
- وهل تعتقد أن شخصًا مثل عادل سيتنازل بسهولة عن أمواله؟
- أغلى ما يملكه أمثال هؤلاء هي حياتهم، وأيًا كان المبلغ المالي الذي سيتنازل عنه، دائمًا ستجد لهم أموالاً سرية، لكن ما يجب أن ننزعه منهم هي عيونهم، وليذهبوا بعد ذلك إلى الجحيم.
- الأفعى تكون خطيرة جدًا حتى بعد قطع رأسها، وتظلّ تبحث طوال الوقت عمّن أصابها.
- الأيام تجري بنا، وأماننا أشهر قليلة لإطلاق التنظيم، لا بد من غلق جميع القضايا العالقة، ما حدث لهام ومن قبله زكريا وسامي النوام واختفاء غادة وزوجها يثير الجميع، سنعتمد أسلوب الضرب السريع المباشر، وسندخل عليهم من باب شهواتهم الوضيعة وخاصة الطمع وحب الدنيا.

"لمار":

- لماذا لا ننتظر ونرى نتيجة تجارب حسن؟ لو نجحت نجندهم لصالحنا.

"فريد":

- تحوّل مواقفهم بصورة لافتة سيضعفهم ويجعلهم تحت المنظار ومحل تساؤل دائم، ونحن نريد صفحات بيضاء نقية لتؤثر في الناس ويكون لها مصداقية، وما نفعله سيخلي الساحة لنا.
- ثورتنا مثل أمواج البحر، سيستمتع بها الجميع في البداية، ثم يحدث الزلزال العظيم، وسيعلو الموج حتى يغطي على كل شيء.

"لمار":

- لقد حدّدت موعدًا اليوم مع ليلى عامر في فندق الماريوت بالزمالك.

فريد ضاحكًا:

- ستتعين معنا اليوم يا أستاذة، مثل ليلى نصف حياتها تقضيها في الماكياج، ولا بد من خداعها جيدًا.
- ما أخبار الدكتور حسن؟
- ملازم لمريضه يا ناجي ويجعله تحت التخدير باستمرار حتى يتقبل الجسم الشريحة.

استعدَّ بعدها ناجي وفريد وغيرًا من معالم وجهيهما، ثم انطلقا للقاء ليلي التي حضرت بعد نصف ساعة من وصولهما ومعها شخص قدمته لهما على أنه مُخْرَجٌ شابٌّ له مستقبل واعد واسمه وحيد شريف فقال ناجي:

- البلد مليئة بالشباب الموهوب.
- "وحيد": أي بلد تقصد يا أستاذ أليير، أليس هذا اسمك؟
- نعم يا أستاذ وحيد، أليس هذا اسمك!
- "فريد":
- وأنا عصمت حتى لا تنسوا اسمي.
- أغفل وحيد محاولة فريد لتقليل التوتر وأكمل:
- كل مَنْ يعيش خارج البلد ويكون نفسه ماديًا ويجد نفسه في مجتمع يحترم آدميته يعود لنا بأحلام الأنبياء في تغيير الواقع.
- "ليلي":
- لهذا السبب لم أكن أريدك أن تحضر أول لقاء، دائمًا أنت ساخن ومتشائم هكذا.
- "ناجي":
- اتركه يا فنانة، هذه هي الحماسة التي نريدها لتغيير المستقبل، لا بد أن تكون رسالته الإبداعية متميزة ومختلفة.

ليلي ضاحكة:

- أنا أتنبأ له بمستقبل متميز في المعتقل.

"وحيد":

- الخوف والتردد والتراجع هو من ضيَّع دم الشباب الثائر في كل مكان.

لاحظ ناجي للمرة الأولى أن الشاب يرتدي كابًا عليه صورة جيفارا وقميصًا عليه قناع فانديتا.

- جيفارا وفانديتا وكلمات ثورية وعلاقات قوية، أنا أؤيد الفنانة، ولكنني أزيد عليها: "لا تفقد الأمل، هناك من يسعى لتغيير هذا العالم فعلاً".

لمعت عينا وحيد وهو يستقبل كلمات ناجي بفهم مختلف، هداً قليلاً وترك المجال لليلي للتحدث.

- أنتم تعلمون ضيق وقتي، لقد طلبتم لقائي من أجل عمل سينمائي تعدون له، ورغم أنني أترك هذه الأمور عادة لمدير أعمالي، فإن الميزانية الضخمة التي جاءتني على الميل أكدت لي أنكم جادون جدًّا، ولهذا حضرت بنفسني ومعني هذا الشاب العبقري.

- باختصار نحن نُجهِّز لعمل فيلم ضخمة عن رواية أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد يجري حاليًا عمل السيناريو والحوار له

من خلال ورشة عمل في عدة دول عربية وأوروبية لنصل إلى أفضل صورة ممكنة.

"فريد":

- ونحن نريد في البطلة أن تكون شابة ولها شعبية ووجود خارج الحقل السينمائي؛ ولهذا رشحنك.

- وهل رشّحتهم مخرجًا للعمل؟

"ناجي":

- الحقيقة أننا رشّحنا أكثر من مخرج عالمي من فرنسا وإيطاليا، لكن لم نستقرّ على أحدٍ بعد.

"وحيد":

- أنا مُستعدُّ أن أعمل مساعدًا لو كان المخرج عالميًا.

- سنسافر بعد يومين لاستكمال التعاقد مع الكاتبة أحلام في فرنسا قبل عطلتها السنوية التي لا تحب أن تلتقي فيها أحدًا.

- أنا أعرف الرواية الرائعة التي احتلت عرش المبيعات مدة طويلة، وأعرف قصة نزار معها، وقد بدأت في التحمُّس جدًّا قبل أن أقرأ أي شيء، ما رأيكم في غداء عمل غدًا هنا؟

"فريد":

- حقيقة لقد مللنا طعام الفنادق أستاذة ليلي.

- خشيتُ أن أدعوكم إلى المنزل فترفضون، غداً الغداء عندي في المنزل في مدينة الشيخ زايد بأكتوبر.

"وحيد":

- أنا طبعاً لن أكون موجوداً، لا أحبُّ جو البيوت.
ليلي ضاحكةً:

- أنت غير مدعو أصلاً.

"ناجي":

- رائع جداً! اتفقنا.

استأذنت ليل في الخروج لقُرب موعد برنامجها، قام معها وحيد لا إرادياً فحدثه ناجي:

- أأنت مرتبط معها بموعد يا سيد وحيد؟

وحيد:

- الحقيقة ليست لديّ مواعيد.

- هل يمكن أن تجلس معنا لتتعرف أكثر؟

استأذنت ليل بينما بقيَ وحيد الذي أكملَ حوارهِ الهادئ مع ناجي وفريد:

- ما رؤيتك للوضع الحالي الذي يمرُّ به العالم؟

- لقد ذهبتُ إلى دول كثيرة دراسةً وسياحةً، ولي أصدقاء في معظم دول العالم، أتحدّثُ الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية وبعض الإسبانية والبرتغالية، ورغم ذلك لا أفهم ما يحدث ولا أحد من أصدقائي يفهم أسباب الجنون الذي أصاب العالم رغم تعدّد دراساتهم وثقافتهم.

"فريد":

- من الغريب أن يكون شابٌ مثلك مثقفٌ ومتعلمٌ ومن الواضح أنك من أسرةٍ ثريةٍ وتشغلُ نفسك بمشكلات العالم بل تتبنّى الاتجاهات الثورية وتسعى إلى الحرية.

- وما قيمة المال والعلم والثقافة والجمال وأنت تعيش في سجنٍ كبير كل شيء ممنوع فيه أو موضوع تحت المراقبة؟ نحن تابعون أغنياء وفقراء طوال الوقت، في مجالنا مثلاً وفي الإعلام عموماً لا أحد يستطيع فعل ما يشاء ولا التعبير عن قضايا مجتمعه بحرية.. بالمناسبة هذا لا يقتصر فقط على مجتمعاتنا ولكن يشمل العالم كله بنسبٍ مختلفة، تشعر أن هناك يدًا خفيةً تحرك الأحداث.

"ناجي":

- وهل كل أصدقائك يشعرون بالشيء نفسه؟
- لدينا صفحة سرية على الفيس بوك نتحاور فيها وتتقابل أفكارنا وتوجهاتنا، تفضّل بزيارتنا وستعرف مقدار التوافق

الذي أتحدّثُ عنه، هناك ثورة صامتة بين شباب العالم المثقف على الوضع الحالي.

- الفيس بوك خاضع للمخابرات الأمريكية، ألا تخشون على أنفسكم؟

- نحن نتحدّثُ عن الحرية السلمية والحقوق البشرية لكننا لم نطرح قط أي أفكار دموية، نحن نريد أن نرتقي بالفكر الإنساني ونفعل ما طلبته الأديان السماوية بتحريم القتل رغم أنني لا أوّمن بها.

"فريد":

- مُلحدٌ إذن.

- وما فائدة التعلّق بدين ما وقد وَصَلْنَا مُشَوَّهًا يستغله الأقوياء للتحكّم في الضعفاء ويرفعونه سلاحًا مُوجَّهًا لكل مَنْ يُعارِضُهم، اليهود يفعلون كل جرائمهم باسم الدين ولإعادة بناء الهيكل المزعوم.

المسيحيون يهاجمون كل مَنْ يُشكّكُ في ديانتهم وتاريخهم الدموي مليء بالدماء والحروب، وبين فصائلهم السبعة حروب لا تنتهي على صحة العقيدة، وما يحدث في أيرلندا وصربيا والجبل الأسود ليس بعيداً عنا، ولن ننسى مقولة السفاح بوش بعد هجمات سبتمبر ٢٠٠١ أنه سيُشعل حرباً صليبية الغرض منها في النهاية عودة المسيح.. أما الإسلام

فحدث ولا حرج، نحن نعيش اليوم حروباً تُستخدم فيها وسائل بشعة في القتل بلا رحمة، والغريب والعجيب أنهم يشابهون المسيحيين في قتال بعضهم البعض، سنة مع سنة وشيعة مع شيعة وسنة مع شيعة، وتجد السنة ينقسمون إلى سلفيين ومتحررين ومتشددين وعشرات التوجّهات، لا يتفقون على نقطة واحدة ويسارعون بالتكفير والطرْد من الجنة وكأنهم هم من خلقوا العالم، والشيعة منقسمون إلى فصائل متناحرة يرفعون راية القتال عند كل خلاف.

"ناجي":

- ولكنها كلها تفسيرات خاطئة للأديان، الله - عز وجل - هو الخالق وهو من بعث الأنبياء ورضي بالأديان التي تدعو كلها إلى عبادته مع رفع راية الإنسانية وضبط العلاقات بين البشر.
- وهذا ما نسعى إليه، نسمو فوق كل هذه الخلافات ونعبد الله دون التقيّد بأي دين.

"فريد":

- تدعون إلى دينٍ جديد؟
- بل ندعو إلى تجاوز الأديان في العلاقة بخالق الدنيا.

"ناجي":

- فلسفة جديدة، لكنكم مهددون بالاتِّهام بالكفر والخروج على كل الملل وهذه عقوبتها القتل في كل دين.

- القتل، القتل، القتل.. مَنْ الذي أعطى بشرياً الحق في أخذ روح بشري آخر؟ هذا عبث وكذبٌ على الخالق.
 - لا ترفع صوتك ولا تتحدث مع أحد هنا في مثل هذه الأفكار، وأنا رأيي أن ما تقوله هو نوع من التطرف والمغالاة، لا ترفض الآخر وما يعتقده ويؤمن به، وأظنُّ أن سبب نجاح العالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية في تجاوز الكراهية وبناء الحضارة الحديثة هو الابتعاد عن هذه النقطة بالذات.
- "فريد":

- رغم أننا متيقنون من وجود اليد الخفية التي تُحرِّك الأحداث في العالم، فإن الحد الأدنى من العدالة حقق الازدهار والتطوُّر والسلام في المجتمعات الغربية، مجتمعاتنا تعاني عدم العدالة، وهذا ما نسعى لتغييره في المرحلة القادمة.
- وحيد متعجباً:

- مَنْ أنتم؟ وماذا تقصد بالتغيير؟
- "ناجي":

- اسمع يا سيد وحيد، ستكون لنا لقاءات مُتجددة في المرحلة القريبة القادمة، سنسافر غداً بعد لقاء ليل، ولكن سيصلك منا اتصال قريباً جداً.

عاد فريد وناجي إلى سقارة للإعداد لزيارة ليل، التقتهم لمار بالأخبار العاجلة، اغتيل سامي النوام في السجن واتفق سري بين قيادات ومسؤولين على إسقاط جميع القضايا التي عمل عليها فهد لتهدئة العمليات العنيفة ضد هذه المنظومة المغلقة، فقال ناجي:

- يلعبون على المكشوف إذن.

"فريد":

- والأهم أنهم في حالة رعبٍ كامل الآن.

- لم يروا شيئاً بعد.

دخل عندها حسن مسرعاً يدعوهم للذهاب معه إلى غرفته المجهزة، أسرعوا معه فوجدوا هاني قد أفاق مُدَّداً على السرير المُجهَّز وفي حالة تُشبهُ الذهول فقال حسن:

- لقد نجحت العملية تماماً، انظروا إلى شاشة العرض.

وجهوا نظرهم جميعاً إليها فأكمل حسن حديثه:

- كما تشاهدون، هذه خريطة بيانية تُبين جميع ما كان مُسجلاً في ذاكرة هاني، للأسف لا يوجد تفسير بعد لنوعية مواد الذاكرة، لكن الذي أريد أن أقوله إن شريحتنا أو الرقاقة الإلكترونية - وكلاهما تعبير صحيح - تحتوي على مُكوّنات ذاكرة هاني السابقة كلها، نحن مَنْ يتحكّم الآن في كل شيء داخل عقله.

"ناجي":

- رائع جدًا! ولكن ما آلية التحكم في الذاكرة؟ وكيف سيجري توجيهه بعد ذلك؟
- في هذه المرحلة سنضطرُّ إلى التعامل معه بالقطعة، بمعنى أن نقسم هذه الخريطة إلى مقاطع وندخلها في عقله ونرى عن أي مرحلة في عمره مسئولة، وهذا سيستغرق عدة أيام.
- هل يمكن أن نضيف إلى ذاكرته أحداثًا من عندنا؟
- نظريًا ممكن، ولكن يجب أن تُعالج هذه المعلومات وتُنقَّى وتُجهَّز، وبعد أن نتعرَّف المراحل الزمنية لخارطة ذكرياته، من الممكن أن نستبدل مرحلة بأخرى، ومن المهم جدًا جدًا أن تدخل الذاكرة الجديدة بأحداث منطقية في مكانها العمري الصحيح حتى لا يحدث خللٌ عقلي أشبه بالجنون.
- وما آليات تكوين هذه الذاكرة الجديدة؟
- نفهم عمل الشريحة جيدًا أولاً، لا بد من تغذية الكومبيوتر المركزي بالمعلومات المطلوب ضخُّها في الشريحة، ثم إرسالها إليها، وبعدها تفعيلها بالتدريج.
- هل سنحتاج إلى مُتحكِّمٍ لكل شريحة؟

- على حسب أهمية صاحب الشريحة وكمية المعلومات التي ستُضخُّ في شريحته، لكننا في حاجة إلى مراقبة على مدار الساعة لمعالجة أي خلل، فما زلنا في المراحل التجريبية.

"فريد":

- هل يمكننا إجراء عملية تركيب شريحة أخرى؟

- أعطوني يومين فقط لأبني مع لمار نموذجًا للذاكرة صناعية بعد أن نترجم خارطة الذاكرة زمنيًا، وسنرى إذا أمكننا تطوير نموذج تحكُّم سلوكي أيضًا.

"ناجي":

- رائع جدًا، أرجو أن تضغط الوقت قليلًا.

- أنا لا أنام تقريبًا، وحقيقة لولا عبقرية لمار لفشل كل شيء.

للمرة الأولى يرى ناجي احمرار وجنتي لمار، ابتسم وهو يأخذها من يدها إلى الغرفة المركزية ومعهما فريد:

- هل جمعت المعلومات حول فيلا ليلي؟

- منطقة الشيخ زايد منطقة سكنية راقية، فيلتها موجودة في الربوة وهي منطقة تجمع الإعلاميين ورجال الأعمال، بالطبع مؤمنة تمامًا وهناك عدة نقاط أمنية ثابتة، الجيد أن الفيلا والمنطقة كلها بها شبكة كاميرات استطعتُ اختراقها.

أظهرت على الشاشة الكبيرة المنطقة ثم الفيلا وجميع المداخل والمخارج، اتضح منها وجود حارس خاص للفيلا وطاهٍ وعدة خادومات تبدو إحداهنَّ أجنبية.

"فريد":

- سنُنهي كل شيء في اليوم نفسه وداخل الفيلا ولكن السؤال: كيف سنتحكم في بقية العناصر؟
- أنا أقترح استخدام غاز السارين.

"ناجي":

- غازات الأعصاب شديدة الخطورة يا لمار وسريعة الانتشار ولا يمكن السيطرة عليها.

"فريد":

- سنقسم مراحل وجودنا داخل الفيلا، تعدُّ لنا لمار فيلماً وثائقياً حول أحلام مستغانمي، بعد وصولنا نطلب الجلوس في أي غرفة مغلقة بها تلفاز مجهز لاستقبال الفلاشة ثم ننفر بالموجودين معنا ونصعقهم، وبعد ذلك كل من يدخل الغرفة نصعقه ونُقيِّده في أي مكان خارجي، حتى يتبقى الحارس والسائقان وهما موجودان على الدوام في الخارج، نجعل أحدهما يطلب من السائقين الرحيل، والحارس بطبيعة الحال لا يدخل إلى الفيلا أبداً، وغداً بالمناسبة العطلة الأسبوعية الخاصة بليلي فلن يزعجها أحد.

"لمار":

لا تقلق، سأتحكم في الرسائل وأسجل رسالة ردًا على الاتصالات بأنها لن ترد قبل اليوم التالي.

"ناجي":

- جيد، ويجب ألا يستغرق كل ذلك أكثر من نصف ساعة، وسنهددهما بابتئهما الوحيدة إذا لم يتعاوننا معنا.

استمرًا في عمليات التجهيز ووضع الاحتمالات المختلفة، واتفقوا أن تتابعهم لمار بصفة مستمرة عبر أجهزة التحكم المتصلة بالنظارة والهاتف المحمول والقلم المعلق في قمصانهم.

ذهبوا إلى ليل في الموعد بسيارة أجرة بعد أن ترك ناجي سيارته في موقف الهاير ماركت القريب منهم، دخلا بعد أن أبلغا الحارس بشخصيتهم فوجدا ليلي في انتظارهما، رحبت بهما ثم انضم لهما زوجها، بعد حوار سريع دعته إلى غرفة السفرة حيث كان طعام الغداء مُعدًا، فوجئا بنزول ابنة ليلي لتناول الطعام، فتاة صغيرة لا تتعدى السابعة من العمر.. توقّف ناجي عن الطعام ولاحظه فريد الذي أمسكه من يده فوجدها شبه متجمدة، نظر إلى عينيه فكانتا مثبتتين على عيني ابنة ليلي، ثم لاحظ دمعة على وشك الفرار من جحيم صراعاته، نكّزه ليستعيده من عالمه.

بعد ثوانٍ مرت عليه كالدهر لاحظ عادل تجهّم ناجي وتوقّفه عن تناول الطعام فحدثه:

- ماذا بك يا خواجه؟ ألا الطعام يُعجبك؟

انتبه ناجي أخيراً فأجابه بعد أن سيطر على ثورة سامح داخله وهو يرى عيني صغيره رائف اللتين كانتا أكثر ما يميزه:

- أعتذر، فابتكم تُذكّرني بابني، جمال عينية ولونهما وشكلهما نفسه.

شعر بالارتباك في تلثم ليلي وهي تحببه:

- حَفِظَهُ اللهُ لَكَ.

أكملوا طعامهم سريعاً بعد أن توقفوا تقريباً عن تناوله، ثم انتقلوا إلى البهو الرئيسي لتناول مشروبات ساخنة، بعدها طلب فريد التوجّه إلى قاعة مغلقة لمشاهدة الفيلم الوثائقي.

دخلوا وبدأ العرض بعد أن أرجعت ليلي ابنتها إلى غرفتها وعادت إليهم.. بعد عدة دقائق وبإشارة بينهما صعقا ليلي وعادل في نفس الوقت فغابا فوراً عن الوعي.. أفاقا بعد قليل ليجدا نفسيهما مُقيّدين بإحكام، اجتاح الغضب عادل بطبيعة شخصيته الشرسة بينما عجزت ليلي عن الحديث من وقع الصدمة، أسرع فريد فضرب عادل بعنف على وجهه ثم صعقه صعقة خفيفة ليوضح له أنه تحت السيطرة الآن وعليه أن ينسى مَنْ يكون وقال ناجي:

- أنتما الآن في منتصف المسافة بين الأرض والجحيم، والخيار لكم، أُنْجَبَانِ الذهاب إلى الجحيم؟ لن تُكَلَّفَنا شيئاً، هي مجرد عملية شقّ

للرقبة أو طعنة في القلب، إن أردتما البقاء في الأرض لاستكمال
فسادكما وإفسادكما يجب أن تُلبّيَا لنا جميع طلباتنا.

انهارت ليل في بكاء ممتزج بالرعب، اقترب منها فريد:

- لماذا تبكين أيتها القوية العنيفة صاحبة السلطة والسلطان، بطلة
سينيائية ونجمة تليفزيونية وناشطة سياسية، ماذا تركتِ
للآخرين؟ والآن تبكين بهذا الضعف المهين! لا لا لم أكن
أتوقع ذلك.

أراد عادل الحديث ففكّ ناجي الشريط اللاصق قليلاً.

- لن تخرجنا من هنا أحياء أيها الأغبياء، كل ما تفعلونه الآن
مرصود بالكاميرات وهناك مَنْ يراكم الآن، اهربوا قبل أن
يقبضوا عليكم.

ناجي مبتسماً:

- لا، حقيقة شهم، لا تقلق علينا، نحن نسيطر سيطرة كاملة على
الموقف، والكاميرات تُسجّل لنا فقط ما يحدث بعد أن قُطِعَ
الاتصال الداخلي.

نظر عادل إلى ليلي صائحاً:

- أيتها الغبية، قلتُ لك إن الأمر مُريب، لكن طمعك وجنونك
وضعانا في هذا الموقف الحقيق.

لم تتوقّف ليل عن البكاء، فنظر عادل على غضبه إلى ناجي وفريد:

- هيا، ماذا تريدان؟ ليس عندي وقت لهذا الهراء.

أعطاه فريد هاتفه:

- اتصل بسائقك واطلب منه الرحيل مع سائق الهانم، ثم اتصل بمدير مكتبك وألغ كل مواعيدك اليوم، جلستنا ستطول قليلاً، أي خطأ أو إشارة غير طبيعية سنقتلك أنت وزوجتك فوراً، ثم سنحرق الفيلا بكل من فيها.

نفذ عادل طلباتهم بغضب والسكين على رقبته، ثم طلب منه ناجي أن يدعو كل من في المنزل واحداً تلو الآخر، كل من يدخل كانوا يستقبلونه بالصاعق ثم التقييد الجيد لليدين والقدمين وتكميم الفم والعينين حتى لم يتبق سوى الحارس الذي طلب منه عادل أن يعتذر لأي ضيف لأنه غير موجود.

برمجت لمار التي تُراقب الموقف كله هاتفها ليلى وعادل على الإجابة برسالة أنه سيجري الاتصال في وقت واحد لعدم التفرغ.

وضع ناجي وفريد العاملين في الفيلا في غرفة مجاورة بعد أن أعطياهم الأمان لو ظلوا هادئين، ثم صعد فريد إلى الصغيرة وطلب منها عدم مغادرة غرفتها أبداً وأغلق عليها من الخارج وعاد إلى غرفة المكتب وأغلقها من الداخل.. ناجي:

- جميلة ابتكم الصغيرة.

"عادل":

- أيها المنحرف الحقير، لو لمستها سأقطعك.
 - كل شيء في يدك أنت والجميلة الشهيرة.
 - ماذا تريدون؟
- "فريد":

- اعترافات كاملة على كل عملياتك القذرة في كل النواحي المالية والجرائم التي ارتكبتها للوصول إلى هذه الثروة، وتحويل كل أرصدتك السرية في البنوك الداخلية والخارجية إلى الحسابات التي سنعطيك أرقامها.
- "ناجي":

- ولا تنس الأموال الموجودة في الخزانة السرية بالفيلا هنا.
- عادل ضاحكًا في جنون:
- لن تستطيعوا صرف قرش واحد منها.
 - لا دخل لك بها نستطيعه.

- أحضر له جهاز الكمبيوتر ومعه لمار تُراقبُ الموقف، كالعادة وضع أرقامًا يسهل تتبعها وتعطي إنذارًا عند استخدامها، أخبرت لمار ناجي بالأمر فأحضر سكينًا وسار به على رقبة عادل حتى جرحها وهو يصرخ من الرعب:
- لقد أعطيتكم ما تريدون.

- ألا تلاحظ أننا خواجهات ومن ثمَّ لا بد أن تفهم أننا لنا أعوان في جميع دول العالم، ومثل أنك تعرف مسئولين كبار في عدة دول، فنحن أيضًا نعرف الأعلى منهم، المرة القادمة لو أعطيتنا أرقامًا شَرَكِيَّة سنقتلع عيني ابتك بعد أن نصور لك عملية قتل أبنائك من زوجتك الأولى وحرقهم سواء الموجودون هنا أو الذين يكملون تعليمهم بالخارج.

للمرة الأولى ارتعد عادل بعد أن تأكَّد له إلمامهم بكل شيء، حول الأموال التي تعدت المئة مليون دولار إلى أرقام الحسابات الجديدة التي أعطته إياها لمار، تختار كل مرة عدة دول مختلفة بعد أن فتحت خلال الفترة الأخيرة أكثر من مئة حساب في مئة بنك مختلف في أكثر من ثلاثين دولة، تظلُّ تنقل الأموال بين حسابات في أكثر من ألف بنك حول العالم حتى يستقر المبلغ في عدة حسابات لا يمكن تتبعها بعد أن تضع خلفها حائط صدٍّ متعدد المهام يفتت ويشتت كل من يحاول التتُّع.

"ناجي":

- أين بقية أموالك؟ نحن نعلم أنك تملك أكثر من عشرة مليارات.

- الباقي شركات ومصانع وأموال في حسابات الشركات لا يمكن تحويلها.

"فريد":

- ستمضي لنا على هذه العقود، تباع فيها كل ممتلكاتك العينية بتفاصيلها.

قرأ عادل العقود وذهل من دقة التوصيف، اضطر إلى إمضائها بعد أن رأى ناجي يعد السكين مرة أخرى رغم خوفه من قتلها له بعد انتهاء العملية.. اتصلت لمار بفريد تخبره أن هناك زائراً يسأل عن عادل لكن الحارس أعاده، والهاتفين لا يتوقفان عن الرنين تقريباً، وتحشى أن يشكَّ أحد في رسائل الرد فيحضر بنفسه.. أسرع فريد بالبحث عن الخزينة التي أرشدهم إليها عادل، وجدها مليئة بالأوراق والمستندات ومبلغ مالي بعدة عملات، بحث مع ناجي في غرفة المكتب وفي كل الأماكن المحتمل وجود أوراق بها، حصلوا على ما يمكن الوصول إليه ثم اجتمعا مرة أخرى فصاح فيهما عادل:

- ما أنتم إلا مجموعة من اللصوص، عصابات دولية تُهاجمُ الشُّرفاء، لكنني أحذركم، أنا أعرف مسؤولين كبار في دول غربية وشرقية، وكثير منهم شركائي في أعمال، حتى لو قتلتموني، سيطاردونكم ويدمرونكم.

"فريد":

- ونحن مخابرات أكبر دولة في العالم، ومن يقف في طريقنا سنمسحه من فوق وجه الأرض.

"ناجي":

- لماذا تشعرون بكل هذه القوة والتسلُّط والجبروت؟ هل هو المال أم العلاقات؟ أم تراه التحالف مع الشيطان؟ هل تعرف الشيطان يا سيد عادل؟

كانت ليلي تحاول الحديث، أزال ناجي غطاء الفم فصرخت:

- اسكت يا عادل، أيها الغبي، ألم تفهم بعد؟ تتهمني أنا بأني السبب في دخولهم المنزل، وهم قادمون أساسًا من أجلك، أين بعث السلاح هذه المرة ولمن؟ حذرْتُك عشرات المرات من أن تجر قلمي في أعمالك القذرة.

نظر فريد إلى ناجي ثم حدث لمار عبر الهاتف لمفتوح والمتصل بأذنه عبر سماعة لا سلكية:

- هل سمعتَ ما قاله؟

- هذا سيغير كل شيء، هذه المعلومة غير مُتداوَلة، ولذلك أظنُّ أنكم الآن في خطر شديد.

"ناجي":

- أشكرك شكراً جزيلاً سيدة ليلي على تعاونك معنا، الحقيقة أن جميع الوثائق التي أخذناها لا يوجد فيها شيء عن هذا الأمر، وسنضطر آسفين إلى حرق المكان بما فيه ومن فيه، وللأسف الشديد ستذهب ابتك بعينيهما الجميلتين ضحية هذا الحريق.

صرخت ليلي:

- لا أريد أن أموت، ولا أريد لابنتي أن تموت، أرجوكم أخبرهم
يا عادل بما يريدونه.

"عادل":

- أيتها المجنونة الغبية، لن أخبرهم بشيء.

"لمار":

- الاتصالات لا تنقطع، يجب أن تخرجوا فوراً.

صعد ناجي سريعاً فأحضر الصغيرة وفكّ وثاق العاملين ثم
اصطحب عادل وليلي وجهازي الكمبيوتر الشخصي لهما في سيارة ليلي
بعد أن صعقهما مرة أخرى، خرجا من البوابة بعد أن فتح الحارس
تلقائياً لرؤيته السيارة، بعد أن ابتعدا قليلاً ففجر فريد غرفة المكتب
وغرفة الصغيرة ليعطي الجميع فرصة ليتعدوا، أخبرته لمار أن كل من في
الفيلا أصبح خارجها ففجّر جراج السيارات وبه أربع سيارات فاخرة
لتنشر النيران في كل شبر من الفيلا، استمرت لمار في متابعة الموقف
عبر ترددات أجهزة الشرطة.. أنزلوا الصغيرة عند الهاير مول وطلبوا
منها أن تنتظر خالتها ثم أخذ ناجي سيارته وسار خلف فريد حتى
المنطقة المعتادة فانحرفوا قليلاً عن الطريق، فنقلوا ليلي وعادل إلى سيارة
ناجي، ثم أشعلوا النار في سيارة ليلي.. وصلوا إلى سقارة فأخبرتهم لمار
أن الأخبار بدأت تتوالى عن حريق هائل في فيلا الإعلامية الشهيرة،
فقال ناجي:

- الملف الذي أسقطناه عمدًا أمام باب الفيلا سيوضح أنها عملية خلاف بين تجار السلاح.
- وسيوضح أيضًا أن ليلى هربت خوفًا من بطشهم.
- والملف الآخر الذي تركناه مع ابنة ليلى مُوجَّه لخالتها ويطلب منها رعاية الصغيرة لأنها اضطرت للهروب خوفًا على حياتها من تجار السلاح، وطلبت منها أن تذهب إلى الإعلام وترجوهم أن يبتعدوا عن ليلى لأنها لا ذنب لها بمشكلات زوجها في العمل.

"لمار":

- هذا سيُوجَّه التحقيقات كلها في اتجاه واحد ويقلب البلد بحثًا عن أولئك التجار.

"ناجي":

- وسيتبرأ الجميع من علاقتهم بعادل وليلى.

"فريد":

- علاقات خطيرة جدًّا، يغامرون بكل شيء من أجل المال، كيف يستطيع الإنسان أن يعيش مُهدَّدًا طوال الوقت! شيء لا يُصدِّقه عقل.

- لا منطق ولا عقل في كل ما يحدث في هذا العالم المجنون.

دخل عليهم حسن يسأل عن سِرِّ كل هذه الجلبة:

"لمار":

- هل تثق بنا يا حسن؟
 - لو لم أثق بكم ما سلمتكم حياتي ومستقبلي.
 - ما رأيك في تغيير الواقع الذي نعيش فيه؟ ما رأيك في محاربة الظلم والفساد في هذا العالم؟
 - لا أفهم شيئاً يا فريد.
 - نحن نعرض عليك أن تكون صقراً وتخلع ريش الحمامة.
- حسن باسمًا:

- منذ البداية وأنا أشكُّ في كل شيء يا ناجي، أريد أن أفهم أولاً، وبالتأكيد أنا معكم.
 - نحن نؤسس لتنظيم عالمي له أهداف متعددة نصوغها الآن، وفي مرحلة التأسيس هذه نصفي بعض الحسابات القديمة مع من أفسدوا علينا حياتنا، ستشرح لك لمار الخطوط العريضة للأمر، ثم نلتقي في المساء.
- نزل ناجي مع فريد لمتابعة العمل في المنشآت الجديدة بعد أن أزالا الماكياج وبدلا ملابسهما.
- أخبر صبري ناجي أن هناك عشرة فدادين جديدة معروضة للبيع، رحّب بالأمر وطلب منه تحديد موعد مع المالك، التقى المهندس وليد وتابع معه العمليات المتعددة التي تجري في الوقت الحالي.

اتفق معه على اللقاء في اليوم التالي في أكتوبر لاستلام مكتبه الجديد والاتفاق النهائي على طريقة العمل، عاد له صبري وأخبره أن صاحب الأرض في انتظارهم.. ذهب له ناجي وفريد ومعهم صبري.. بعد التحية الأولى بدأ الحديث المباشر حول السعر، طلب صاحب الأرض نصف مليون في الفدان، قام ناجي مع فريد يريدان الخروج، أسرع صبري يستبقيهما. عادا استجابةً لدعوة صاحب الأرض للتفاهم فقال ناجي:

- يا سيدي نحن مسئولون عن استثمار أموال كثيرة، لا يمكن أن نشترى شيئاً بضعف الثمن إن لم يكن أكثر.

صاحب الأرض:

- المنطقة كلها تتحدث عن المشروع الضخم الذي تنشئونه هنا، وهذه الأرض هي الوحيدة المتاحة للبيع.

"فريد":

- يا سيدي هذا فرع إداري لشركة عالمية ونحن مجرد موظفين فيها، ثم إن أرضك تقع في المنطقة الخلفية لنا ولا أظن أن أحداً سيشتريها بأي ثمن غيرنا، الطريق الوحيد الموصل لها ضيق وغير ممهد.

صاحب الأرض:

- وهذا في صالحكم لكي تحفروا بهدوء بعيداً عن المتطفلين وعيون الحكومة.

"فريد":

- نحفر لماذا بالضبط؟

نظر صاحب الأرض إلى صبري بتعجب ثم قال:

- بيني وبينكم، ألا تبحثون عن الآثار؟

ابتسم ناجي قائلاً:

- مَنْ الغبي الذي أفهمك ذلك؟

ثم نظر إلى صبري مُتوَعِّداً.

ارتعد صبري:

- ليس لي دخل في ذلك، كل مَنْ يحفر هنا يظنون أنه يبحث عن آثار.

- والحقيقة أنه يوجد آثار في أرضي.

"فريد":

- ولماذا لم تستخرجها؟

- حاولنا كثيراً، لكن المعبد مرصود عليه جُنُّ يُغْرِق كل مَنْ يقترب منها.

ناجي ضاحكاً:

- ولما حاولت أنت وغيرك وفشلتم بسبب هذا الجن الذي تدعونه، ما الذي يجعلك تظنُّ أننا متهمون بمثل هذا الأمر؟

- من الواضح جدًا أنكم مختلفون، طريقتكم في الحفر وسعيكم لتملك الأرض هنا يدل على شيء مختلف.

"فريد":

- لا دخل لأحد بما نفعله، لماذا تشغلون أنفسكم بالآخرين؟ لقد قلنا لك إننا لا نهتمُّ بما تحت الأرض، يهمنا ما فوق الأرض يا أخي، وهذا عرضنا النهائي، ربع مليون للفدان، اقبله أو ارفضه، ليس عندنا وقت.

- ثلاثمائة ألف نهائي.

"ناجي":

- ونحن قَبِلْنَا، ولعلمك الخاص حتى تنقل للآخرين، نحن نؤسس لعمل مجموعة تشتمل على مصانع وشركات تصدير مختلف السلع، وسنبنِي مدارس وجامعة كبرى تُركِّز على أطفال المنطقة، نحن نهتمُّ بما فوق الأرض ولا يشغلنا ما تحتها.

اتفقوا أخيرًا على الثمن والاستلام الفوري، عادوا إلى وليد حيث طلب منه ناجي عمل تصور كامل لتأمين المساحة كلها بسور واحد مع رؤية مستقبلية للتوسُّعات فوق الأرض وتحت الأرض.. عاد ناجي مع فريد إلى الفيلا، بمجرد دخولهما وجدا حسن يمد يده لهما:

- أشكر لكما إتاحة الفرصة لي للمشاركة في صناعة مستقبل العالم يا سيد ناجي.

- أنت تتنازل عن حياتك ومستقبلك لصالح الهدف الأسمى.
- سأضحى بحياتي من أجل هذا الهدف.
- مرحباً بك بيننا يا دكتور، ستكون مسؤولاً مع الدكتور وائل إذا قبل الانضمام إلينا عن تطوير البحوث في القطاع الطبي بجميع تفرعاته.
- بالطبع وائل سيقبل، ومن لا يقبل المساهمة في إحداث أي تغيير ممكن؟ التاريخ كله تغير بفعل أفكار متعاقبة لأشخاص أرادوا التغيير وسعوا له، من بداية الوجود الإنساني، من قتل قابيل لهابيل حقداً ورغبة في تغيير قدره، كل حضارة بُنيت على فكرة، كل تطور كان فكرة فلسفية حولها مؤمن بها إلى حقيقة.
- تعجبني هذه الحماسة يا حسن، لم تخطئ نظرتي فيك.

يا فريد:

- شاء لنا القدر أن نُؤكّد في بيئة محبّطة تابعة لا تؤمن بالتغيير، استكانت لتتسول ما يوجد به الآخرون رغم توافر القدرات المالية والعبقريّة العلميّة، فإن كل الطرق مغلقة وكل العقول المسؤولة محبّطة ومحبّطة، ننحت في الصخر لنبني فكرة بدائية سبقنا إليها العالم منذ عشرات السنين، الشريحة التي نحتفل بها اليوم في ظروف بالغة الصعوبة وبإمكانات محدودة جداً يعمل عليها الغرب من بعد الحرب العالمية الأولى وصرف عليها المليارات وبنى لها معامل فوق الأرض وتحت الأرض، لا يمكن أن نعرف أين وصلوا بها.

- هل من الممكن أن يكونوا وصلوا إلى طريقة ما للتحكم عن بُعد؟
 - لا أظن ذلك يا سيد ناجي، لكنني متأكد أنهم وصلوا إلى أبعاد خيالية في التحكم في السلوك الإنساني.
 - نحن سنبنّي نموذجًا في التحكم خاصًا بنا، ولخدمة أهدافنا سنؤسس مجموعة علمية متكاملة تبدأ من سن الحضانة وستكون مفتوحة لمن يتعدى اختبارات كعينة سيتم نشرها سنويًا، وفي الوقت نفسه سنؤسس جامعة للعلوم والتكنولوجيا يدخلها كل من عنده فكرة مختلفة أو متفوق علميًا بما يتوافق مع معاييرنا.
 - تقريبًا مثل هذا النموذج موجود في الجامعات الألمانية كما أخبرني وائل.
- "فريد":
- ولهذا فإن ألمانيا رغم الاحتلال الأمريكي لها أقوى قوة علمية في العالم تقريبًا.
- "لمار":
- مرحبًا بك يا دكتور حسن بيننا، أريد أن تنتقل إلى جدول الأعمال لو تسمحوا لي.

أشار لها ناجي لكي تكمل.

- الموضوع الأول يتعلق بطريقة التعامل مع الدكتور هاني بعد نجاح عملية تركيب شريحة التحكم وقراءة ذاكرته عن طريق تفسير الخطوط البيانية التي قام بها الدكتور حسن.

- وهل أُعيدت الذاكرة إليه؟

- تمت إعادة الأجزاء الخاصة بدراسته واحترافه الطَّبِّ، سنُدخل له ذاكرة انتهاء خاصة بمرحلة الطفولة تجعل انتماءه بالكامل لكيان سقارة، وتم عمل مداخلات لنموذج الصقر الحارس كمتحكم أساسي في سلوكه ومُوجِّه لتفكيره وهو النموذج الذي أعدته لمار وسيتم تكراره في جميع عمليات التحكم القادمة.

"فريد":

- جميل، إذن نستطيع أن نقول إن الدكتور هاني تحت التحكم الكامل.

- لقد بنينا برنامج تحكُّم عن بُعد، ونستطيع أن نقول نعم، هو تحت التحكم الكامل الآن، سيفيق من غيبوبته الصناعية لا يعرف في الدنيا سوى برنامج الصقر المُتحكَّم، سيوجهه عن طريق ما يشبه أحلام اليقظة، وسيفعل كل ما يُؤمَر به دون تردد.

"ناجي":

- رائع جدًا! سنوجه للعودة إلى مستشفى النجوم، وبصفته السابقة نائبًا للمدير العام سيتولى فورًا منصب المدير بالإنابة، ومن خلاله سنُوجّه بطريقة مباشرة جميع العمليات القادمة دون أن يظهر في الصورة.

- وكيف سيرر غيابه الذي طال عدة أشهر؟

"لمار"

- كان في خلافٍ مع غادة ولهذا انسحب وقضى فترة استجمام بعيدًا عن العمل، وصله ميل يطلب منه العودة إلى العمل من المالكين الجدد للمستشفى فعاد من فوره.

- وهل أرسلت له الميل؟

- ميل مع طلب ليؤكد قراءته له يا فريد، وبالطبع فقد قرأه، كما أرسلتُ ميلًا باسم المجموعة المالكة بعودة الدكتور هاني قائمًا بعمل مدير المستشفى، ويعود المدير الحالي نائبًا له.

"ناجي":

- رائع جدًا! ماذا بعد؟

- مَنْ سيدخل إلى العمليات بعد هاني؟

- هل تستطيع إجراء العملية لشخصين معًا يا دكتور حسن؟

- سأحتاج لبعض الأدوات الإضافية، وبالتأكيد لا مشكلة.
- إذن نبدأ من النهاية، عادل ويلي، مهم جداً أن نعيدهم تحت سيطرتنا إلى أعمالهما.
- اختيار جيد يا ناجي، الدنيا قامت ولم تقعد بعد سلسلة الانفجارات التي حدثت والغموض الذي يحيط بالعملية كلها.
- قبل أسبوع نريد أن يعودا إلى حياتهما، هل هذا ممكن يا دكتور؟
- أسبوعين يا لمار، العملية ثم قراءة الذاكرة وإعادة تسجيلها، ثم تهيئتهما واختبارهما، أسبوعين من العمل ليل نهار.
- ننتقل إلى الدكتور وسيم، اخترقت هاتفه وحسابه الشخصي وميله على الإنترنت، موسوعة علمية حقيقية كما أنه مخلص ولم يكذب في أية كلمة قالها، بالفعل هو حريص جداً على تسليم الاكتشافات السرية من الآثار إلى متاحف عالميه ولأساتذة يثق بهم، والأكثر من هذا أنه لا يحصل على عمولته رغم عشرات الملايين في كل مرة، وهذا ما يجعل تجار الآثار يفضلونه ويثقون به.
- إذن هو صادق فعلاً في أن كل ما يهيمه هو أن يوصل حلقات التاريخ معاً ولا يفقد أية مقبرة، ما رأيك يا سيد ناجي؟
- نعم يا فريد، أوافقك تماماً، سنعرض عليه الانضمام إلينا، ولكن في المبنى الجديد، وبعد أن نُؤمّنهُ تماماً، سنجعله على

رأس فريق مكافحة تهريب الآثار بشرائها أو بتدمير عصابات التنقيب، سأتصل به للتلقي غدًا في أكتوبر وأعرض عليه الأمر.

- وفيما يخصّ وحيد شريف؟

- رغم أفكاره الدينية المنحرفة يا لمار فإنه يُمثّل شريحة من الشباب موجودة في كثير من دول العالم، وانضمامه لنا سيجذب معه شبابًا كثيرين، ولكنني قلق من فكرة عدم ولائه الديني، فهذا يجعله متميًّا لفكرٍ خاصٍّ ومنظومةٍ قيمٍ مُختلفةٍ لا نعرف طبيعتها.

"حسن":

- نسيطر عليه عن طريق الشريحة.

"فريد":

- يجب أن نتعرف إليه أولاً، فالشخصيات التي عرفنا من خلالها لن تظهر مرة أخرى.

"ناجي":

- سنجد له مدخلًا مناسبًا عن طريق عقله وعمله، فلنؤجله حتى عودة ليلى وعادل إلى حياتهما، بقيت لنا شخصيتان، الشيخ سعد الفرجاني ورجل الأعمال علي الرمادي.

- أرى أن نبدأ بالشيخ، ما المعلومات المتوفرة عنه؟

"لما":

- له علاقات خاصة جدًا وغامضة، واستثمارات ضخمة في الملابس الجاهزة ومكاتب الصرافة، ليس له حسابات في البنوك، الدائرة المقربة مغلقة جدًا ومحكمة، رحلات مستمرة إلى الخارج أغلبها إلى دول الخليج وليبيا، علاقات مريبة داخل الحكومة، يبتعد تمامًا عن السياسة ولكنه مُمول أساسي للأحزاب اليمينية، متزوج من أربع وعنده جيش من الأبناء.
- أمثال هؤلاء لهم مدخل من اثنين، إمّا المال وإمّا النساء، يعتبرون أنهما زينة الحياة الدنيا.
- ولكن المال والبنون هما زينة الحياة يا فريد.

فريد ضاحكًا:

- والنساء هم الوسيلة الفعالة لوجود الأبناء، ولذلك عمليًا هو يبرر لنفسه كل خطوة بالشرع والتوافق مع الدين.
- في الأرياف ينتشر هذا النوع من الشيوخ، يُحرّم كلّ شيء ويفعل في المقابل كل شيء، يغيب بعض الوقت في دولة بترولية أو حتى أوروبية، ثم يعود بمظهر مختلف، لحية عظيمة تصل إلى بطنه، لغة سليمة وحكيمة، يحفظ الكثير من الآيات والأحاديث التي تخدم وجهة نظره ويستخدمها باستمرار.

"لما ر":

- كهنة الأديان، منتشرون طوال الزمان، يكتزون الذهب والفضة ويستغلون فطرة الناس التي تحترم الأديان.
- اللحية العظيمة سمة رجال الدين ويعتبرونها بصمة تعريف، بالإضافة لزي معين يميز كل دين، لا أعرف حقيقة لماذا التمييز، ولماذا يرفعون أنفسهم فوق الناس درجة.
- يُنصّبون أنفسهم آلهة على الناس يا فريد.

"لما ر":

- الآن سأعرض لكم بيانات تم جمعها حول سعد الفرجاني.
- عُرِضَتْ على الشاشة الرئيسية صور وبيانات سعد وقنواته التي تعرضت للإغلاق لبعض الوقت بعد الاضطرابات التي حدثت بالبلاد ثم عادت أكثر قوة وانتشاراً بمجموعة من البرامج الدينية والاجتماعية يقدمها بعض الإعلاميين الذين يتلونون حسب الوضع السياسي القائم.. ثم عُرِضَتْ صور لمصانع الغزل والنسيج التي يملكها والمتركة في بعض القرى الفقيرة بالجيزة والفيوم.. قالت لما ر:

- الصغير الذي حصل على النخاع كان ابن زوجته الثالثة، وكان مصاباً بسرطان الدم، وقد تُوفِّي الشهر الماضي ونظم له جنازة ضخمة، سعد الآن يعمل في السياسة وأنشأ حزباً من المفترض أنه يمثل التيار الديني الجديد في الشارع، وقد حصل على مقاعد جيدة في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة.

- إذن فقد أصبح مُقَرَّبًا من الحكومة ومرضياً عنه من النخبة السياسية الحاكمة.
 - والأخطر من ذلك يا فريد أن التيار الديني العالمي قد أوكله بمهمة قيادة هذه المرحلة.
 - نحن نتحدث عن شخصية بالغة الخطورة.
 - كل مَنْ تعاملنا معهم يا لمار لا يقلون خطورة عنه.
- "حسن":
- ما المدخل المناسب لهذه الشخصية؟
- "لمار":
- النساء؟
- "ناجي":
- من خبرتي مع هذه الجماعات ومثل هذه الشخصيات لا بد أن ندخل له من باب المصلحة، دخوله السياسة معناه شيء من اثنين، إمّا تعليمات من قياداته في الخارج، وإمّا طموح شخصي وحب ورغبة في السلطة واتفاق مع الحكومة، الآن هو عضو مجلس شعب ومدخله من وجهة نظري يجب أن يكون سياسياً.
 - نطلب لقاء لمساندة القضية الليبية أو الفلسطينية.

- نعم يا فريد... التيارات المتصارعة في ليبيا وفلسطين مكشوفة للجميع، ومثل هذه الشخصية والتنظيم التابع له دائماً يتاجر بالقضايا القومية ليحصل على التعاطف من الشارع العربي.
 - الغموض يحيط بالصراع الشيعي السني الذي يحتاج منطقة الخليج في هذه الأيام والذي وصل إلى صدام مُباشر في العراق واليمن، ما رأيكم أن نطلب لقاءه لمساندة السُّنة؟
 - صحيح يا حسن... مدخل منطقي، نطلب منه لقاءً خاصاً لدعم قضايا السُّنة في العراق سياسياً وإعلامياً مع استعدادنا لدفع التكاليف.
- "فريد":
- نعم يا ناجي.. ويكون اللقاء في مكان مُؤمَّن حتى لا يلاحقنا أي جهاز مخبرات.
 - أظنُّ أننا يجب أن ننهي الأمر كله في جلسة واحدة.
 - يا حسن، هل تحبُّ أن تكون معنا؟
 - نعم يا ناجي، أريد أن أشاهدكم تعملون.
 - "لمار"، هل ستحتمل بشرتك الرقيقة الماكياج الثقيل الذي سوف أضعه لك؟
- نظر ناجي لفريد ثم ابتسم:

- فعلاً، أنا ألاحظ أن بشرته حساسة جداً، أرى أن تجلس بجوار مريضك حتى لا يفقدك.

حسن متحمساً:

- أرجوك يا سيد ناجي، سأفيدكم كثيراً لو احتجتم إلى معلومات طبية، ثم إنني أقرأ كثيراً جداً، وأعرف تاريخ الصراع الديني في المنطقة، وأيضاً...

قاطعته فريد مبتسماً:

- تحمّل عقابك إذن.

لما وقد تملّكها الغضب:

- كما تريدون، لن أتدخل في عملكم مرة أخرى، سأرسل رسالة على هاتف سعد الخاص بأننا نريد لقاءه اليوم من خطّ لا يمكن تتبعه، وسأبلغكم بالتطورات.

- لما أنت أيقونة هذا التنظيم وأحد الأعضاء المؤسسين، لا يمكننا أن نغضبك، ثم إن كل ترتيبات تحركاتنا تقريباً تتم عن طريقك، قليل من اللين بيننا لن يضرنا.

احمرت وجنتاها خجلاً من انفعالاتها الظاهرة.. ابتسم فريد وناجي ثم أخذوا حسن وسبقا لما إلى الغرفة السفلية.

كانت لما قد شرحت لحسن كل شيء عن مساجين هذه الغرفة لذلك نزل مُترقّباً مُكوّناً خلفية ذهنية عن كل شخصية.

جلس ناجي وفريد في منطقة التحكم، بينما نزل حسن بعد أن ارتدى قناعاً.. بدأ في استعراض كل زنزانة صغيرة بعد أن يسلط عليها ناجي الإضاءة ويعرف مَنْ فيها، أول زنزانة بها القاضي الذي حيّا حسن مبتسماً:

- ستعجبك القروود المعروضة، على كل شكلٍ ولون.

"حسن":

- وما الذي سخطك إلى قرد؟

القاضي ضاحكاً:

- الحيوانات الأكثر تطوُّراً ألقت علينا تعويذة سحرية لم نستطع منها فكاًً.

انتقل بعدها إلى الزنزانة الثانية وتعرف إلى قاطنها المعلم وهدان.. نظر إليه في شزرٍ ثم حدثه:

- لماذا تنظر إليّ هكذا؟ هل يعجبك شكلي أيها المُقنّع؟

"حسن":

- نعم، يعجبني جدّاً، وسأحرص على تغيير كل شيء فيك أيها النجم الشهير.

كان التالي أمين الشرطة سمير الذي ضحك بسخرية:

- نحن طوع أمرك يا سيدي، تستطيع أن تفعل فينا ما تشاء، لكن أرجوك أن تحسم المسألة.
- لا تقلق، حياتك كلها ستتغير قريباً، ستُعطى الفرصة لتُكفّر عن ذنوبك.

انتقل إلى الزنانة التالية فابتسم:

- أهلاً أهلاً بالعقلية الطَّبِيَّة الفَذَّة، لا يمكن! ما هذا الشحوب وهذه الملابس الرثة؟ كيف حال الخدمة والنظافة يا دكتورة، أنتِ مستمتعة؟ عجيبة تصاريف القدر، أليس كذلك؟
- "غادة":

- ومن أنت أيها المُقنَّع المتباهي؟
- حسن: أحد ضحاياك.
- أنا لا أترك ضحايا على قيد الحياة.
- جميلة وصریحة أنت، عقليتك الفذة ستفيدنا لا شك.
- لن أتعاون معكم، أقتلوني أولاً ثم تعاونوا معي كما تريدون.
- لا تقلقي، سوف نقتلك، أمنياتك لا بد أن تتحقق، استمتعي ببقائك هنا حقيرة ذليلة بين الرجال حتى نتفرغ لك.
- ما إن سُلط الضوء على زنانة الأمين سيد حتى صرخ في رعب

وهو يبكي:

- أرجوكم، لم أفعل شيئاً، أنا حشرة حقيرة لا قيمة لها.
 - حشرة سامة تؤذي الناس وتأكل حقوقهم.
 - أرجوك يا سيدي، سأتوب عن كل ما كنتُ أفعله، وأنا راضٍ بحكم القضاء، أخرجوني من هنا.
 - لقد اعترفتُ بقضايا مُتعددة تستسهلها ولا تعرف ما ترتب عليها، ومن الغريب جداً أن إحدى جرائمك غير المقصودة هي سبب اجتماعنا هنا اليوم، وربما كانت سبباً في تغييرات مستقبلية كبرى، من الأفضل لك أن تهدأ وتصبر ولا تتعجل، فسوف تكون جزءاً من النظام الجديد.
- استمر حسن في استعراض بقية مَنْ في الزنازين، الدكتور رامي زوج غادة، حارس زكريا، مساعد شهد شقيقة فهد، عادل رمز الدين، آدم زوج شقيقة زوجة سامح، شهد، هند.
- استكمل جولته السريعة ثم عاد إلى منطقة التحكم فوجد لما ر قد وصلت لتخبرهم أنه قد حُدِّدَ موعد مع سعد في اليوم التالي في مزرعته بالكيلو ٥٠ على طريق الإسكندرية الصحراوي.

الفصل الثاني عشر

استكمل حسن تعرّف كل جوانب التنظيم الناشئ ثم عاد ليجهز لعملية عادل وليلي تساعده لمار.. في اليوم التالي خرج فريد وناجي مبكرًا إلى مقر أكتوبر، كان اللقاء الأول مع وليد عوني الذي حضر مبكرًا، أخذه ناجي إلى مكتبه الفخم المجهز حديثًا فبهر به ثم جلس أمامه بعد أن أصرَّ على أن يجلس على مكتبه.. ناجي:

- يليق بك المكتب فعلاً.
- لا أعرف حقًا كيف أشكرك.
- أنت مجتهد وذكي ومهندس متمكن خيالك لا حدود له وتستحق كل خير، المهم أخبرني، أين وصلنا في سقارة.
- المبنى الرئيسي الملحق بالدور السفلي سينتهي العمل به تمامًا نهاية الأسبوع، وكما اتفقنا على آخر رسم فقد جعلتُ له مدخلًا آخر سرّيًا من أحد الأطراف البعيدة عبر قناة اتصال تنتهي في مبنى تمويهي كغرفة كهرباء.

- جيد، والتصميم الداخلي؟
- معزول تمامًا عن العالم، ومُقسَّم كما اتفقنا، وقد جعلتُ في طرفه الممتد إلى الخلف مع الأرض الجديدة جدارًا يمكننا من إضافة ملحق له لو أردنا في المستقبل.
- رائع جدًا، واتصاله بالمبنى الهرمي.
- عبر مصعد خاص له شفرة دخول، والمصعد الذي تم تركيبه لا يوجد به علامة على الدور السري.
- وكيف سيصل إذن؟
- المُخَوَّل لهم فقط الوصول إلى منطقة التحكم سيكون معهم كارت تحكم يوضع في منطقة محددة وينزل بهم.
- اسمع يا وليد، لقد سألتني مرة عن طبيعة ما نفعل وكنت متحمسًا للانضمام إلينا.
- نعم، ومستعدُّ تمامًا لأكون جزءًا من العالم الجديد الذي تؤسسونه.
- جيد... ثم شرح له باختصار طبيعة التنظيم والهدف من تأسيسه، والتطلعات المستقبلية له وأهدافه العالمية.
- لا أُصدِّق ما أسمع! هل أكون جزءًا من محاولة تغيير الواقع وتحسين صورة المستقبل! لقد فكرتُ كثيرًا جدًا في طبيعة هذه

الإنشاءات، ظننتُ أنها ربما تابعة للمخابرات أو مشروع عالمي غير مسبوق، لكنني لم أظنُّ قط أنها تأسيس لهذا الكيان العظيم.

- أنت ما رأيك في العالم اليوم خاصة منطقتنا العربية؟
- ما دمنا سنُفكّر خارج الصندوق فمن وجهة نظري أن الاختلاف بيننا وبين الغرب وسبب تخلفنا الرئيسي هو افتقارنا للرؤية، أصبحنا نعيش في الماضي، كدول مجتمعة ومنفردة ليس لدينا هدف سوى أن نعيش مستورين ونموت تائبين، الحضارات الكبرى بُنيت على هدف كبير، الأمم الغازية حلمت بسيادة العالم وسعت له وعملت عليه، منذ البابليين والفرس القدماء والفراعنة والهكسوس واليونانيين وخاصة الإسكندر ثم الرومان والحضارة الإسلامية والمغول والإنجليز ونابليون في فرنسا، الروس والأمريكان وبينهما هتلر وحلم قيادة العالم، كلها أمم سعت وخططت ونفذت فتوحات عظيمة سادت بها الدنيا.
- ولكل أمة أسلوبها وطريقتها وأدواتها للوصول للهدف الأسمى.
- يُؤسّس للفكرة قائد عظيم، ثم يسير عليها مؤمنون بها ومخلصون لها ومضحون بكل شيء من أجلها، وأنا مستعدٌّ للتضحية بحياتي في سبيل هذا الهدف السامي، أن تكون لنا رؤية مستقبلية وهدف عظيم، أن نسود العالم.

- مرحباً بك بيننا يا وليد، الآن وقد فهمت الفكرة هل ستغير شيئاً في تصميمك لهرم الصقر الحارس.
- بالتأكيد، سأزيد من عمليات التأمين له، وأحاول استيعاب فكر بقية الزملاء ليكون التصميم شاملاً لكل احتياجاتنا.
- حسبها فهمتُ، أنت تعيش وحدك والداك وإخوتك في الخليج.
- نعم، وسأظل وحيداً لأنهم قرروا الاستمرار هناك.
- في نهاية اليوم ستعود معنا إلى سقارة لتتعرف إلى لماز وحسن ونخطط معا للمرحلة التالية.
- خرج ناجي إلى مكتب الإدارة فوجد المحامي نجيب جالساً مع فريد.. فقال فريد:
- بشارة جميلة أحضرها نجيب اليوم.
- "نجيب":
- مبارك يا باشا، جميع القضايا سيجري الحكم فيها من أول جلسة بالبراءة.
- هل قدّمت رشوة للقاضي يا نجيب فأطلعك على الحكم؟
- وهل نحن أهل ذلك؟
- ناجي ضاحكاً:

- أنت ذلك نفسه.
- لا، هذه المرة تدخل القدر بعبقريّة متفردة لصالحنا، بعد الموت البشع لهام الرومي وتدمير بيته وشركته زالت الضغوط فجأة وانهار فهد واعترف بكل شيء، تم عمل صفقة مع جميع من تضرر من فهد بألا تفتح مجالات جديدة في مقابل تقديم أدلة البراءة كاملة وعدم معارضة حكم المحكمة بعد صدوره.
- رائع جداً، ولكن أليس في تلك القضايا مجرمون حقيقيون؟
- جميع قضايا فهد ستحصل على البراءة، أكثر من خمسين قضية ومتهماً، نصيب الأبرياء وحظ من كان مجرماً حقيقياً.
- سوف نلتقي غداً لنعرف جميع التطورات لأننا اليوم على عجلٍ.

عادا إلى سقارة لوضع الماكياج الذي يناسب الشخصيات التي سيقابلون بها الشيخ سعد، وجدا حسن قد انتهى من تركيب شخصيته الجديدة، لم يعرفاه تقريباً وحييا لما را على إتقانها ثم استسلما لها..

وصلا إلى مزرعة سعد قبل الليل بقليل، فتح لهما حارس الباب الحديدي ثم ساروا بسيارة الأجرة قليلاً حتى ظهرت الفيلا، كما توقع ناجي كل من يحيط به من الشباب والمريدين، يتعاملون معه بتبجيل وتوقير لا يليق بالبشر، ويتعامل معهم بغرور وتعالٍ مُغلّف بتواضع مُصطنع.. دعاهم الشيخ سعد لدخول مبنى الضيافة:

- لماذا لم تخبرونا بعدم وجود سيارة معكم لأرسل لكم واحدة!
"ناجي":
- نحن لا نستقرُّ في مكان واحد مدة طويلة؛ ولهذا لا نحتاج لسيارة. بدأ الجلسة بالإصرار على أصول الضيافة أولاً من تمور ومشروبات متعددة، ثم طلب ناجي الجلوس معه على انفراد.
لبي الشيخ طلبه ودخلوا إلى غرفة المكتب، ناجي:
- بالتأكيد أنت تعلم ما يعانيه إخواننا في العراق وسوريا من صعابٍ وتضييق وعذاب يومي، احتلَّ الشيعة أرضهم وذبحوا رجالهم وأسروا نساءهم وصغارهم وشرَّدوهم في كل مكان.
- هل لي بسؤال واحد قبل أن أُصدِّق على كلامكم؟
"فريد":
- تفضَّل يا شيخ.
- ما جنسياتكم ولصالح مَنْ تعملون؟
"ناجي":
- ما يهملك أن تعرفه أننا لسنا شيعة ولا أمريكيان، لو أدليتُ بأكثر من ذلك فيه سيكون خطر على حياتك.
- ولكنني يجب أن أعرف مَنْ أنتم.

ناجي بلهجة آمرة:

- يبدو أننا أخطأنا باختيارك، هيا بنا يا شباب.
- ما بك يا سيدي؟ لم أنت مُتعصبٌ هكذا؟ اصبر واهدأ وكن لينا حتى نستطيع التفاهم.

"فريد":

- أظنُّ أن الميل الذي وصلك والرسالة تشرح لك الأمر بتفاصيله، والمليون دولار هي مجرد فاتحة عمل، وأظنُّ أن مثل هذا المبلغ تتمناه أي محطة.
- ولماذا لم تذهبوا إلى دبي؟ أو حتى الجزيرة أو السي بي سي العربية؟

"ناجي":

- كما تريد، سنذهب إلى الفراعين، مثل هذا المبلغ سيجعل القناة تفتح لنا أبوابها ليل نهار.

سعد متجاهلاً جملة ناجي الأخيرة:

- أنتم تعرفون ما تمرُّ به البلاد العربية في هذه الأيام، وكل شيء موضوع تحت المجهر، (دبة النملة) عليها رقيب، ولهذا أريد أن أومن نفسي وأؤمنكم معي.

"فريد":

- لا دخل لك بنا، نستطيع حماية أنفسنا جيداً، معنا خطة متكاملة تغطي شاشتك مدة شهر على الأقل، وسنرى بعدها كيف تسير الأمور.
- المليون دولار أريد أن أستلمها نقدًا غدًا.
- "ناجي":
- هذا هو الكلام المفيد، جهز عقود الاتفاق على الحملة، وسيجلس فنيون من طرفنا معكم لبدء العمل فورًا.
- سأنتظركم هنا غدًا.
- "حسن":
- ما رأيك لو أعطيناك المال بدون حساب أو أوراق واكتفينا بابتسامتك الشاعرية ودعوات والدينا.
- لماذا كل هذا العنف يا سيدي؟
- اسمع، ليس عندنا وقت فعلاً لأساليبك الملتوية وذكائك الخارق للطبيعة، غدًا نلتقي في رمسيس، وتأتي وحدك، تنتظر منا مكالمه هاتفية، تسلمنا العقود تستلم المال، ويجب أن تعرف أن جلستنا هذه تحت المراقبة وكل شيء في حياتك تحت المراقبة، زوجاتك، أولادك، ابنك الذي توفي رغم شرائك نخاعاً جديداً له، علاقاتك بقيادات داعش وبالجماعات الدينية هنا، كل شيء..

- كان هجوماً شاملاً أفقد سعد توازنه وجعله يتلعثم قليلاً ثم قال:
- كما تشاؤون، ولو أردتم عدم الدفع إلا بعد نزول الحملة الإعلانية فأنا تحت أمركم.
- عادوا إلى أول شارع الهرم ثم نزلوا وتفرقوا بعد أن لاحظوا وجود سيارة تلاحقهم، تجمعوا بعد ذلك في الفيلا بسقارة فكانت أولى ملاحظات لمار أن الكاميرا التي ثبتها السيد فريد تعمل بكفاءة، وقد سجلت كل ما حدث صوتاً وصورة، لم يتحدث الشيخ سعد مع أحد في الأمر، بل اتصل بمحامي القنوات وطلب منه إعداد عقد اتفاق على وجه السرعة.
- يريد المال نقداً ولا يبلغ أحداً، فعلاً، الطمع آفة البشر.
 - وهو أحد مداخل الشيطان للسيطرة على البشرية ناجي.
 - وقد فاجأتني حقيقة الشخصية الجديدة للدكتور حسن، لهجته الآمرة وتهديده المباشر حسم تردد الشيخ سعد وسيطر عليه.
 - يبدو أننا جميعاً نمتلك شخصيتين داخلنا، واحدة عادية وطبيعية والأخرى عكسها تماماً يا لمار.
- "حسن":

- يمكنني القول إن الإنسان كونه كائناً اجتماعياً يخضع منذ ولادته لعمليات تحكُّم وسيطرة ونقل خبرات بصورة مباشرة، وقد يتخذ هذا الأمر طُرُقاً سلمية طوال الوقت، ولكن إذا

ضعفت الاستجابة أو قلَّ التركيز يجري اللجوء للعنف معه والذي يختلف من بيئة إلى بيئة ومن مجتمع إلى مجتمع، وعندما يحدث فصل كامل للإنسان عن تكوينه المركب بسبب قهري تظهر الشخصية الموازية الموجودة طوال الوقت، وبالطبع تختلف أيضًا على حسب كمية الغضب والرفض والثقافة الكامنة داخلها، لكنها بالتأكيد ستكون مختلفة تمامًا عن الشخصية الأصلية.

- تحليل منطقي وعميق يبين عمق ثقافتك.
- ويبين أيضًا قوة الغضب الكامن داخله يا لمار.
- هل ستقوم الليلة بعملية ليلي وعادل يا حسن؟
- كل شيء جاهز يا فريد، تم تركيب المعدات الجديدة.
- ما أخبار التدفُّقات النقدية من المستشفى وشركة الأدوية يا لمار؟

- كل شيء يسير بانتظام يا ناجي، نتعامل مع كل إدارة على حدة عن طريق الميولات، وأنا أراقب ما يتم داخلهما عن طريق الكاميرات، ولكن بالتأكيد سنحتاج إلى وجود شخصيات حقيقية في أسرع وقت.

"فريد":

- هاني سيحل لنا أمر المستشفى.
- "ناجي":
- والمصنع أيضًا، يتولى المدير بالإجابة حتى تستقر الأمور، وما أخبار العمل في فروع المستشفى؟
- "لمار":
- كل شيء يسير بانتظام، العمل يسير أسرع من الجدول الموضوع، مستخلصات كل مرحلة يجري تقديمها لمدير حسابات المستشفى هنا وتستلهم اللجنة الهندسية الدائمة في كل فرع ثم يجري الصرف آليًا من حسابات المستشفى في البنوك، من المفترض أن يتزامن الانتهاء من المشروعات معًا خلال عام مع تجهيزهما بأحدث الأجهزة في العالم.
- تعلمين يا لمار، أنت عبقرية حقيقية، تدرسين السياسة والاقتصاد، وتجيدين العمل على الكمبيوتر وتتقنين عدة لغات وتجيدين تمامًا إدارة العمل.
- نعم يا ناجي، ثم يأتي المتخلفون ويقولون النساء عار ويلغون عقلمنَّ ومهاراتهنَّ ويركزون فقط في أجسادهنَّ.
- كل أمة اختصرت النساء في الجسد عاشت متخلفة وانتهت إلى مزبلة التاريخ، والعجيب والغريب في الوقت نفسه أن الله عز وجل وجميع الأنبياء والصالحين كرموا المرأة وساووها بالذكر

تمامًا في الحقوق والواجبات، بل رفعوا قدرها كأمّ، ثم يأتي
كهنة كل دين فيحتقرونها ويجعلونها تابعة..

ناجي:

- الشمس تشرق على الأرض بأمر ربها، والدنيا تسير إلى نهاية
محتومة، ودورنا أن نترك خلفنا قوة لها القدرة على الاستمرار
والتفاعل والتغيير.. قد أخبرتني مرة يا حسن أن لك بعض
الزملاء الذين يعملون على تجارب خاصة جدًا.

"حسن":

- نعم، ويعانون الأمرين والانتهاكات بالجنون، فارس يعمل على
تطوير أجهزة تعويضية صناعية آلية لها قدرات خارقة وتشبه
طريقة عمل العضو الطبيعي، عماد يعمل على تطوير عدسة
عين لها مواصفات خاصة جدًا تستطيع تسجيل جميع الأحداث
صوتًا وصورة وتتغير ألوانها بحسب البيئة المحيطة.

"لمار":

- مثل الحرباء.

"حسن":

- تمامًا، نفس آلية العمل، وصديقي وحبيبي علي الذي يطور
مادة طبيعية تُحقن في أماكن محددة من الجسد تكسب العظام
قوة فولاذية.

"فريد":

- الإنسان الخارق؟
 - بل يرفع من القدرة على التحمل ومن ثمَّ يزيد من كفاءة استخدام أجهزة الجسم.
 - وهل تعتقد أنهم سيقبلون العمل معنا يا حسن؟
 - نحن يا ناجي.. نضحى بعمرنا في منظومة فاسدة وكل الطرق أمامنا مغلقة، الحلم هو الطريقة الوحيدة التي نملكها للتعايش مع الواقع، ولا توجد في دولنا منظومة تشجع البحث العلمي، لذلك أي فرصة متاحة لنخدم أفكارنا ونحن في بلادنا لن نتركها أبداً.
 - جيد، اتصل بهم لنلتقيهم أولاً ونمهد للأمر، وليحضروا غداً في مقر أكتوبر.
- في اليوم التالي نزل فريد وناجي قبل الموعد المحدد بعد أن جهزوا ليلي وعادل للعملية، كانت لمار تتابع تحرك الشيخ سعد حتى وصل إلى رمسيس.. حددت لهما الموقع الذي توقف فيه، تابعاه من بعيد فوجداه قد حضر بدون سائقه أو أي من مساعديه

ركب ناجي إلى جواره في السيارة أولاً ثم غافله فريد وصعقه بقوة.. أحضر ناجي السيارة المجهزة بجيب سري ووضعوه فيها بهدوء كيلا يلفتوا الانتباه ثم أغلقوا سيارته وانطلقوا.. وضعوه في زنارته ثم

انتظروا حتى انتهاء عمليتي ليلي وعادل وأخذوا الدكتور حسن إلى المقر الإداري بأكتوبر، التقوا زملاءه ورحبوا جميعًا بالانضمام إلى التنظيم، عرف ناجي آخر الأخبار من نجيب ووليد ثم عادوا إلى سقارة لمتابعة الأحداث، في المساء فوجئ ناجي بهاتف من منصور..:

- - أهلاً بك يا منصور، زمان لم أسمع صوتك.
- أهلاً بك يا سامح، أم تحب أن أناذك ناجي؟
- كما تحب، أنا ذهبت إلى سوريا سامح وعدت من هناك ناجي، وكلاهما أنا.
- ما أخبار مشروعاتك ونشاطاتك الجديدة؟ هل حقًا وجدت بعض الآثار وبعثتها؟
- يبدو أن المعلومات الجديدة كلها عندك.
- نحن نتابع رجالنا في كل مكان، المهم، أريدك في أمر مهم.
- خيرًا؟
- هل تعرف الشيخ سعد الفرجاني؟
- صاحب قنوات العدالة؟ نعم أعرفه، هل هو أحد رجالكم؟
- نعم، وهو يعمل بأموالنا، لقد اختفى صباح اليوم عندكم في القاهرة.
- ربما ذهب هنا أو هناك، ثم ما دخلي أنا بهذا الموضوع؟

- الشيخ سعد مهم جدًا لنا، بالأمس زاره ثلاثة أجناب ربما كانوا من سوريا أو فلسطين أو عرب إسرائيل حسب لهجتهم ومظهرهم، واليوم خرج بدون سائقه وحارسه ثم اختفى، وأنت أحد رجالنا ونريدك أن تبحث عنه.

- أحد رجالكم! ثم ألا ترى الأمر مريبًا؟ ربما أراد الشيخ الاعتزال، أليس من حقّه؟

منصور غاضبًا:

- لا يا سيد ناجي.. لا أحد يدخل عالمنا ويعرف أسرارنا ثم يخرج حيًّا، لو ثبت ما تقول فسنصل إليه في أي مكان في العالم ونجعله عبرة للجميع، وسنقتل عائلته كلها، نحن من صنعناهم وحياتهم من حقنا.

- دين ودماء، دنيا وسلطة وتسلط وعنف لا ينقطع، عمومًا سوف أرى ما يمكنني عمله.

- تواصل مع الشيخ في شركة الصرافة، نريد نتيجة في أسرع وقت ممكن.

كان واضحًا تغير وجه ناجي بعد المكالمة، فريد:

- مَن هذا؟ ولماذا اعتراك الغضب هكذا؟

شرح لهم ناجي قصة منصور معه باختصار:

- إذن هو يعتبر مندوب إحدى الفصائل المسلحة في المنطقة.
- "لمار":
- لقد حاولتُ تتبّع المكالمات لكن يبدو أنه يتحدث من خطٍّ مؤمّن جيداً.
- "ناجي":
- يستخدمون هواتف الثريا المتصلة بالقمر الصناعي والتي تجهزها لهم أجهزة المخابرات التي تجندهم.
- "فريد":
- ولذلك فإنَّ أيَّ صدامٍ معهم يعني في الحقيقة صدامًا مع دول كبرى.
- "لمار":
- وفي هذا خطر حقيقي علينا، خاصة أننا مازلنا في طور التكوين.
- "حسن":
- وهذا يأخذنا في اتجاه آخر أكبر وأعمق، لا بد من السيطرة في المستقبل على الحكم في دولة أو أكثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- "لمار":
- بمعنى؟

- نختار دولة صغيرة غير مؤثرة في الساحة، نسيطر على اقتصادها، ونختار شخصيات محددة نسخرها لنا ثم نساعدنا في الوصول للحكم، بمجرد استيلائهم على السلطة نوجه سياساتها لخدمة أهدافنا، ومن الممكن أن نختار دولة في كل قارة لنطبق فيها هذا المخطط وتصبح كالدوامة الصغيرة أو كرة الثلج المنحدرة من قمة جبل جليدي تزداد قوة مع الزمن.

"ناجي":

- حقيقة كنتُ أفكر في هذه الخطوة ولكن كانت مُؤجَّلة، رائع تفكيرك يا حسن.

"فريد":

- بالفعل، تفكير استراتيجي متميز، لتوجه إلى العالم في هذا العصر لا بد أن نمتلك أدوات التأثير، وكما سيطرت الماسونية على دول صغيرة ووصلت بها إلى دول متقدمة، سنفعل نحن ذلك، ولكن الاختلاف أننا سنبدأ من حيث انتهى العالم.

"حسن":

- التنظيم الكوني بالغ الدقة والوضوح وكل شيء فيه محسوب، الإخلال بهذا التنظيم بأية وسيلة سيلفت انتباه الكبار، ما رأيكم أن نبدأ في أوروبا باليونان وفي أفريقيا بجنوب السودان؟

"ناجي":

- اشرح وجهة نظرك.
- اليونان من أقدم دول العالم، وفي الوقت نفسه منهاره تمامًا اقتصاديًا، كما اتفقنا، نُؤسس لنقل صناعة يجيدها اليونانيون وتحتاجها السوق هناك ثم نتوغل في دعم سياسيين معينين ونصل في النهاية للحكم بالانتخابات.

"لمار":

- وكيف ستؤثر دولة ضعيفة اقتصاديًا في أوروبا؟ خاصة وهي تنفذ برنامج إصلاح اقتصادي مفروض عليها من دول الاتحاد الأوروبي خاصة ألمانيا؟

"ناجي":

- لقد فهمت وجهة نظر حسن، سنستغل الحضارة والتاريخ لصالحنا، ندغدغ مشاعر اليونانيين ونجذبهم عاطفيًا، وفي الوقت نفسه ننفذ سياسات اقتصادية تساعد مجتمعهم على النمو ونُشجّعهم على مقاومة المحاولات الغربية للسيطرة عليهم.

"فريد":

- وجنوب السودان؟

"حسن":

- دولة حديثة تعاني مشاكل اقتصادية وتقع في منطقة محورية وتريد تثبيت نفسها.

"فريد":

- أليس هذا الحديث سابقاً لأوانه قليلاً؟

"ناجي":

- لا شيء سابق لأوانه، نحن متأخرون جداً، في الأيام القادمة سننشئ وحدة التخطيط الاستراتيجي للمنظمة لبلورة الأفكار الأساسية.

"لمار":

- وماذا عن الدول العربية؟

"ناجي":

- الدول العربية يمكن تقسيم الحكم فيها إلى قسمين: دول ملكية أو أميرية تتحكم فيها عائلة واحدة مثل دول الخليج والمغرب والأردن، ودول رئاسية يتغير فيها شخص الحاكم كل فترة مثل بقية دول المغرب العربي ومصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان، لكن في حقيقة الأمر هناك نظم حاكمة قوية جداً هي المسئولة عن تسيير الحكم في جميع الدول العربية، خلف الصورة توجد ظلال مهيمنة، والذي يمسح الغبار عن

عينيه سيجد غيلاً شرساً تقف خلف كل نظام حاكم لحماية مصالحها.

"حسن":

- الأمور نسبية، ثورات الربيع العربي التي فشلت في إسقاط الأنظمة وإن أسقطت بعض الرؤوس كانت مدخلاً للنظام العالمي الجديد الذي يتبنى نظرية الفوضى الخلاقة لمحاولة السيطرة على منطقتنا.

"لمار":

- تنفيذاً للمخطط الأكبر الذي يستهدف تغيير معالم العالم.

"فريد":

- لم تبق الأرض على حالها قط مدة طويلة.

"ناجي":

- لله في خلقه شئون، الآن لدينا مشكلة، لا بد من التخلص من سعد في أسرع وقت ممكن.

ابتسم حسن:

- ولكني ما زلت في مرحلة ليل وعادل.

ابتسمت لمار:

- يا دكتور، أنت قادر على القيام بعشر عمليات في الوقت نفسه.

"فريد":

- تلميذتك تُشيدُ بمهارتك وقدراتك، هيا يا ملك، جهز السرير الاحتياطي للشيخ سعد واجعل له الأولوية حتى يخرج قبل نهاية الأسبوع.

- تورطينني دائماً أيتها المساعدة الذكية، هيا بنا، أمامك عمل كثير، هذا الشيخ ضخّم الجثة وسيتعبنا كثيراً.

كان الموعد المنتظر للتجربة الفريدة على أرض الواقع، أخذ فريد وناجي وحسن الدكتور هاني بعد انتهاء فترة النقاهة إلى أكتوبر أولاً، دخلوا مكتب ناجي وهو يضحك وينطلق كعادته، سألوه عن عمله وتاريخه وعنوان سكنه فكانت إجاباته كلها مثالية، والأهم أنه وصف بدقة ووضوح لماذا غاب عن المستشفى طوال هذه المدة، تعامل مع ناجي وفريد على أنهما مالكا المجموعة التي اشترت مستشفى النجوم وأنهما شخصيتان اعتباريتان لا يجب أن يعرفهما أحد.

بعد أن اطمأنوا على نجاح التجربة رافقه حسن إلى المستشفى بصفته الجديدة نائباً غير متفرغ للمدير العام، وذلك حتى يستطيع متابعة حالته الأولى عن قرب وتسجيل كل الملاحظات عنها.. وصلوا المستشفى والجميع في حالة ترقّب وتعجب بعد أن أرسلت لهم لمار أمراً إدارياً عبر الميل، دخل هاني بثقة وقوة وغضب أيضاً، استقبله الجميع

بترحاب وكان في مقدمتهم القائم بالمدير العام، دخل إلى مكتبه القديم ثم انتقل منه مباشرة إلى مكتب المدير العام، طلب جمع الأطباء والمساعدين والإداريين في مطعم المستشفى ثم حدثهم:

- أرجو أن تكونوا جميعاً في صحة جيدة، لقد عانيتُ كثيراً من الظلم والتجاهل من قبل الإدارة القديمة، اليوم يبدأ عهد جديد، أنا المدير العام لهذا المستشفى وفروعه التي ستمتدُّ عبر العالم، لن نكتفي بالفرعين اللذين سينتهيان قريباً، ولكننا سنقدم خدماتنا المتميزة للمرضى في كل مكان، المجموعة المألوفة لديها طموحات كبرى، سنفتتح مدرسة للتمريض ملحقة بكل مستشفى تبدأ من بعد المرحلة الابتدائية المجموعة ستؤسس جامعة قريباً وستكون في كل مستشفى كلية متقدمة جداً للطب والصيدلة، سنتمدد في إنشاء مصانع الأدوية والمهمات الطبية، سنقدم خدماتنا لجميع الفئات، قسم الطوارئ لدينا سيستقبل أية حالة ويسعفها بدون مقابل، أهلاً بكم في العهد الجديد، نحتاج إلى جهد كل فرد منكم وإخلاصه.

كان الذهول الممتزج بالفرح يغلف نظرات الجميع وهمماتهم، وكانت فرحة حسن بلا حدود للأداء المتميز للذاكرة والشريحة، وكان على اتصال دائم بلمار التي تراقب جميع العمليات الحيوية لهاني والتي كانت طبيعية تماماً.. خرج هاني ومعه حسن يتبعه مدير المستشفى القديم ومديرو الأقسام، توجه مباشرة ناحية الطابق السري الملحق

بالطابق الثالث الذي كانت تجرى فيه عمليات نقل الأعضاء، اقتحمه بعنف وتحوّل فيه بصحبة حسن بينما سأل المدير القديم عن العمل فيه فأخبره أنه مُتوقّف تمامًا منذ اختفت عادة وسبب هذا مشكلاتٍ كبرى لأن عادة كانت قد حصلت على مقدمات بالملايين من مرضى على قائمة الانتظار.

- وأين بيانات العمليات التي أُجريت ومن المفترض أن تُجرى هنا؟

نظر المدير القديم إلى هاني الذي أمره بالرد عليه لأنه يمثل مجلس الإدارة وهو أعلى سلطة منه.. أخذهم إلى غرفة محصنة داخل الطابق السريّ وفتحها لهم فوجدوا العديد من أجهزة الحاسب الآلي وشاشات يبدو أنها لمراقبة كل ما يجري فيها.

"حسن":

- وأين الموظفون الذين كانوا يعملون هنا؟

"المدير":

- بعضهم انتقل إلى أقسام أخرى والبعض جرى الاستغناء عنه.

- أريدكم جميعًا هنا قبل نهاية الأسبوع، من ذهب إلى عمل آخر اطلبوا منه العودة وستعرض عليهم امتيازات جديدة، خبراتهم نادرة ونريد استغلالها.

- هل سنعود إلى نفس النشاط؟

- بالتأكيد لن نعود، لكن سنستغلهم في تطوير منظومة البحث العلمي.

كانت لمار تبلغ ناجي وفريد بالنجاح المذهل الذي أثبتته شريحة حسن ووائل، وكذلك اجتيازها اختبار الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وعدم اكتشاف أي جهاز لها، ومن ثم نجحت المواد الطبيعية القريبة من تركيب الجسم والتي استخدمها حسن لبناء نموذج ناجحاً مبهرًا.. ضرب فريد على يد ناجي في سعادة، وأكمل سعادتهما نجيب شكري عندما أخبرهما أن جلسة القضية ستكون بعد أسبوع والصفقة تمت بنجاح وسيحصل الجميع على البراءة.

بعد أن عادوا إلى مقر أكتوبر وتركوا هاني يمارس مهام عمله أكد ناجي على وعده لنجيب ثم عاد مع حسن وفريد إلى المقر الهرمي الجديد بسقارة والتقى وليد ونزلوا جميعاً إلى مقر القيادة المركزية حيث شرح لهم كل الخطوات التأسيسية وتحوّل بهم داخل القطاعات المختلفة.. حسن:

- جميل جداً هذا التنظيم العبقري.

- أشكرك دكتور، أرجو أن يلبي القطاع الطبي جميع احتياجاتك في هذه المرحلة، غرفة عمليات متقدمة جداً، أجنحة فندقية توسع - على الأقل - عشرين حالة، ملحقات القطاع من أشعة وتحليل وبحث علمي

تحدث ناجي للمار:

- هل وصلت الأجهزة الطبية من الخارج؟
 - نعم، وصلت باسم مستشفى النجوم وجارٍ إنهاء إجراءات خروجها وتشوينها في مخازن المستشفى.
- "ناجي":

- هل يمكن تركيبها فورًا يا وليد؟
 - كل شيء جاهز تمامًا، تم تركيب الكمبيوتر المركزي وجميع أجهزة التحكم وإعداد الممر السري، يمكنك العمل من هنا خلال أسبوعين.
- "فريد":

- ألن يعوقك وجودنا هنا عن استكمال بقية المراحل؟
- هذا مبنى مستقلٌ تمامًا ومنفصلٌ تقريبًا عن المقرِّ الهرمي. يتصل بقاعدته من خلال مداخل سرّية كما أنه يقع أسفل بثلاثة أمتار وأسفل سطح الأرض بخمسة عشر مترًا، لن يشعر أحد بوجودكم، خاصة أن مراحل تحت الأرض في المبنى الهرمي قاربت على الانتهاء.
- ألم تصادفوا آثارًا أثناء الحفر؟
- هناك شواهد كثيرة مثل أواني فخارية وما يُشبه الحجارة القديمة، لكنني أظنُّ أن الحضارة القديمة موجودة على عمق أكبر مما وصلنا إليه.

"ناجي":

- حسبما سمعتُ أن سوكر أو سقر إله هذه المنطقة الذي كان يُمثِّل حالة بينية^(١) عند المصري القديم موجود في منطقة عميقة من الحساب، ولهذا أظن أنهم تعمقوا كثيرًا في دفن موتاهم.
"فريد":

- ولا تنسَ أن الدولة القديمة مشهورة جدًا بأعمال السحر ورصد الجن بالذات، ولا بد أنهم توصلوا إلى طريقة متقدمة جدًا لحماية موتاهم.

أبدى كل منهم ملاحظاته على اللمسات النهائية ثم عادوا الفيلا ومعهم وليد للمرة الأولى، كانت الرهبة تملكه وهو يلتقي بلمار في مقر القيادة المؤقت، شعور وصفه لهم بهدوء بعد الجولة في الغرفة السرية ولقائه بكل سجين، عندما دخلتُ هنا للمرة الأولى شعرتُ وكأنني في محراب مُقدَّس أستعدُّ للقاء الملك المُتَوَجَّع على عرش الوجود، قلبي ينتفض بشدة، أنفاسي تتسارع، تركيزي يزيد، ولا أخفي أنني كنت خائفًا أيضًا.

(1) سوكر إله مصري قديم ظهر في عدة صور وكان مقره سقارة حيث مثل مرة الموت ومرة العمال أو العمل وسمى بتاح- سوكر وقبل ذلك الأرض والخصوبة، لذلك أُطلقَ عليه حالية بينية في التاريخ الفرعوني بين الحياة والموت والحساب.

"ناجي":

- هكذا هي الأحداث العظيمة، تخلف فينا أثرًا لا يمكن تجاوزه، أهلاً بك بيننا يا وليد.

رَحَّبَ به الجميع مرة أخرى ثم خرج لإكمال عمله.. تلقَّى ناجي مكالمةً جديدةً من منصور يسأله فيها عن الشيخ سعد. أخبره أنه يعمل في كل الاتجاهات ويجمع الخيوط والأدلة ليصل إليه، حذره منصور من التهاون في هذا الأمر، خاصة لو ثبت أن وراء اختفائه الحكومة أو أحد أجهزتها، ينوون إشعالها حرباً قذرة لو ثبت ذلك.. انقضى الأسبوعُ في متابعة التجارب والعمليات حتى تم تجهيز الشيخ سعد تمامًا وإطلاقه في رمسيس بعد أن استعاد جميع مؤشراتته الحيوية وطباعه المختلفة ومعه تم تجهيز غرفة التحكم والمتابعة المركزية.. اتصل منصور بناجي بعد ظهر ذلك اليوم وأخبره بعودة الشيخ سعد.

كان الهدف الأخير لناجي شخصًا بالغ الخطورة والصعوبة، علي الرمادي، أخبرته لمار أنه نقل معظم أعماله للخارج بعد اضطرابات الأعوام الأخيرة في المنطقة، وصلاته وأعماله المشبوهة لا تخفى على أحد، وله صلة غير واضحة مع ليلي وزوجها يبدو أنها لتجارة السلاح، مقرر إقامته الرئيسي الحالي في النمسا وأولاده في الولايات المتحدة.

لم يكن في عقيدة ناجي التراجع، لكنه طلب من لمار متابعة تحركاته وترقب وصوله لتحين الفرصة المناسبة للسيطرة عليه عن طريق كمين يتم وضعه بلقاء مع ليلي وزوجها بعد التحكم فيهما وعودتهما لحياتهما

الطبيعية.. أكمل حسن عمليات التحكم في المقر الجديد أسفل الهرم الصناعي الذي انتقل له بعد أن نقل فريد وناجي ووليد السجناء واحداً تلو الآخر حتى لا يلفتوا الانتباه، استمرت لمار في المقر القديم بعد أن خلا إلا منها وناجي وفريد، استقروا على الاحتفاظ به كمقرٍ سري للطوارئ.

بدأت معالم التجهيزات النهائية في الوضوح، تراخيص إنشاء الجامعة على وشك الصدور، اشترى المقر الإداري في أكتوبر وتم اختيار موقع هادئ قرب طريق الإسكندرية الصحراوي لإنشاء الجامعة الجديدة، بينما استقروا على أن يكون مجمع المدارس العلمية في منطقتهم بسقارة ليكون غطاءً لتحركاتهم وليبدؤوا المخطط طويل المدى من المقر الهرمي الرئيسي وقد بدأ العمل الشامل في الموقعين ليكونا جاهزين لاستقبال الطلبة في العام الدراسي التالي مباشرة.

اجتمع ناجي مع حسن ولمار ووليد في مقر الإدارة المركزية للتنظيم أسفل المقر الهرمي بسقارة، كل شيء فيه مختلف، جسده المقتول المشدود رغم تجاوزه الأربعين من العمر، رأسه الحليق دائماً والمستدير اللامع، يريق عينيه الذي لا ينطفئ، غضبه الدائم، صوته الجهوري القوي الواثق، ملابسه المتكررة التي لا يكاد يغير ذوقها، الجينز الأسود الرياضي، القميص الأسود الخفيف الذي تتوسطه صورة الصقر الحارس المطبوعة خُصِيصَ له، وعليه جاكيت أسود رياضي خفيف له قلنسوة يضعها دائماً على رأسه، حذاء الجيش القوي المميز، وقد اتبعته في

طريقة ارتدائه لملا بسه لمار أولاً ثم تبعها فريد وحسن ووليد أصبحت كالتميمة المميزة لفريقهم.

"ناجي":

- اليوم نحن نجتمع لوضع الأسس التي سنكتب بها ميثاق الشرف بيننا، وسنضع القواعد البنائية لتنظيمنا العالمي، وسنكتب في نهاية المرحلة الانتقالية بروتوكولات مُلزمة على المدى البعيد، الأرض بطبيعتها تدور والزمن يقلب البشر جيلاً حلف جيل، سنؤسس المدارس ونسخر العقول الصغيرة لتكبر حاملة رسالتنا الكبرى، سنفتح المدارس في كل البلاد المتاحة وسيكون مُقرّر الأخلاق هو مدخلنا للسيطرة، أريد أفكاركم واقتراحاتكم لنناقشها خلال الشهر القادم لأننا بعدها سنركز في تحقيق الهدف الأكبر، شعارنا هو الصقر الحارس، تنظيمنا سقارة، هدفنا هو إصلاح هذا العالم وإنقاذه من الدمار على يد الظلم المستمر.

سنسيطر على العقول والقلوب، اتخذنا خطوات في اتجاه التحكم في الإعلام عن طريق الشيخ سعد وليلى عامر، وفي المستقبل القريب سننشئ قناة فضائية إخبارية متخصصة في توجيه الرأي العام وسنجتذب كبار الإعلاميين في الداخل والخارج وأولهم ناصر عابد، ومعها قناة رياضية نختار لها إدارة محترفة تستطيع السيطرة ونوجه من خلالها الشباب..

انفضَّ اجتماعهم التحضيري على أن يتكرر أسبوعياً بإضافة العناصر الجديدة.

رتبت لمار للقاء جديد مع الدكتور وسيم بعد أن صور ناجي بعض المومياوات والكتابات الفرعونية المحيطة بها، كان اللقاء هذه المرة في المقر الإداري بأكثوبر، وضح على الدكتور وسيم لهفته على رؤية الصور، استغرق فيها قليلاً ثم تحدث بصوت مرتفع وهو مستمر في تأملاته "هذه بلا شك مومياوات فرعونية ملكية، لكن الغريب أنها تنتمي لحقب مختلفة، والأكثر غرابة وإثارة للفضول أن إحداها تمثل الإله حورس أو أحد أولاده، هل تعرفون مكان هذه المقابر؟".

"فريد":

- سؤال غير منطقي.

"وسيم":

- من الأفضل أن نكشف أوراقنا، أنتم لا تعرفون شيئاً عن مكان هذه المقابر، أحدهم أحضر لكم الصور وأنتم مجرد وسطاء، نصيحتي لكم أن تخرجوا من الوسط لأن هذه العصابات شديدة الخطورة ولا ترحم.

"ناجي":

- اسمع يا دكتور، نحن نعرف كل شيء عنك، صلاتك بعصابات التهريب والتنقيب، تدخلك وسيطاً لبيع القطع

المهمة للمتاحف، حرصك الدائم على تسجيل كل ما يتعلق بالحضارة، كما نعلم أنك تعيش وحدك بعد وفاة زوجتك دون أطفال، لذلك أريد أن أسألك سؤالاً مباشراً قبل أن أعرض عليك عرضاً مختلفاً.

كان الدكتور وسيم قد ركّز تمامًا مع ناجي بعد أن سمع كلماته فأجابه:

- لقد قلتُ في نفسي منذ البداية أنكم مختلفون وأكبر مما يتصور أحد، لذلك اسأل وسأجيبك بصدق.
 - أريد أن أعرف منك كونك عالمًا مُتبحرًا ومُتخصصًا في التاريخ والقوميات والحضارات، ما أسباب الصعود والهبوط للتنظيمات الكبرى والأفكار العظيمة! ولماذا فشل أنبياء ونجح آخرون من وجهة نظرك؟
- "وسيم":

- هذا سؤال يُلخّص حال الكون وتاريخ البشرية على وجه الأرض، شرحه يطول ويحتاج إلى محاضرة مستقلة لكل حقبة حضارية، لكنني باختصار شديد سأخبركم أن البشرية ورثت الجن على الأرض، آثار الجن موجودة ما زالت رغم أنهم - ويمكنني القول - يعيشون في دُّلٍّ وخضوع للجنس البشري، الحضارة البشرية بدأت ضعيفة ثم ازدادت قوة وسطوة مع مرور الوقت باكتشاف أسرار الكون، الحضارة تبدأ بالعلم

والعدل، وتنتهي بالظلم والجهل، كل نجاح مرتبط بشخص، وكل فشل مرتبط بمجتمع كامل، الأنبياء توالوا في الظهور لإنقاذ البشرية من مصير الجن، ولا نعلم حتى الآن إن كان للخالق الأعظم مخلوقات عاقلة أخرى تحت السماء في مجرة ما أو شكل من أشكال الوجود لا ندركه، الفشل كما قلت لكم مرتبط دائماً بنجاح المجتمع في التعامل مع الواقع ونسبة الخير إلى الشر فيه، والأنبياء بشر اختارهم الله لتوصيل رسالته وتوضيح شريعته التي تتناسب مع طبيعة خلق الإنسان، يعرف مصادر قوته فيؤكدها، ويحذر من مواضع الضعف ومداخل الشيطان الحاقد الحاسد الذي يتوعد الإنسان طوال الوقت ليفسده ويهزمه ويصطحبه معه في جهنم أو العذاب الخالد.

"فريد":

- نحن في صراع دائم إذن.

"وسيم":

- هذه بديهيات أنبأنا بها الأديان منذ بداية الخلق، ما نستطيع أن نوكدّه أن التخطيط الإنساني فشل في البقاء مستقرّاً فتره طويلة جداً ولهذا توالى الحضارات ودام بقاؤها على حسب قدرتها على التجاوب مع ما حولها من متغيرات وكذلك استقرارها الداخلي.

- ما رأيك يا دكتور في أن تكون جزءاً من خطة تغيير العالم في المستقبل.

"وسيم" مبتسماً:

- كنت أعلم أنكم مختلفون يا ناجي، وأنا على استعداد للمساهمة بأي طريقة في تغيير هذا الواقع المرير الذي نعيشه.

اختصر له ناجي مشروع التنظيم والفكرة القائم عليها والخطوات التي قطعها حتى الآن، وأخبره في النهاية بالشعار الذي اتفقوا عليه ليكون رمزاً لهم.. صمت وسيم لحظات مذهولاً يحاول استيعاب ما قاله ناجي، ثم أخذ يردد والدموع تملأ عينيه:

- بُعثت من جديد أيها الصقر الحارس لتتقذ البشرية من مصير محتوم، سقارة مهد الحضارة العظيمة وحاملة أسرارها تنتفض لتتقذ الكا المقدسة، السلام عليك أيها الإله الأعظم إله الحق. لقد جئتُك يا إلهي خاضعاً لأشهد جلالك، جئتُك يا إلهي متخلياً بالحق، متخلياً عن الباطل، فلم أظلم أحداً ولم أسلك سبيل الضالين، لم أحنث في يمين ولم تضلني الشهوة فتمتد عيني لزوجة أحد من رحمي ولم تمتد يدي لمال غيري، لم أقتل كذباً ولم أكن لك عصياً، ولم أسع في الإيقاع بعبد عند سيده، إني (يا إلهي) لم أجمع ولم أبك أحداً، وما قتلت وما غدرت، بل ما كنتُ مُحَرِّضاً على قتل، إني لم أسرق من المعابد خبزها، ولم أرتكب الفحشاء ولم أدنس شيئاً مقدساً، ولم أغتصب ما لا حراماً ولم أنتهك حرمة الأموات، إني لم أبغ قمحاً بثمن فاحش ولم أطفف الكيل.. أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر.. وما دمتُ بريئاً من الإثم، فاجعلني يا إلهي من الفائزين.

انفعل الجميع مع الدكتور وسيم واشتعلت قلوبهم حماسة، قال
ناجي:

- ما هذه الكلمات البديعة العبقرية؟
"وسيم":

- إنها اعترافات الميت عند الحساب ووزن أعماله يرجو بها مغفرة
الله، وهي أحد النصوص الواردة في كتاب الخروج إلى النهار
حسب الترجمة الحرفية له أو كتاب الموتى كما عرفه الناس، وقد
اكتُشِفَ منه حوالي 189 فصلاً في أماكن مختلفة، والغريب أن
الفصل رقم ٦٤ قد وُجِدَ في معبد سوكر أو سقارة، وأجزأؤه
الأولى كُتِبَتْ كُلُّهَا في هذه المنطقة وتُسمَّى الاعترافات المنفية
نسبةً إلى منف عاصمة الحضارة الأولى.

- إذن تقبلُ بأن تكون معنا يا دكتور.

- لقد كنتُ أبحثُ عنكم منذ زمن طويل، مستعدُّ أن أضحي بها
تبقى من عمري في سبيل أن يرى الصقر الحارس النور من
جديد، أريد أن أهبَ نفسي منذ الآن لكم، خذوني معكم إلى
مَقَرِّكم، ولا أريد أن أخرج منه أبداً بعد اليوم.

أذهلت حماسة الدكتور وسيم الشباب، شعروا أن ما يقدمونه
ضئيل جداً أمام هذا الانطلاق وهذه القوة والإرادة الحديدية التي يعبر
عنها.

"فريد":

- وجودك بيننا سيهنا طاقة روحانية لا تنتهي، شكرًا لك يا دكتور على قبولك مساندتنا.

تسارعت الأحداث، خرج عادل وليلى بعد نجاح تركيب وتجربة شريحة كل منهما، استقبلهما المجتمع المحيط بهما بترحاب شديد وسؤال لا ينقطع عما حدث، كانت الإجابة الموحدة أنهما اضطرا للاختباء حرصًا على حياتهما.. كانت أولى مهامهما استدراج علي الرمادي إلى فيلتها الجديدة بحي الزمالك، بعد دخوله منفردًا وجه غضبه الشديد ناحية عادل واتهمه بالغباء واللعب بالنار.. كان سائقه وحارسه الشخصي قد غابا عن الوعي أيضًا بعد أن غاب عن وعيه بفعل المخدر القوي في عصير الليمون الذي يفضله، قاد فريد السيارة ومعه وليد لتدريبه على العمليات الخاصة، وخلفهما ناجي بسيارته التي تحمل علي ورفيقه وأخذهما إلى المقر القديم بسقارة، بينما تخلص فريد ووليد من سيارة علي بحرقها كالمعتاد.. وضع علي ممدًا على طاولة التعذيب النفسي بينما انعقدت المحاكمة بانضمام ثلاثة أعضاء جدد، وقد أضفى وجود الدكتور وسيم هيبة ووقارًا خاصة بعد أن صمم زياً اختبائيًا للمحاكمة يتمثل في قناع الصقر حورس وملابس ماعت مسئول الحساب في الكتاب المقدس الأول.. أفاق علي إثر وقوع أول نقطة من المياه المنتظمة فوق جبينه، جنّ جنونه وهدّد وتوعّد عندما وجد نفسه مقيدًا، رأى انعكاسًا لصورته في مرآة السقف، ثم تملكه الرعب الكامل حين شاهد

تحت النور الخفيف رأس صقر برداء فرعوني يدور حوله ويلقي تائم
بلغة غريبة، صرخ من الرعب، طلب منه ناجي أن يذكر لهم أين يحتفظ
بأمواله وأرقام حساباته السرية.

"علي":

- اذهبوا إلى الجحيم أيها الحقراء، رجالي سيصلون إليكم في أي
مكان تكونون فيه، وسيسحقونكم.

أشار وسيم برأس الصقر لهم أن يصمتوا، ثم قام بدهان فخذ علي
بإداة صفراء ثقيلة ولفها بلفائف بيضاء بإحكام قبل أن يجف الدهان،
بينما كان علي يراقبه برعب شديد وهو يصرخ فيه أن قتله لن ينفعهم،
واستمرت عملية التعذيب النفسي بعرض فيلم عن عملية نقل القلب
إلى ابنه عبر الشاشة المجاورة للمرأة في السقف فأخذ يصرخ ويهدّد
ويتوعّد.. عاد الدكتور وسيم إلى جوار بقية المجموعة فسأله حسن عما
فعل.

"وسيم":

- من طقوس تحنيط الميت عند الفراعنة دهان الجسم بزيت
الكتان لحفظه من التحلل، ومن أهم شروط نجاح عملية
الحنيط التيقن من جفاف الجسد تمامًا قبل لفه بالقماش، وهي
تستغرق حوالي أربعين يومًا وحدها، ولهذا كانت عملية تجهيز
الفرعون أو الميت المهم تستغرق حوالي سبعين يومًا.

"حسن":

- وما الذي فعلته هنا؟

"وسيم":

- دهنتُ جزءاً من فخذة بزيوت الكتان ثم لففتُه بالشاش الطبي مباشرة، بعد قليل سيحدث تفاعل يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة تلك المنطقة لتتعدى الثلاثمائة مئوية وستشمون رائحة جلد يحترق وبالطبع صراخاً لا ينقطع.

"وليد":

- ما هذه العبقرية العلمية؟ وما هذا العذاب الذي سيلقاه هذا المسكين؟

"ناجي":

- لا عذاب يساوي ما يفعله هؤلاء، إنهم تروس في ماكينة فساد عالمية لا تهدأ ولا ترحم.

تعالّت صرخات علي مع ارتفاع درجة الحرارة، بدأ دخان أسود خفيف يخرج من تحت اللفائف ومعها رائحة احتراق الجلد البشري.

"حسن":

- ألن نوقف هذه العملية بعد استعداده للاعتراف؟

"وسيم":

- لا تقلق عليه، ستحترق الطبقة الخارجية فقط من الجلد، ثم إنني عملتُ على مساحة صغيرة يمكن شفاؤها سريعاً.. أخبرهم علي تحت وطأة آلامه المبرحة بمكان الخزينة السرية بمكتبه بالشركة والتي يخفي فيها أرقام حساباته وجميع المستندات الخاصة بأعماله.

"ناجي":

- ستحدث من الآن عن جميع علاقاتك بالعصابات الدولية ومسمياتها وطرق الاتصال بها، نريد أن نعرف كل شيء عنك منذ مولدك، هذه التجربة الصغيرة في جسدك ستزيد مساحتها شيئاً فشيئاً كلما كذبت علينا، والخيار لك.

بدأ في الحديث فوراً عن كل ما طلب منه ولما تُسجّل وتُحلَّل جميع بياناته عبر أجهزة متخصصة حديثة، بينما انفضت محكمة العدل العليا حتى انتهاء الاعترافات.

اجتمعوا من جديد في غرفة التحكم القديمة، كان كُلُّ شيء يبدو مختلفاً، الحياة تدبُّ رويداً رويداً في عروق التنظيم الجديد.

- اليوم أعلن لكم انتهاء عقيدتي القديمة وتغير كل مفاهيمي المتعلقة بالوجود الإنساني، كنت مجرد مهندس يسير بجانب الحائط ويهمس في أذن الصمت بآرائه السياسية ولا يستطيع أن يغضب، كنت مجرد رقم في سجلات الدولة مكتوب بخط رقيق حتى يتم مسحه عند موته، لا شيء، كنت سامح، كنت

لا شيء، دخلتُ غمار التجربة الحارقة فجأة بدون سابق إعداد، الحياة لديّ كانت ضيقة جدًا ومختصرة في زوجتي وأولادي، لأول مرة في حياتي أغضب بصوت عالٍ، لأول مرة أصرخ وأهدد وأتوعد، لأول مرة أشعر بالظلم يقتحم عليّ بيتي ويهدّ حياتي، انصهرت في بوتقة حرارتها تتعدى حرارة الشمس، تملك مني الانتقام، سيطر على كياني، تحملت كل شيء من أجل الفكرة، خرجت من الفرن المشتعل شخصًا آخر، خرجتُ ناجي، تصاعدت الأحداث بهدوء وبدون ترتيب في المرحلة الأولى تحت وطأة الرغبة في الانتقام، قادني الأقدار إلى هنا، في هذا المكان حيث بدأ كل شيء، وكأن عاصمة الحضارة البشرية الأولى قد اجتذبتني في مرحلة سابقة من حياتي، وكأنني صُنعت من طين هذا المكان وشهدت أيام مجده.. حضرتُ إلى هنا مُسَخَّرًا، تنفست نفس الهواء الذي تنفسه إحتب العظيم باني هرم زوسر، تسللت إلى جوانحي موازين العدالة والحساب التي أسس لها ماعت وسوكر وحورس، كبرت الفكرة وتشعبت وازدادت قوةً بريقًا، ثم التقيتكم واحدًا تلو الآخر فوجدت فيكم الرغبة نفسها في أن نحدث فارقًا في هذا العالم.

اليوم أعلن لكم أنني قد تخلّيتُ عن ماضي سامح، سأهب نفسي مجردًا من الرغبات البشرية لبناء قواعد تنظيم سقارة للسيطرة على العالم خلال خمسين عامًا من اليوم، أنا الصقر الحارس المحلق في سماء الكون.

"فريد":

- وأنا أعلنُ أني أَهَبُ نفسي لسقارة، سأكون الصقر الحارس.

"حسن":

- وأنا أعلن لكم أني أَتَخَلَّى عن حياتي وأهب عمري لأكون
الصقر الحارس.

"وليد":

- وأنا أعلن أني أَهَبُ عمري لأكون الصقر الحارس.

"لمار":

- وأنا أعلن لكم أني أَتَخَلَّى عن كل شيء لكي أكون الصقر
الحارس.

"وسيم":

- تحوت الحكيم العظيم مُؤَلِّف كتاب الخروج إلى النهار قال لنا:

"تأمل لحظة كيف تَأْتِي لك أن تُخْلَق في الرحم فكر في صنع القادر
وابحث عن الصانع الذي أبدع جمال صورة الخال فمن ذا الذي أدار
حدقة عينيك؟ ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك؟ ومن ذا الذي
مَدَّ أربطتك وربطها ببعضها ببعض؟ ومن ذا الذي أنشأ عظامك وآسى
لحمك بالجلد؟

آه يا مصر! لن يبقى من دينك شيء سوى لغو فارغ، ولن يلقى
تصديقاً حتى من أبنائك أنت نفسك، لن يبقى شيء يُروى عن حكمتك

إلا على شواهد القبور القديمة، سيتعب الناس من الحياة ويكفون عن رؤية الكون أنه شيء جدير بالعجب المقدس، ولسوف تصبح الروحانية، التي هي أعظم براءات الله مُهدَّدة بالفناء، وعبئًا ثقیلاً يُثير احتقار الغير، سيدمغ الصالح بالبلاهة، وسيكرم الفاسق أنه حكيم، وسيُنظر إلى الأحمق أنه شجاع، وسيُعتبر الفاسد من أهل الخير ستُصبح معرفة الروح الخالدة عرضة للسخرية والإنكار، ولا تُسمع ولا تُصدَّق كلماتُ تبجيلٍ وثناء تتجه إلى السماء.. تنبأ لنا منذ ثلاثة آلاف عام بضياح الحكمة، وبعدها يضيع كل شيء، لكنني أقول لك اليوم إننا سنسترد الحكمة، أنا أعلن لكم أنني تخلّيت عن حياتي الماضية لأكون الصقر الحارس..

خطا كل منهم خطوته الأولى في العالم الجديد.. توجّه ناجي وفريد نحو المقر الإداري في أكتوبر حيث التقوا المحامي نجيب الذي بشرهم بحكم البراءة، ولن يطعن النائب العام على الحكم حسب اتفاق مسبق.. خلع فريد من فوره القناع الخفيف ومسح الماكياج الذي يخفي شخصيته، صرخ نجيب من هول المفاجأة:

- لا يمكن! فريد باشا؟ طوال هذا الوقت! لا يمكن أن أكون بهذا الغباء، لقد كنتَ رائعا يا سيدي أشهدُ لك، وأهنتك على براءتك وعودتك لمنصبك قريبًا.

"فريد":

- سأعود لوقت قليل لأُبرِّئ اسمي ثم أستقيل، لم تعد لديّ القدرة على ممارسة ذلك العمل، ثم إننا كما ترى ندير رأس مال دولي لا يمكنني خذلان أصحابه.
"ناجي":

- أريدك أن تمرَّ على جميع الأسر التي حصلت على البراءة وتسلم كلاً منها نصف مليون دولار هدية البراءة.
"نجيب":

- مثل هذا المبلغ سيُثير الجميع ويلفت الانتباه أيضًا؟ ثم لماذا وبأي صفة سيحصلون عليه؟
"ناجي":

- اشترطُ عليهم عدم إخبار أحد بتأتا، وقل لهم إن حراس العدالة يعرضونهم عن عذابهم والظلم الذي تعرضوا له.. واسمع يا نجيب، أنت الآن جزء من منظومتنا، دعك من الفُتات واللعب من وراء الستار، كن واضحًا صريحًا قويًا في الحق، أعطِ طَمَعَكَ وشيطانَكَ عُطلةً مفتوحة حتى تستمر معنا، وتأكد أننا نراقبك.

بقدر ما أسعدت الكلمات نجيب بقدر ما أرهبته الجملة الأخيرة، خرج مرعوبًا يتلفت حوله ويُحدِّث نفسه.. استمرت عمليات التجهيز على قَدَمٍ وساق، في زمن قياسي انتهت تراخيص المدرسة والجامعة، ومعها انتهى بناء المقر الهرمي في سقارة فأضحى تُحفةً فنية من الخارج

وقطعة عصرية تحاكي أحدث ما توصل إليه العلم من الداخل، واصل التنظيم مطاردة أعضاء منظومة الفساد، كلما سقط عضو كشف عن أعضاء آخرين في الداخل والخارج، افتُتحت فروع مستشفيات النجوم الحالية وُشِّعَ في بناء أفرع جديدة مع مصانع الأدوية، اشترتِ نِسَبُ تسمح بالإدارة في شركات الاتصالات المتاحة..

في نهاية ذلك العام كانت التجهيزات قد اكتملت بانضمام مجموعات التحكم الأولية في التنظيم واستعد الجميع لحفل تدشين الشمس المشرقة وتحويل أسطورة الصقر الحارس إلى حقيقة.

استلهم الدكتور وسيم من دراساته القديمة ومن أبحاثه المتقدمة الجامعة مراسم حفل التدشين الأول، اتفق مع وليد على توزيع التطوير المستقبلي للمركز الرئيسي على النمط العبقري للأهرامات والتصميم الافتراضي للمعابد السرية المؤدية في نهايتها إلى حضرة الهرم، تبلورت الأفكار الجمعية للمخصات الحكمة المتوارثة عبر تاريخ البشرية في عبارات محددة غير نمطية، استكمل بناء الخلود في عالم يعجُّ بالاضطرابات والتداخل والتضارب، انهارت الأخلاق وضاعت الأجيال في الغرق في التفاصيل التافهة..

حدّد يوم رأس السنة للاحتفال الكبير، اجتمع كل من اختير في المقر الرئيسي بقاعة حورس الكبرى أسفل المبنى الهرمي الجديد.. يرتدون زيّاً موحدًا صممه الدكتور وسيم بنفسه يتكون من عدة قطع ذات طابع حربي فرعوني، وغطاء الرأس على شكل صقر مشابه تمامًا لرأس سوكر..

على عدة موائد دائرية متداخلة تبدأ من الاتساع إلى الضيق حتى وصلت إلى المائدة المستديرة الصغيرة التي يجلس عليها ناجي وفريد ولمار وحسن ووليد، بينما في المنتصف تمامًا وقف الدكتور وسيم مُتخذًا وضعية الراوي يحمل صولجانًا في نهايته جهاز تحكم عن بعد يشغل أجهزة تحكي في تتابع مبهر تاريخ البشرية وحضاراتها المتعددة والديانات الساموية بحيادية تامة حتى الوصول إلى اللحظة التي سيتحدث فيها وسيم، ضرب بصولجانه على الأرض فاهتزت أرجاء القاعة بأنوار متتالية ثم خرج صوته من كل الزوايا:

"العدل":

- بدأت الأرض بعد نزول الإنسان ظالمًا نفسه وعاصيًا ربه، وبدأ الظلم بالطمع والشهوة، وبدأ العدل بالفصل بين الخير والشر، تعهّد الخالق في كل دين بتحقيق العدل العاجل والآجل، سادت الحضارات بالعدل وانهارت بالظلم، الحياة عدل، نزع الحياة عدل، ملعون من يظلم، ملعون من يعين على ظلم، ملعون من يسكت على ظلم، ملعون من يمشي في طرقات الظلم منكس الرأس، السيف يحمي العدل، والعدل يحمي الكون من الهلاك.. كن عادلاً....

"الحرية":

- العبودية سُنّة كونية لمن اختار أن ينحني، الحرية يقين في الذات وبريق في العين وإيمان في القلب، أن تكون إنسانًا، أن تكون

حرًا، ارفع رايات الحرية في كل مكان، اهمس في أذن الطير
المسجون حتى يتحرّر، انزع من إرادتك الخوف والتردد، ما
أكثر الغزاة الذين مروا وأحرقوا الأخضر واليابس! وما أشجع
الذين ماتوا وهم يحاولون سد الثغرات في أسوار المدن! وما
أقل الحالمين! وما أقصر عمرهم! وما أجمل النساء! وما أسرع
تقلباتهن! وما أشد ارتفاع الطيور! وما أوهن أجسادها! وما
أثقل السحب! وما أشح المطر!، وما أعتى حكام هذا الزمان
وكل زمان! وما أوهن ما شيدوا! ما أكثر الغناء دون طرب!
وما أجمل كلمات الحب وأندر لحظات العشق! كن حُرًا....

"المساواة":

- تكبر الشيطان فطرد من رحمة الله، رفض أن يتساوى مع خلق
يراه أقل منه، بعد أن كان السيد الحاكم الطاووس، في لحظة
أصبح الحقير المطارد الخناس، ملعون في كل كتاب، ملعون في
كل زمان، سيد أهل النار، لك ما للناس، وعليك ما على
الناس، المرأة كالرجل، الحاكم كالمحكوم، الغني كالفقير،
الأبيض كالأسود، الواحد كالواحد، الاثنان كالاثنين، الكل
كالكل.. كن متساويًا....

"الحق":

- النور نور لمن يراه، والفساد يظلم البصيرة، اشرب الكأس
الفارغة حتى الثمالة، اتبع الحق في الظلام لتنير جوانحك

المظلمة، امتطِ صهوة الريح العاصفة وتجاوز البحر الجبار
الغاضب حتى تصل إلى جوهر الحق في كلمة واحدة، الحق
مرادف الأمانة، والحق سيف بتار لمن أخلص وتمسك بركب
النور.

لا تجعلني جزاءً يذبح الخراف ولا شاة يذبحها الجزارون، ساعدني
على أن أقول كلمة الحق في وجه الأقوياء ولا أقول كلمة الباطل في وجه
الضعفاء وأن أرى الناحية الأخرى من الصورة ولا تتركني أتهم أعدائي
بأنهم خونة في الرأي.. إذا أعطيتني مالا فلا تأخذ سعادي، وإذا
أعطيتني مالا فلا تأخذ عقلي، وإذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي،
وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.. كُنْ حريصا على
الحق....

"التواضع":

- الجبل المرتفع يهتزُّ حين يبكي ابن الماعز الجبلي خوفاً من العيون
الحمراء المترصدة في الظلام، الشجرة العظيمة تنحني حين تمرُّ
الريح دافعة السحابة الحاملة للخير والحياة.

الشمس تشرق من فوق الكون لتَهَبَ الدَّفء للقلوب الباردة، كل
الكون يجري إلى مستقر وموعد معلوم، ضع فخرك، واحطط كبرك،
واذكر قبرك، فإن عليه ممرٌ.. ألن جانبك لقومك يجوك، وتواضع لهم
يرفعوك، وابسط لهم يدك يطيعوك، أنا لا أعرف الحقيقة المجردة ولكنني

أركع متواضعاً أمام جهلي وفي هذا فخري وأجري..... كن متواضعاً....

"الرحمة":

- صمّتاً في حضرة الألم، صمّتاً في وجود الحزن، ابحت في ذاتك عن ذاتك، ازرع داخلك حديقة خضراء، ضع فيها وردة بيضاء، الجأ إليها حين يغزوك الغضب، حين يتمكن منك الشعور المتصاعد بالانتقام، إذا وقّع عدوك بين يديك، انس من تكون، اخلع جلدك على باب قدرتك، تجرّد من غريزتك، وابتسم، الرحماء قليلون وهم أركان الدنيا وأوتادها يحفظ بها الله الأرض ومن عليها ولا تقوم القيامة إلا حينها تنفد الرحمة من القلوب، الرحمة أعمق من الحب وأصفى وأطهر، فيها الحب وفيها التضحية وفيها إنكار الذات وفيها التسامح وفيها العطف وفيها العفو وفيها الكرم، وكلنا قادرون على الحب، قليل منا هم القادرون على الرحمة.. سنظهر الرحمة ولكننا لن نطلبها.. كن رحيماً....

"السيطرة":

- أعدّ لكل شيء عُدته، ابن مجدك فوق أطلال من سبقك، تمسك بأركان أمرك، اجمع شتاتك وأحط بظلماتك، اسبح في بحر أفكارك، الجأ إلى جزيرة قدرتك، أغمض عينيك وركّز، ثم افتح عينيك وركّز، إذا ما أحكمت السيطرة على الظاهر والباطن تحرّك، كن مُسيطرًا....

"الجمال"

- تأمل قبل أن تتحرَّك، في الحياة جمال، في الموت جمال، في الجرح جمال، في الألم جمال، في معجزة النفس الداخل والخارج جمال، ضع بصيرتك في كل قُبْح على مواقع الجمال، أحب كل ما حولك، توقَّف عن الحركة المضطربة، اشرب نقطة الندى البكر في صباحات متتالية مختلفة، اغسل خطاياك تحت المطر، ثم تأمل حتى تزول غشاوة خطاياك، الله قد خلق الجمال في كل شيء، أخفى بعضه وأظهر بعضه، تتبَّع خطى الله في خلقه تنهل من مصدر الجمال الأول.. كن جميلاً....

"الصبر":

- الزمن قطار يتحرك بطاقة النهاية، كل شيء يتحرك معه، والدرب مرسوم بعناية، واضحة معالمة وشفافة، ينزل الضباب على الطريق مع تحرك قطار الزمن، تفقد المحطة تلو المحطة لتعذر الرؤية وعدم سماع صوت المرشد الأول، الصخب في كل مكان، والواقفون عند أبواب النزول يجربون الرؤية، يعتريك الغضب القاتل فيقودك إلى هلاكك، تصالح مع نفسك، هدِّئ من روعك، حدِّد هدفك، أزل الغشاوة من على عينيك، اصبر، قف مُستعدًّا دائماً، جهِّز أسلحتك الذاتية، ارفع رايتك، اترك يدك، سيقودك الصبر إلى محطة مجِّدك.. كن صبوراً....

"الصدق":

- مُراوغات وضغوط لا تنتهي، ترتاد مدرسة الحياة بغير سابق إعداد، تتلاطمك الأمواج، تصدمك الأشباح السوداء، ويقفُ لك عدوُّك الحاقد القديم بالمرصاد، شيطانك يعبثُ في ذاتك، يهين براءتك ويغتال سُموكَ ورفعتك، ترفع عن شهواتك، ضع غرائزك تحت قدميك، واصعد فوقها درجة لتقترب من عرش الخالق، الزَّبد يغطي الشاطئ، والسراب يخدع القلوب المرتعشة، الكذب طريق مظلم في نهايته نهايتك.. كن صادقًا....

"الإصرار":

- يبدأ الإنسان ضعيفًا وينتهي ضعيفًا، وما بين الضعفين فشل ونجاح، يستقرُّ الحجر في قاع النهر بينما يسير الخشب مع التيار، يستطيع النور أن يتخلَّل الظلام، لكن الشمس لا تحترق النفس والروح، لا تترك يدك ناعمة ولا تستسلم لمعدتك، لا تترهل، لا تُطِلَّ الأمل، اقدح زناد فكرك، سَخِّر طاقتك لهدفك، افتح أبواب الغد بإرادة لا تلين، كن صلبًا كأنفاس الصباح، مُشرقًا كنسَمات الوفاء.. كن مُصِرًّا....

"الحكمة":

- بدأ الله رسالاته للخاصة، وانتهت لكل الناس، وبدأت الحكمة بالعامّة، وانتهت لخاصة الخاصة، احترم النملة في الأرض،

والنحلة في الشجرة، والزهرة في الجبل، ابن سُلَّامٍ من سلامٍ
تُلاقِي به أعداءك، بميزان الذهب امزج عناصر ذاتك، بميزانٍ
العدل راقب أعمالك، حَقِّق أحلامك كلها بابتسامة رضا، تعلَّم
من أخطائك، سر على دروب الأنبياء واستعدَّ لموعد اللقاء..
كُن حكيماً....

جلس وسيم بعد انتهاء تعليلات الصقر الحارس.. قام ناجي
ووقف في منتصف الحلقة الدائرية، رفع صولجانه إلى السماء فأحدث
موجات كهرومغناطيسية تُشبه البرق، تبعها صوت كالرعد، ثم تحدَّث
بصوت عميق كالعلم:

- الملك والملكوت في رحاب السماء، يا صاحب النور وخالق
الظلام، يا رب الوجود وفتاح الأبواب، بارِكْ عزمنا، قوِّ
عزيمتنا، كن معنا سنداً ودعماً وهداية، المجد لمن وهب نفسه
لخدمة ملك الملوك، الخلود لمن وضع روحه في دائرة الكون
السرمدية، سنأخذ بيد العالم نحو النور، سنسير في رَكْبِ
السماء، ونرتقي فوق الأهواء، ستشرق على الوجود من جديد
أسطورةُ الصقر الحارس.

تمت بحمد الله وتوفيقه

الإسكندرية